الجزء الثاني المجلد الثامن والسبعون

مجلّة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

المحرم ١٤٢٤هـ
نيسان (أبريل) ٢٠٠٣م

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاًمن مطلع العام ١٩٩٦م

١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونَها بها ويقصرونَها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

الجزء الثاني المجلد الثامن والسبعون

مجلّة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

المحرم ١٤٢٤هـ
نيسان (أبريل) ٢٠٠٣م

لجنة المجلة

الـــــدكتور شـــــاكر الفحـــــام

الــدكتور محمــد إحســان الــنص

الدكتور محمد عبد الرزاق قـدورة

الــدكتور محمــد زهــير البابــا

الأســـــتاذ جـــــورج صـــــدّقني

الـــــدكتورة ليلـــــى الصـــــباغ

الـــــدكتور محمـــــود الســـــيد

أمين المجلة

الأســـتاذ مـــأمون الصـــاغرجي

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

المجمع العلمي العربي
بدمشق والمرأة

الدكتورة ليلى الصباغ

(فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٨ الجزء ٢)

المجمع العلمي العربي بدمشق والمرأة

د. ليلى الصباغ

إنَّ إنشاء البلاد العربية «المجامع العلمية» أو كما سميت في الوقت الحاضر بـ «مجامع اللغة العربية»، ظاهرة فكرية اجتماعية، عربية جديدة، انطلقت في بداية «عصر النهضة العربية الحديثة» في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. وكان هدفها اهتمام العاملين فيها من الأدباء، والعلماء، والمفكرين، باللغة العربية، والحفاظ على أصالتها، مع السعي لتطويرها وإغنائها في «عصر الحداثة»، حتى تساير التطور العلمي والتقني، والحضاري العالمي. ولكن هذا لا يعني أن البلاد العربية قد خلت في الماضي مما يشبه تلك «المجامع العلمية»، وإن لم تختص باللغة العربية وحدها. فالمتتبع لتاريخ العرب الحضاري في العصور الإسلامية، يرى أنه كان يطلق على تجمعات العلماء والأدباء اسم «مجالس». وكانت هذه المجالس تنعقد أحياناً حول رأس الدولة، أو بعض كبار أصحاب السلطة من مشجعي العلم والأدب والفكر، ويحضرها ثلّة من علماء العصر وأدبائه، وكبار مفكريه، ويجري فيها تداول الحديث والنقاش بحرية، في الأدب: نثره وشعره ومصنفاته، وفي اللغة: مفرداتها وتراكيبها وعلومها، وفي المعارف بفروعها المختلفة، بما فيها العلوم الدينية والعقلية. وقد تعقد هذه المجالس بين العلماء والأدباء والمفكرين، ودون دخيل من السلطة السياسية، فتكون أشبه بـ «جمعيات»، أو «نواد حرة»، يتلاقى فيها المهتمون بأفانين المعرفة. وقد تضم تلك المجالس الرجال والنساء، وقد تكون

للنساء فقط، أو للرجال دون النساء[١]. وقد يكون على رأس بعضها نساء تميزن في عصرهن بسعة المعرفة، والشغف بالعلم والأدب والفن[٢].

ومع وجود تلك «المجالس» العلمية – الأدبية في الماضي، فإنه لابد من التأكيد أن «المجالس العلمية العربية» عندما فُكر بإنشائها في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، لم تكن مماثلة لتلك «المجالس» على تنوعها الفكري، وإن كان فيها بعض شبه منها، يتمثل بصفة خاصة بأنها تضم نخبة من الأدباء والعلماء والمفكرين. فـ«المجامع العلمية» ظهرت في الواقع آنئذ لمعالجة قضية فكرية هامة جداً اصطدم بها المجتمع العربي في معظم أقطاره، وهي «قضية اللغة العربية» بالذات، في تلك المرحلة الزمنية من تاريخ العرب الحديث. فمنذ أن تبنت مصر اللغة العربية في نهضتها الحديثة، لغة رسمية في عهد «محمد علي»، وأحلَّتها محل اللغة التركية، ولاسيما في التعليم الحديث الذي أوجدته، أخذ المفكرون العرب، وبصفة خاصة في مصر وبلاد الشام، يشعرون بأنهم بحاجة ماسة وملحة، في اللغة العربية التي يستخدمونها، إلى مفردات أوفر، وقواعد أبسط، وذلك بعد اتجاههم إلى ترجمة المؤلفات الغربية،

(١) انظر عن مجموع تلك المجالس: عيسى إسكندر المعلوف: «المجامع العلمية في العالم»، في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق»، المجلد الأول/ ٩٧– ١٠٥. وفيه الحديث عن المجامع العلمية في المشرق، وفي المصدر نفسه/ ١٤٧– ١٥٤، ما يخص المجامع العلمية في أوربة وأمريكة.

– وانظر أيضاً: مادة «مجلس Madjlis» في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الجديدة باللغة الفرنسية، المجلد الخامس/ ١٠٢٧– ١٠٢٩:

- Encyclopédie de L' Islam (E.I٢), Vol. ٥, ١٠٢٧- ١٠٢٩.

(٢) من أمثلة تلك المجالس الشهيرة: مجلس السيدة «سكينة بنت الحسين» (المتوفاة ١١٧هـ/ ٧٣٥م)، ومجلس السيدة «عائشة بنت طلحة» (المتوفاة ١٠١هـ/ ٧١٩م)، ومجلس السيدة «ولادة بنت المستكفي» (المتوفاة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م).

العلمية والأدبية، المتنوعة إلى لغتهم العربية، بما تحمله تلك المؤلفات من ألفاظ أوربية لمخترعات، أو لمسميات حديثة، كانت غير معروفة سابقاً في اللغة العربية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن اندفاعهم نحو ممارسة الصحافة العربية، التي نشأت في هذه المرحلة، ونمت نمواً كبيراً، والتي تزايد مع نموها جمهور القرّاء من جميع فئات المجتمع، دفعهم أكثر فأكثر إلى حثِّ الخطا للبحث عن لغة عربية صحيحة، وسهلة الفهم، ومنسجمة مع حداثة الفكر العربي، الذي شرع يخوض في موضوعات كانت غير مطروقة سابقاً في الوطن العربي. وكان لابد لهذه اللغة المطلوبة أيضاً، أن تكون مستوعبة للمعاني الواردة في نصوص اللغات الأجنبية المترجمة، ومرادفة في دلالاتها لتلك المعاني. إن جميع تلك الأمور المستجدة كانت تحدياً للّغة العربية الفصيحة التقليدية، ومهددة لها بالخطر، بعد أن أظهرت هذه اللغة ضعف تجاوبها الآني مع التطورات الغربية والعالمية في الميادين الحضارية المتنوعة. ومن ثم أيقن الأدباء العرب ومفكروهم، الحريصون على البنية الأصلية للغة العربية، وعلى صيانتها مما قد يصيبها من تشوهات وخروج عن قواعدها، أنه لابد من العمل الحثيث لإيجاد الوسائل الكفيلة بالحفاظ عليها، وفي الوقت ذاته لتحديثها وإغنائها، حتى تنسجم مع متطلبات العصر.

وكانت المشكلة الصعبة التي جابهتهم، كيف يمكن تطويرها دون التخلي عن أصالتها أو المساس بها، أي دون التخلي عن الفصحى بمفرداتها، وتراكيبها، وقواعدها، التي هي لغة «القرآن الكريم»، والدعامة الأساسية في بنية الثقافة العربية في مختلف العصور.

وفي الحقيقة، إن بعض ما يشبه هذه المشكلة، كان قد عاناه العرب المسلمون خلال بعض العصور الإسلامية السابقة، نتيجة تمازجهم مع ثقافات الشعوب الأخرى، وسعيهم لترجمة إنتاج حضارات تلك الشعوب، كاليونانية،

والفارسية، والهندية، والسريانية. إلا أنها لم تكن بمثل تلك الحدة التي بدت فيها هذه المشكلة في القرن الثالث عشر ومطلع الرابع عشر للهجرة/ التاسع عشر ومطلع العشرين للميلاد. فإذا كان بعض الأدباء والعلماء واللغويين، في تلك العصور الإسلامية السالفة، قد سعوا بجهودهم الفردية لاستنباط مفردات تناسب الأبنية اللغوية العربية، عبروا بها عن العلوم الدخيلة عليهم(٣)، كما عمل بعض آخر، عندما رأى ما تعرضت له اللغة العربية بمجموعها من آفات: «حتى أصبح اللحن في الكلام يعدّ لحناً مردوداً، وصار النطق بالعربية من المعايب معدوداً، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية» (٤)، على الإسراع للحفاظ على سلامة هذه اللغة بوضع معجمات لغوية موسوعية، تتضمن «أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها»(٥)، أو بتدوين مؤلفات خاصة، توضح الأصيل في اللغة والدخيل عليها من اللغات الأخرى، وتذكّر بقواعدها الأساسية، فإن اللغويين والمفكرين العرب، في هذه المرحلة الحديثة من تاريخهم، أدركوا أنه لا يمكن لأفراد متفرقين أن يضعوا حلاً ناجعاً لهذه المشكلة الكبيرة، ولاسيما بعد أن ظهر في الساحة عدة تيارات فكرية لغوية، بعضها خطير جداً: فمنها ما طالب بالتخلي عن اللغة العربية الفصحى وإحلال العامية المحلية في كل قطر محلها؛ ومنها ما كان أقل غلواً، فنادى بتنمية اللغة بإدخال مفردات، ومصطلحات، وتراكيب جديدة، منسجمة مع عصر الحداثة، ومقتبسة بصفة خاصة مما هو قائم في اللغات الغربية. إلا أنه بالمقابل، بقي هناك التيار

(٣) محمد سواعي: أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر. دمشق ١٩٩٩/ ١٩-٣٧، ٣٨- ٥٨.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ١٥ مجلداً. دار صادر بيروت ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥، مج ١/٨.

(٥) المصدر نفسه/ ٩.

المحافظ، الذي أصرّ على إبقاء اللغة العربية التي حفظتها معجمات اللغة، بكل مفرداتها، وقواعدها، وتراكيبها، والبحث في اللغة نفسها عما يمكن أن يستجيب للمتطلبات الجديدة، أي بتطوير اللغة من ذاتها، هذا مع التأكيد أن اللغة العربية قابلة لمثل هذا التطوير.

وأمام هذه المشكلة والجدل الفكري اللغوي حولها، اقترح بعض الأدباء والمفكرين اللغويين إنشاء «مجمع علمي عربي» يتداول في الأمر، ويصل إلى حلول فيه. وكان من أوائل من اقترح إقامة مثل هذا «المجمع»، أو كما سمي آنذاك بالتعبير الأوربي، «أكاديمية اللغة العربية»، الأديب واللغوي اللبناني «أحمد فارس الشدياق» (١٢١٩– ١٣٠٤هـ/ ١٨٠٤– ١٨٨٧م)[٦]. وقد تناول آخرون هذه الفكرة وأيدوها.

ولقد صاحب في الواقع، الأهداف اللغوية المشار إليها للنهوض باللغة العربية، أهداف سياسية وثقافية، واجتماعية. إذ إن دعم اللغة العربية، وإعادتها حيّة، ونشرها معافاة في تلك المرحلة الزمنية، هو نهوض بأمة العرب، بعد أربعة قرون من السيطرة التركية، وتقوية للوحدة العربية، التي كانت ومازالت الأمنية الغالية لتلك الأمة، مما يجعلها تقف قوية في وجه الأتراك العثمانيين الحاكمين، والغربيين المستعمرين من إنكليز وفرنسيين، ويفتح مجتمعاتها للعلم المتطور، ولأدوات المعرفة الحديثة وتمثلها.

وهكذا ظهرت في بعض البلاد العربية، منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري وحتى الربع الأول من القرن الرابع عشر (النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين)، ولاسيما في مصر، وبلاد الشام، عدة «مجامع علمية»، و«جمعيات»، همها اللغة العربية، وقضايا النهوض

(٦) انظر موجزاً لترجمته في الزركلي: الأعلام. ٨ أجزاء. بيروت ١٩٧٩، ج١/ ١٩٣.

بها وتطويرها(٧). إلا أن تلك التجمعات الفكرية ما كانت لتتكون حتى ينفرط عقدها، إذ لم تجد سلطة حاكمة تدعمها.

وإذا كان كثير من الأدباء والمفكرين قد أدركوا المشكلة التي تمر بها اللغة العربية، فسعوا للتجمع لإيجاد بعض حل لها، فإننا لا نملك في الواقع ما يوضح

(٧) انظر حول تلك التجمعات، عيسى إسكندر المعلوف. المصدر السابق نفسه (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق) مج١/ ٩٧- ١٠٥ و«مادة: المجمع العلمي Al-Madjma al- Ilmi» للباحث J.D.J. Waardenburg في El٢ (باللغة الفرنسية)، المجلد الخامس/ ١٠٨٧- ١٠٩١.

من تلك المجامع التي تكوّنت: «المجمع العلمي الشرقي» الذي أُنشئ سنة ١٨٨٢، بإسهام من الأديب «فارس نمر» (١٨٥٦- ١٩٥٢)؛ و«المجمع» الذي أقيم سنة ١٨٩٢ بمبادرة من الشيخ «توفيق البكري» (١٨٧٠- ١٩٣٥م)، إلا أنه اضمحل، وأسس «إبراهيم اليازجيّ (١٨٤٧- ١٩٠٦)، و«جرجي زيدان» (١٨٦١- ١٩١٤)، و«الشيخ محمد رشيد رضا» (١٨٦٥- ١٩٣٣) «جمعية ترقية اللغة العربية». كما أقام الطلبة القدماء في «دار العلوم» بالقاهرة، وعلى رأسهم «حفني ناصف» (١٨٥٥- ١٩١٩م)، ومنهم «عاطف بركات بك» «نادي دار العلوم» سنة ١٩٠٧، وهدفه تعريب الألفاظ الأجنبية. ومثله نادٍ أسسه «فتحي زغلول» (١٨٦٣- ١٩١٤م) في الوقت نفسه تقريباً. وتشبهه «لجنة المصطلحات العلمية» التي أنشأها «أحمد حشمت باشا»، عندما كان وزيراً للتربية، وكان من أعضائها البارزين «أحمد زكي باشا» (١٨٦٠- ١٩٣٤م). كما أن «لطفي السيد» (١٨٧٢- ١٩٦٣م)، أسس سنة ١٩١٧ « المجمع» وكان على رأسه أولاً «الشيّخ سليم البِشْري» (١٨٣٢- ١٩١٧م)، فـ«الشيخ أبو الفضل الجيزاوي» (١٨٤٧- ١٩٢٧م)، وكان يضم (٢٨) ثمانية وعشرين عضواً، ودام سنتين. وفي (١٩٢١- ١٩٢٥م) كان في القاهرة «مجمع» يرأسه «إدريس راغب بك»، ومن أعضائه -- «منصور فهمي» (١٨٨٦- ١٩٥٩م) و«طه حسين» (١٨٨٩- ١٩٧٣)، وكان هدفه إنشاء معجم عربي حديث، ولكن المشروع أخفق لعدم دعم الدولة له.

مدى إسهام المرأة في أوليات تلك «المجامع»، أو ما يبين مدى مطالبتها بمثلها. ومع ذلك فإنه يمكن القول، إنه من المتوقع أن تكون المناقشات الدائرة حول هذا الموضوع، قد أثارت في أذهان الصحافيات والأديبات آنذاك اهتماماً بمثل تلك الأمور المطروحة. فقد كان هناك، على سبيل المثال فقط، بعض تجاوب من هذا القبيل عند الأديبة «مي زيادة» (١٣٠٣– ١٣٦٠هـ/ ١٨٨٦– ١٩٤١م)[٨]، التي عرف عنها بأنها «كانت تتتبع بشوق واهتمام مجهود المجمع اللغوي القديم الذي كان يعقد جلساته في «دار الكتب المصرية»، وترجو بإلحاح أن يضع «المجمع» ألفاظاً ملائمة، تحل محل الألفاظ الأجنبية التي شاعت على الألسنة والأقلام بالرطانة والعجمة». و«لما تسربت الدعوة للعامية، كتبت في الصحف العربية مستهجنة هذه الدعوة، ومؤكدة أن الفصحى هي أقوى رابطة لشعوب العرب في مساعيهم للتحرر والنهضة. وطالبت بتيسير القواعد للمتعلمين، مبينة أن بعض المعلِّمين على الطريقة القديمة هم من أقوى أسباب التجافي عن تعلم اللغة العربية والشكوى من صعوباتها»[٩]. وألحت في القول بأن «العامية تفكك الأواصر وتهدم البيان»[١٠]. وقد تبنت مثل هذه الأفكار من الأديبات، وإن كان هذا في وقت متأخر قليلاً عن «مي زيادة» الأديبة السورية– اللبنانية الناقدة، السيدة «وداد

(٨) انظر حولها: وداد سكاكيني: مي زيادة في حياتها وآثارها. دار المعارف بمصر. د.ت.– ومحمد عبد الغني حسن: حياة ميّ. –والأعلام ج٥/ ٢٥٣– ٢٥٤، والمصادر التي أوردها المؤلف.

(٩) وداد سكاكيني: مي زيادة في حياتها وآثارها/ ٤٨.

(١٠) المصدر نفسه/ ٥٥.

سكاكيني»[١١]، وغيرها.

وإذا كانت تلك «المجامع العلمية» الأولية السابقة، والجمعيات الأدبية اللغوية الخاصة، هي باكورة إنشاء «المجامع العلمية العربية» القائمة اليوم، فإن أول تلك «المجامع» التي تبنتها الدولة ورسَّختها، كان «المجمع العلمي العربي بدمشق»، الذي أسس سنة ١٩١٩م، في عهد الحكومة العربية الفيصلية، التي تسلمت السلطة في سورية بعد خروج الأتراك العثمانيين من بلاد الشام. وقد حلّ محل «شعبة ديوان المعارف»، وكانت الحكومة العربية قد أنشأتها فرعاً من «الشعبة العليا للترجمة والتأليف»، لتدبر أمر اللغة العربية الرسمية، التي أُحلَّتْ محل اللغة التركية في الدواوين وشؤون الدولة، ولنشر الثقافة العربية، واستخدام المصطلحات العربية الإدارية بدل التركية. وقد اكتسب هذا «المجمع» كياناً مستقلاً عندما صدر مرسوم تأسيسه تحت الرقم (٥٦٩٨/ ٢٤٧)، بتاريخ الثامن من حزيران (يونيو) ١٩١٩، وسُمِّي فيه بـ «الأقاده مي» أي «الأكاديمية»، أو «المجمع العلمي العربي» –كما عُرِّبت آنذاك تلك التسمية الأجنبية[١٢]–. وقد عقد هذا «المجمع» أولى جلساته في المقر الذي خصص له في «المدرسة العادلية»، قرب الجامع الأموي، في الثالث من ذي

(١١) أديبة قاصة وناقدة من أهالي لبنان فسورية (١٣٣٢– ١٤١٢هـ/ ١٩١٣– ١٩٩١م)، تعلمت في بيروت، وعملت في التعليم والأدب. تزوجت الأديب «زكي المحاسني». كتبت في الصحافة، ورحلت إلى مصر واتصلت بأدبائها، وخاضت معارك أدبية دفاعاً عن المرأة. لها عدد من المؤلفات الأدبية. كتب عنها السيد «محمود شعيب» رسالة ماجستير في جامعة المنصورة بمصر، ولها شعر.

– نزار أباظة ومحمد رياض المالح: إتمام الأعلام. بيروت ١٩٩٩/ ٣١٢– عبد القادر عيّاش: معجم المؤلفين السوريين دمشق ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م/ ٢٥١– ٢٥٢.

– انظر كتابها «شوك في الحصيد. دمشق ١٩٨١، و«فصل اللغة والأدب» فيه/ ٣١– ٣٥.

(١٢) أحمد الفتيح: تاريخ المجمع العلمي العربي. دمشق ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ص١– ٢ مع الهامش، وص٧.

القعدة سنة ١٣٣٧هـ، الموافق ليوم الثلاثين من تموز (يوليو) ١٩١٩م، وبرئاسة الأستاذ الأديب الكبير، المرحوم «محمد كرد علي»[١٣]، الذي كان إنشاء مثل هذا «المجمع» من أمانيه منذ ١٩٠٩، أي منذ زيارته لفرنسة، واطلاعه على مجمعها في باريس المعروف بـ «الأكاديمية الفرنسية»، وما كان يقدمه من خدمات للغة الفرنسية والثقافة. وكان عدد أعضائه ثمانية، هم الأساتذة «محمد كرد علي»، و«محمد أمين سويد»[١٤]، و«عبد القادر المغربي»[١٥]، و«عيسى إسكندر المعلوف»[١٦]،

(١٣) غني عن التعريف. فهو أحد كبار الأدباء العرب السوريين، وصاحب جريدة «المقتبس». مولده ووفاته بدمشق (١٢٩٣– ١٣٧٢هـ/ ١٨٧٦– ١٩٥٣م). له مؤلفات كثيرة، منها «خطط الشام». انظر ترجمة أوفله، في الأعلام، ج٦/ ٢٠٢– ٢٠٣– وكتاب عدنان الخطيب: مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عاماً دمشق ١٩٦٩/ ٢٧– ٤٥.

(١٤) فقيه مناظر، دمشقي المولد والوفاة (١٢٧٣– ١٣٥٥هـ/ ١٨٥٥– ١٩٣٦م). جاب مناطق كثيرة من العالم الإسلامي، وكان من مدرسي «المدرسة الصلاحية» في القدس أيام الحرب العالمية الأولى. له عدة مصنفات. الزركلي: الأعلام، ج٦/ ٤٤– عدنان الخطيب: المصدر السابق نفسه/ ٤٧– ٥٢.

(١٥) من العلماء باللغة والأدب. أصله من تونس، ومولده في اللاذقية ونشأته في طرابلس الشام، ووفاته بدمشق (١٢٨١– ١٣٧٥هـ/ ١٨٦٧– ١٩٥٦م). اتصل بالأفغاني ومحمد عبده. كتب كثيراً، وألقى محاضرات وفيرة، وله عدة مصنفات.– الأعلام: ج٤/ ٤٧– عدنان الخطيب: المصدر نفسه/ ٧١– ٩١.

(١٦) مؤرخ باحث، من أسرة حورانية الأصل. ولد في قرية من قرى المتن في لبنان. تولى تدريس الأدب العربي في لبنان ودمشق، وجمع مكتبة نفيسة استقر في زحلة وتوفي فيها. (١٢٨٦– ١٣٧٥هـ/ ١٨٦٩– ١٩٥٦م)، له عدد من المؤلفات– الأعلام: ج٥/ ١٠١– الخطيب: المصدر نفسه/ ١٠٥– ١١٥.

و«سعيد الكرمي»[١٧]، و«متري قندلفت»[١٨]، و«أنيس سلوم»[١٩]، و«عز الدين علم الدين»[٢٠]. ثم انضم إليهم «الشيخ طاهر الجزائري»[٢١]، بعد عودته من مصر في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٩. وقد تقرر أن يكون في «المجمع» فرعان: فرع لغوي أدبي، ويضم «الشيخ أمين سويد»، و«الشيخ عبد القادر المغربي»، والأستاذ «عيسى إسكندر المعلوف»، و«الشيخ سعيد الكرمي»؛ وفرع علمي فني، اختير له الأساتذة: «أنيس سلوم»، و«متري قندلفت»، و«عز

(١٧) سعيد علي الكرمي: فقيه من علماء الأدب والشعر. ولد في طولكرم وتوفي فيها (١٢٦٧– ١٣٥٣هـ/ ١٨٥١– ١٩٣٥م) شارك في الحركة القومية العربية، وحكم عليه بالإعدام، ثم اكتفي بسجنه. عمل في القضاء، له عدة مصنفات– الأعلام، ج٣/ ٩٨– ٩٩– الخطيب: المصدر نفسه/ ٦١– ٦٩.

(١٨) دمشقي المولد والوفاة (١٢٧٦– ١٣٥٢هـ/ ١٨٥٩– ١٩٣٣). له عدة مؤلفات مترجمة عن الإنكليزية التي كان يتقنها. نفته الدولة العثمانية لأفكاره الوطنية. درّس علم النفس والتربية والإنكليزية في مدارس دمشق. أشرف في المجمع على طبع مجلة المجمع – معجم المؤلفين السوريين/ ٤٢٦– الخطيب: المصدر نفسه: ١١٧– ١٢٤.

(١٩) ولد بحمص وتوفي بدمشق (١٢٧٩– ١٣٥٠هـ/ ١٨٦٣– ١٩٣١م). له عدد من الكتب المدرسية في علم النحو، وفي علم الاجتماع والاقتصاد. وكان شاعراً. – معجم المؤلفين السوريين/ ٢٥٥– الخطيب: المصدر نفسه/ ٥٠– ٦٠.

(٢٠) مولده ووفاته بدمشق (١٣٠٧– ١٣٨٦هـ/ ١٨٨٩– ١٩٦٦م). عالم بالأدب والشعر. تعلم في يافا والأزهر، وأوفد إلى فرنسة. عمل في التعليم، وله مؤلفات كثيرة حقق فيها بعض التراث. – الأعلام ج٤/ ٢٢٩– الخطيب: المصدر نفسه/ ٩٣– ١٠٥.

(٢١) جزائري الأصل ودمشقي النشأة. من أكابر العلماء باللغة العربية والأدب. ساعد على إنشاء دار الكتب الظاهرية بدمشق. والخالدية في القدس. مولده ووفاته بدمشق (١٢٦٨– ١٣٣٨هـ/ ١٨٥٢– ١٩٢٠م). كان يحسن عدة لغات، وله عدد من المصنفات.– الأعلام: ج٣/ ٢٢١– ٢٢٢.

الدين علم الدين». وانتقى «المجمع» من العاصمة دمشق أعضاء شرف يستعين بهم الفرعان.

ويلاحظ أن المرأة كانت غائبة عن هذا التجمع العلمي، أو أنها لم تُدعَ للمشاركة في عضويته، على الرغم من أنه كان هناك «عدد من الكاتبات، والشواعر، والخطيبات»، وباعتراف الرئيس محمد كرد علي نفسه[٢٢]. ويشك جداً أن يكون قد مرّ في خاطر أي واحد من شيوخ العلم المؤسسين حتى مجرد فكرة مشاركة المرأة في بناء ذلك الصرح العلمي الجديد. لأن النساء في ذلك الوقت، مع ولوجهن أبواب التعلم والتعليم، والأدب، والصحافة، وبلوغهن فيها مستوى حسناً، فإنهن لم يكنَّ في نظرهم قد بلغن في مستواهن الفكري والثقافي ما بلغوه هم. ويجب ألا ننسى أنه على الرغم من الدعوة الجادة في الوطن العربي آنذاك، وفي مصر بصفة خاصة، إلى تحرير المرأة، وإلى مساواتها بالحقوق مع الرجل، فإن الرجل بقي على موقفه المجافي من هذه الدعوة.

ومع أنه طرأ على «المجمع العلمي العربي بدمشق» بعض تنظيمات جديدة مع الزمن، وفي سنة ١٩٥٨ بصفة خاصة، حين رُبط بمجمع «اللغة العربية» بالقاهرة، على إثر الوحدة السورية– المصرية، فإنه لم يفتح أمام المرأة، أكان في سورية أو في مصر، باب «العضوية العاملة»، أو «المراسلة»، أو «الشرفية»، علماً أن المرأة كانت في هذين القطرين، قد ثبتت قدمها في ميادين المعرفة المختلفة، وانطلقت في مجال السياسة والخدمات الاجتماعية. بل وكان في سورية نفسها بعض المؤسَّسات الثقافية الأهلية تطالب بذلك بإلحاح. ولكن لابد من الاعتراف بأنه إذا لم يفتح أمامها باب العضوية، فإنه لم يُقفله أيضاً من الناحية القانونية. ومع ذلك، فمن الضروري العودة إلى التذكير بأن

(٢٢) خطط الشام، ٦ أجزاء. بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ج٤/ ٧٠.

المرأة، مع شقها الطريق في مجالات الثقافة، والعلم، والأدب، والصحافة، «فإنها ظلت تُتَّهم من قبل الرجل بصورة عامة، بالقصور، والتخلف، والحرمان من كل موهبة ومزية وتُرمى بكل نقيصة»[٢٣]. «وإن هذه المعاداة للمرأة لم تكن منطلقة من الرجل العادي فحسب، بل من كبار المفكرين والأدباء العرب، من أمثال «عباس محمود العقاد»[٢٤]،و«إبراهيم عبد القادر المازني»[٢٥]، و«توفيق الحكيم»[٢٦]، و«محمد مبارك»[٢٧] وغيرهم. حتى إن علامة دمشق «محمد كرد علي

(٢٣) وداد سكاكيني: شوك في الحصيد/ ٢١١– ٢١٢، وانظر أيضاً كتابها: إنصاف المرأة.

(٢٤) إمام في الأدب. ولد في أسوان ودفن فيها (١٣٠٦– ١٣٨٣هـ/ ١٨٨٩– ١٩٤٤م). عمل في الصحافة والتأليف. أتقن الإنكليزية، والفرنسية، والألمانية. له (٨٣) مؤلفاً. كان عضواً في المجامع العلمية العربية الثلاثة. دافع بحماسة عن أصالة اللغة العربية.– الأعلام: ج٣/ ٢٦٦– ٢٦٧.

(٢٥) أديب مجدد، ومن كبار الكتاب. مولده ووفاته بالقاهرة (١٣٠٨– ١٣٦٨هـ/ ١٨٩٠– ١٩٤٩م). عانى التدريس والصحافة والترجمة عن الإنكليزية. وكان شاعراً، ومن أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة. له عدة مؤلفات.– الأعلام ج١/ ٧٢.

(٢٦) أديب عربي مصري كبير. مولده في الإسكندرية ووفاته بالقاهرة (١٨٩٨ أو ١٩٠٢– ١٩٨٧). عمل في التأليف والصحافة، ومديراً لمكتبة دار الكتب في القاهرة، وعضواً في مجمع اللغة العربية فيها. له مؤلفات كثيرة ومنها مسرحيات. - R.M.A.Allen. Tawfik Al-Hakim. In EI٢. Vol. X. P. ٤١٤-٤١٦. =

= – محمد خير رمضان يوسف: تتمة أعلام الزركلي. مجلدان. بيروت ١٩٩٩، ج١/ ٩٥– ٩٧.

(٢٧) لغوي وبحاثة ومرب وسياسي. أصوله من الجزائر. ولد بدمشق وتوفي بالمدينة المنورة (١٣٣٢– ١٤٠٢هـ/ ١٩١٢– ١٩٨١م) درس في السوربون بباريس، علم الاجتماع وعلم الأخلاق عمل مدرساً ومفتشاً بوزارة المعارف ووزيراً. كان عضواً في المجامع

نفسه، الذي دعا لتعليمها وإعدادها لحياة لائقة، لم يتورع أن يقول فيها ما قاله العقاد»[٢٨].

وقد يكون من الأسباب أيضاً لعدم الترحيب بالمرأة عضواً في «المجمع العلمي العربي بدمشق» والمجمعَيْن العربيين الآخرين في القاهرة وبغداد، أن المرأة في الوطن العربي بصفة عامة، مع إسهامها في مجالات الفكر، لم يُعرف عنها توغلها في دراسة الجوانب المتنوعة في اللغة العربية بالذات. إذ لم يُسمع في الماضي والحاضر القائم آنذاك، عن لغويات عربيات برعن في دراسة بنية اللغة العربية وعلومها، كما كان الحال بالنسبة للرجل. ولا يُسهى في هذا المقام أيضاً عن «عامل العادة»، إذ اعتاد الرجل، وبيده الحل والعقد، أن يُنصِّب في جميع مواقع العمل خارج المنزل، رجلاً مثله، ولا سيما إذا كان كما ذكر، يؤمن بعدم قدرة المرأة على القيام بما تتطلبه تلك المواقع، ولا سيما الفكرية منها.

وهكذا قد يتضح سبب تلكؤ «المجمع العلمي العربي بدمشق»– أو «مجمع اللغة العربية بدمشق» كما أسمي منذ ١٩٥٨– في إدخال العنصر النسائي في بنيته العضوية.

وفي الحقيقة قد لا تكون العوامل المذكورة آنفاً هي وحدها وراء إحجام «المجمع» عن ذلك الأمر، بل قد يكون هناك عامل آخر ساعد على ذلك ودعمه. فمن المعروف، وكما أشير إلى ذلك سابقاً، أن مؤسسي «المجمع العلمي العربي بدمشق» قد اتخذوا «الأكاديمية الفرنسية» في باريس نموذجاً لهم. وهذه «الأكاديمية»، على الرغم من أنه قد مضى على تأسيسها ما يقرب من أربعة قرون (أسست سنة ١٦٣٥م)، فإنها لم تكن قد أدخلت في عضويتها امرأة؛ بل إن المرأة الفرنسية لم

العلمية الثلاثة. له عدة مؤلفات. — محمد خير رمضان يوسف: المصدر نفسه، المجلد ٢/ ١٠٨، – إتمام الأعلام ٢٥٢.

(٢٨) وداد سكاكيني: شوك في الحصيد/ ٢١٢.

تُقبل في استقبالات الأكاديمية حتى ١٧٠٢م[٢٩]، مع أنها استقبلت في ١١ آذار ١٦٥٨م ملكة السويد «كريستين»[٣٠] ! ولم تُناقش فيها قضية إمكانية اختيار النساء أعضاء في الأكاديمية حتى سنة ١٨٩٧[٣١]؛ بل صدر أمر أكاديمي سنة ١٩١١ يعترض على انتخاب النساء في الأكاديمية[٣٢]. إلا أن هذا لم يمنع عند إنشاء «الأكاديمية الملكية للرسم والنحت» في باريس سنة ١٦٥٥م، من قبول هذه الأكاديمية في عضويتها (١٥) خمس عشرة امرأة. إذ يبدو أنه كان هناك اعتقاد أن المرأة قد نجحت وتنجح في المجال الفني، لتوافقه مع طبيعتها، أكثر مما تفعل في المجال العلمي أو اللغوي. إلا أن هذه الأكاديمية نفسها، عادت فقررت سنة ١٧٧٠م، أنه لن يمكنها أن تقبل أكثر من أربع أكاديميات في آن واحد[٣٣]. هذا ومن المعلوم أن المرأة في فرنسة، قبل أن تحقق تقدمها الكبير في جميع المجالات، وفي نيل حقوقها خلال القرن العشرين بصفة خاصة[٣٤]، فإنها

---

(٢٩) انظر: مادة: «الأكاديمية الفرنسية» "Académie française" في
Grand larousse Encyclopédique. ١٢ Tomes. Paris ١٩٦٠- ١٩٧٥ T.I. P. ٣٦.

(٣٠) - Ibid.

– الملكة «كريستين» (١٦٢٦– ١٦٨٩م) ورثت عرش السويد وهي صغيرة السن. ولم تتسلم السلطة بنفسها حتى ١٦٤٤. كانت ذات ثقافة واسعة، وفكر نَهِم للعلم والأدب والفلسفة، وكانت راعية للآداب والفنون، وجذبت إلى بلاطها عدداً من كبار العلماء ومنهم «ديكارت» تنحّت عن العرش سنة ١٦٥٤ لصالح ابن عمها، وتركت السويد إلى هولاندة. وزارت فرنسة (١٦٥٦– ١٦٥٧م)، واعتنقت الكاثوليكية، وأنهت حياتها في روما. انظر ترجمتها في: - Ibid., T.٣. P. ٩٦

(٣١) - Ibid., T. I, P.٣٧, article:«Académie française»

(٣٢) - Ibid.

(٣٣) انظر «مادة» (أكاديميّة Académicienne) - Ibid., p.٣٣

(٣٤) انظر: «مادة» (المرأة femme): - Ibid. ,T. ٤, PP- ٩٤٧-٩٥٠

كانت قد قطعت شوطاً بعيداً في ميدان الفكر والثقافة، وكان لها يد طولى في «حركة التنوير» الكبيرة في فرنسة في القرن الثامن عشر. إذ كانت على رأس تلك «الصالونات» الأدبية– العلمية الشهيرة التي انطلقت في القرن السابع عشر في فرنسة، وازداد نشاطها في القرن الثامن عشر، وخبت فعالياتها في القرن التاسع عشر. فقد كان يجتمع في تلك «الصالونات» نخبة من كبار الأدباء والمفكرين، ويتناقشون في السياسة، والدين، والعلم، والأدب، والفلسفة، بل إن أحد هذه الصالونات وكان على رأسه الأديب الفرنسي «كونرار V. Conrart» (١٦٠٣– ١٦٧٥)، كان هو في الحقيقة النواة الأولى «للأكاديمية الفرنسية»، إذ حوّله الوزير «ريشليو» ليكون تلك الأكاديمية، وجعل أعضاءه أول أعضاء فيها[٣٥]. ومن تلك الصالونات النسائية الكثيرة التي اشتهرت في باريس وترأستها امرأة، صالون الأديبة الفرنسية «مادلين دوسكوديري Madeleine de Scudéry» (١٦٠٧– ١٧٠١م)[٣٦]، التي منحتها «الأكاديمية الفرنسية» سنة ١٦٧١م، ولأول مرة في تاريخها جائزة البلاغة والشعر[٣٧]. وصالون «مدام دومنتنون» [٣٨]، و«مدام دوليسبيناس»[٣٩]، و«مدام دوفان»[٤٠]، و«مدام

(٣٥) انظر حول الصالونات في فرنسة (مادة صالون Salon) في:
- Ibid., T. ٩, PP. ٥٥٧- ٥٥٨.

(٣٦) انظر ترجمتها في: - Ibid., PP. ٦٩٤- ٦٩٥

(٣٧)انظر (مادة: Académie française)في: - Ibid.,T. ١. P. ٣٤

(٣٨) كانت زوجة للشاعر «سكارون Scarron»، وعرفت بحبها للأدب، وكان لها صالونها الشهير. عاشت خلال (١٦٣٥– ١٧١٩م). أعجب بها الملك «لويس الرابع عشر» وتزوجها بعد وفاة الملكة سنة ١٦٨٤م.
- Ibid., T.٦, PP, ٩٨٧- ٩٨٨.

جوفران»[٤١]، و«مدام نيكر»[٤٢]، وغيرهن. ومن المعروف أنه كان لتلك «الصالونات» الفكرية أثر كبير في اندلاع الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩، إذ أن كبار مفكريها كانوا من رواد تلك «الصالونات» والناشطين فيها. ومع تقلص فعاليات هذه الصالونات بعد الثورة الفرنسية، فإن بعضها ظلّت له فعاليته في محيط الأدب والفكر، ومنها بالذات صالون «مدام دو ستايل» الشهيرة [٤٣].

---

(٣٩) عرفت بحيويتها الفكرية واطلاعها الواسع. كان «تورغو» من روّاد صالونها، وكذلك المفكر الفرنسي «دالامبير» عاشت (١٧٣٢– ١٧٧٦م)

- Ibid., T.٦, P, ٧٠٢.

(٤٠) كانت من طبقة النبلاء، واستقبلت في صالونها أدباء وفلاسفة، ومنهم «مونتسكيو» و«فولتير» و«كوندورسه» وغيرهم. عاشت (١٦٩٧– ١٧٨٠م)، وفقدت بصرها سنة ١٧٥٣.

- Ibid., T.٣, PP. ٨٦٠- ٨٦١

(٤١) كانت قوية الشخصية (١٦٩٩– ١٧٧٧). فمع عدم نيلها قسطاً كبيراً من التعليم، فإنها تمكنت من السيطرة الفكرية على صالون كثير الرواد من الفنانين والأدباء والطبقة الارستقراطية ولمدة خمس وعشرين سنة.

- Ibid., T.٥, P. ٤٣٨.

(٤٢) عاشت خلال (١٧٣٩– ١٧٩٤م) وهي زوجة المصرفي السويسري الشهير «نيكر» الذي الذي عمل وزيراً للملك «لويس» السادس عشر. وكان لها صالونها الشهير الذي حفل بكبار أدباء «الثورة الفرنسية» ومفكريها. من أمثال «ديدرو» و«دالامبير» و«لاهارب» وغيرهم.

- Ibid., T.٧, p. ٧٠١.

(٤٣) هي «جرمين نيكر» (١٧٦٦– ١٨١٧م) ابنة «السيدة نيكر» والوزير الفرنسي «نيكر». وقد كانت المحرّك الأول في صالون والدتها. وفيه تعرفت النخبة الفرنسية من الفلاسفة والأدباء والمفكرين، وكانت هي نفسها أديبة وشاعرة، وخلّفت عدة مؤلفات. وكان صالونها أحد المراكز السياسية والأدبية الفرنسية الهامة في مطلع القرن التاسع عشر.

ولكن إذا كان «المجمع العلمي العربي بدمشق» قد تغاضى عن إدخال المرأة في عضويته كما فعلت «الأكاديمية الفرنسية» مع المرأة الفرنسية، فإن هذه الأخيرة، الأديبة، والمثقفة، والعالمة، والمتفاعلة مع أحداث مجتمعها المتطور، كانت أكثر جرأة وشجاعة من المرأة السورية والعربية بصفة عامة؛ إذ إنها منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر شرعت ترشح نفسها، منافسةً للرجل، لكل مقعد يشغر في «الأكاديمية» بوفاة صاحبه. ومع أنها ما كانت لتفوز في تلك الانتخابات، وليسبقها الرجل إلى ذلك المقعد، فإنها بقيت مثابرة على هذا النهج، حتى كللت مساعيها بالنجاح سنة ١٩٨٠، وتم انتخاب الأديبة «مرغريت يورسينار Marguerite Yourcenar» (١٩٠٣– ١٩٨٧)، فكانت بذلك أول امرأة تُستقبل تحت قبة «كلية الأمم الأربع»، حيث كانت تجتمع «الأكاديمية الفرنسية». وسارت على خطوها «جاكلين ورمز دو روميي Jacqueline Worms de Romilly» (ولدت ١٩١٣)، التي تم انتخابها في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، ومثلها «هيلين كارير دانقوس Hélène Carrère d'Encausse» (ولدت سنة ١٩٢٩) التي انتخبت في ١٣ كانون الأول ١٩٩٠، و«فلورنس ديله» «F. Delay»، التي انتخبت في ١٤ كانون الأول ٢٠٠٠م. وبذلك غدت «الأكاديمية الفرنسية» تضم في الوقت الحاضر ثلاث نساء من أصل أربعين عضواً هم أعضاء «الأكاديمية»(٤٤).

ومع أن المرأة في سورية لم تحظ بعضوية «المجمع» حتى شباط ٢٠٠١م، إلا أن «المجمع» لم يُهمل في الواقع شأنها الثقافي تماماً. فعندما قرر في جلسته الخامسة والثمانين بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٢١، افتتاح سلسلة من المحاضرات، متبنياً دوراً تثقيفياً للجمهور الدمشقي، فإنه وضع ضمن برنامجه، وإكمالاً لرسالته الثقافية العامة

- Ibid, T.g, P. ٩٧٩.

(٤٤) الشبكة الدولية للمعلومات» (انترنت)، موقع الـ:Académie française»
www. Academie -française. fr/.

التي ارتآها، والتي وجد أنه يخدم عبرها اللغة العربية في المجال الشعبي، إلقاء محاضرات خاصة على السيدات، في موضوعات أدبية وعلمية وأخلاقية. وتقرر هذا المبدأ في الخامس من كانون الثاني سنة ١٩٢٣(٤٥).

وفي الحقيقة حدث جدل طويل حول قيام «المجمع» بإلقاء محاضرات على الجمهور، أكان ذلك للرجال أم للنساء وانقسم الأعضاء إلى ثلاث فئات: فئة رأت أن «المجمع» قد أُسس لإحياء اللغة العربية وتطويرها، وإغنائها بالجديد من المصطلحات الحديثة، ولاسيما العلمية منها؛ فهو مركز للبحوث اللغوية والأدبية، يستقي أهل الاختصاص باللغة العربية من معينه حاجتهم، ويعمل على نشر ما توصل إليه في بحوثه في أوساط العلماء العرب ليكون له صفة الشمول، ومن ثمَّ فإلقاء المحاضرات على الجمهور ليس من أهدافه وأعماله. وفئة ثانية من الأعضاء رأت أن تُلقى المحاضرات، ولكن لتكن في ميدان اللغة العربية وآدابها فحسب، وبذلك يبقى «المجمع» محافظاً على هدفه الكبير في إحياء اللغة العربية وإخصابها بالمصطلحات العلمية. أما الفئة الثالثة من الأعضاء فرأت أن يقوم المجمع بإلقاء محاضرات على الجمهور، على أن تتناول أنواع العلوم والفنون والآداب دون تخصيص، وأن تكون أهدافها الثقافة العامة، ولجميع طبقات الشعب. وهذه المحاضرات تخدم في الحقيقة اللغة العربية، لأنها ستلقى بلغة عربية فصيحة وسليمة، وسيتلقفها الجمهور المتعطش للثقافة واللغة الجميلة بشوق ولهفة، ويستفيد منها لغة وعلماً(٤٦).

ولكن على الرغم من هذا الاختلاف في الرأي حول تبني «المجمع» مبدأ إلقاء محاضرات تثقيفية على الجمهور، وعلى النساء بصفة خاصة، فإن «المجمع»

(٤٥) انظر أحمد الفتيح: تاريخ المجمع العلمي العربي بدمشق. مصدر سابق/ ٣٨.

(٤٦) المصدر نفسه/ ٧٤- ٧٥.

كان قد حزم أمره على السير في هذا الطريق، ولاسيما أنه لا يتعارض مع مهمته الأساسية وإنما يستكملها. والظاهر أنه كان بحاجة ماسة لمثل هذا العمل لإثبات وجوده، وتعريف الجمهور به، ولاسيما أن الجمهور العربي الشامي آنذاك، وبصفة خاصة المرأة، كان يفتقر إلى نواد ومؤسسات ثقافية تفتح أمامه آفاق المعرفة الحديثة، وتزيده ارتباطاً بلغته العربية الفصيحة. وفي الواقع لما ضعفت هذه الدوافع مع الزمن، وأصبح للمجمع «مجلته» ومطبوعاته، وانتشرت في دمشق وبقية بلاد الشام، الجمعيات الثقافية، والمعاهد التي تلقى فيها المحاضرات للرجال والنساء، وتوسع التعليم بجميع مراحله، فإن «المجمع» عمل على الإقلال من تلك المحاضرات، وانصرف إلى أعماله اللغوية الخاصة التي هي هدفه الأول.

وهكذا، أخذ «المجمع العلمي العربي بدمشق»، ولأكثر من ربع قرن من نشأته، يقوم بالوظيفة التثقيفية للجمهور، التي رأى إضافتها إلى مهامه. وقد هيأ برنامجاً خاصاً لهذا الغرض: على أن تلقى في كل أسبوع محاضرة في موضوعات أدبية، واجتماعية، وعلمية، وأن يكون المحاضرون من أعضاء المجمع، والعاملين فيه، وممن يكلفهم «المجمع» هذا الأمر. وقد يقترح «المحاضر» الموضوع أو«المجمع». وكانت المحاضرة تخضع للمراقبة قبل إلقائها، وذلك من لجنتين: إحداهما للنظر في موضوعها، وتضم الأساتذة: «فارس الخوري»[٤٧]، و«مسعود الكواكبي»[٤٨]، و«مصطفى

(٤٧) من كبار رجال السياسة والأدب في سورية (١٢٩٠– ١٣٨١هـ/ ١٨٧٣– ١٩٧٢م). درس بالجامعة الأمريكية ببيروت. وعمل ترجماناً للقنصلية البريطانية احترف المحاماة، وعين أستاذاً في معهد الحقوق، واختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. نفاه الفرنسيون إلى «أرواد» لتبنيه الحركة الوطنية. انتخب رئيساً لمجلس النواب السوري، فرئيساً للوزارة. له عدة مؤلفات – الأعلام، ج٥/ ١٢٨.

الشهابي»[٤٩]، و«عارف النكدي»[٥٠]، وثانيتهما للنظر في لغة المحاضرة، وتضم من الأساتذة «عبد القادر المبارك»[٥١]، و«سليم الجندي»[٥٢]، و«خليل مردم بك»[٥٣]، وخصص يوم الجمعة لإلقاء المحاضرات قبل الظهر للسيدات، وبعده للرجال طوال أيام السنة، ما عدا فصل الصيف. وتكون في رمضان بعد صلاة العشاء للرجال فقط. وكان يدعى الرجال لتلك المحاضرات عن طريق الصحف اليومية، أو عن

---

(٤٨) أديب حلبي (١٢٨١– ١٣٤٨هـ/ ١٨٦٥– ١٩٢٩م). من مؤسسي حزب الحرية والائتلاف المعارض لـ «جمعية الاتحاد والترقي». له أبحاث وشعر. كان نقيباً للأشراف في حلب، توفي بدمشق. — الأعلام، ج٧/ ٢١٦.

(٤٩) أمير من آل شهاب، وأديب لغوي، وعالم بالمصطلحات الزراعية. حصل على شهادة مهندس زراعي من فرنسة. آمن بالقومية العربية وعمل لها. له مؤلفات في السياسة والزراعة. وترأس «المجمع العلمي العربي» بدمشق لتسع سنوات. عاش خلال المرحلة (١٣١١– ١٣٨٨هـ/ ١٨٩٣– ١٩٦٨م).– الأعلام، ج٧/ ٢٤٥.

(٥٠) لبناني المولد (١٣٠٦– ١٣٩٥هـ/ ١٨٨٨– ١٩٧٥م)، ولكنه عمل في سورية وحمل جنسيتها. شغل وظائف قضائية وإدارية هامة، كرئاسة مجلس الشورى، ومحافظ جبل العرب. درّس علم الاجتماع في معهد الحقوق بدمشق. وكان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. وله عدة مؤلفات.– المصدر نفسه، ج٣/ ٢٤٥.

(٥١) أديب، جزائري الأصل. مولده ووفاته بدمشق (١٣٠٤– ١٣٦٤هـ / ١٨٨٧– ١٩٤٥م). عالم باللغة العربية له مؤلفات وشعر.– المصدر نفسه/ ج٤/ ٤٥.

(٥٢) أديب ولد في معرة النعمان، وانتقل إلى دمشق حيث استقر فيها وقرأ على علمائها (١٢٨٨– ١٣٧٥هـ/ ١٨٨٠– ١٩٥٥م). عمل في التدريس في ثانويات دمشق وفي كلية الآداب، له مجموعة من المؤلفات.– معجم المؤلفين السوريين/ ١٠٨.

(٥٣) أحد كبار الأدباء السوريين: مولده ووفاته بدمشق (١٣١٣– ١٣٧٩هـ/ ١٨٩٥– ١٩٥٩م). درّس الأدب العربي في كلية الآداب بجامعة دمشق، شغل مناصب وزارية، وكان رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق. وله عدة مؤلفات، وديوان شعر.– الأعلام ج٢/ ٣١٥.

طريق كتب ترسل إلى البارزين منهم. وجرت العادة أن يلقي أحد الشعراء بعد المحاضرة قصيدة في الحماسة، أو في موضوع يناسب المقام(٥٤). وتلقف الجمهور الدمشقي هذه المبادرة الثقافية بترحاب ولهفة، فتوافد على تلك المحاضرات، حتى غصت بهم القاعة المخصصة، لها في المجمع، ووقف المستمعون على النوافذ والأبواب(٥٥).

وقد تبدو الإجراءات التي اتخذها «المجمع» في محاضرات السيدات غريبة للوهلة الأولى بالنسبة لزمننا الحاضر، وإن كانت آنذاك منسجمة مع الواقع الاجتماعي المحافظ، إذ كان اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد، حتى للاستماع إلى محاضرة، أو لحديث طويل نسبياً، أمراً غير مستحسن وغير مستحبٍ. ومن ثم فقد خصَّ «المجمع» النساء دون الرجال بمحاضرات لا يحضرها الرجل، سوى المحاضِر. ويكون بناء «المجمع» أثناءها خالياً تماماً من الرجال والموظفين. ويقوم بتنظيم هذه «المحاضرات النسائية» إحدى المعلمات الفاضلات. وتدعى النساء لهذه المحاضرات بطريق أزواجهن أو أولياء أمورهن. إلا أنه مع تقدم الزمن، أخذت تُنشر دعوتهن في الصحف، على غرار ما كان عليه الأمر مع الرجال(٥٦).

وقد ألقيت في المجمع بين عامي ١٩٢١ و١٩٤٦، وهي نهاية مرحلة المحاضرات في «المجمع»، (٤٠٠) أربع مئة محاضرة، هذا مع انقطاع في بعض السنوات، وكان نصيب المرأة منها (٦١) واحداً وستين، أي ١٥% من المجموع. وقد كُلِّفت بعض الأديبات، والمثقفات، والمعلمات إلقاء قسم منها، وبلغ عددها (٣٥) خمساً وثلاثين. وقد تنوعت موضوعات مجموع المحاضرات، وخرجت في الحقيقة عن المقاصد اللغوية «للمجمع»، إلى مقاصد اجتماعية، وعلمية، وفنية،

(٥٤) أحمد الفتيح. المصدر نفسه/ ٣٨– ٣٩.

(٥٥) المصدر نفسه/ ٣٨.

(٥٦) المصدر نفسه/ ٣٨– ٣٩.

وأدبية، فكانت مزيجاً من المعارف، وتنطلق من ثقافات المحاضرين والمحاضرات، واتجاهاتهم الأدبية والعلمية، ومدى تجاوبهم مع التطور الفكري والحضاري في عالم الغرب. ويلاحظ في محاضرات السيدات بصفة خاصة، أنها كانت في معظمها اجتماعية وتوجيهية، وتدور حول المرأة بالذات، في آدابها، وأخلاقها، وحياتها الزوجية، وأمومتها، وتربية أولادها، وفي الموازنة بين التربية الشرقية والغربية، وفي حقوق المرأة في الإسلام، وفي واجباتها في الهيئة الاجتماعية، وفي أعلام نساء الإسلام. وهناك قلة من تلك المحاضرات النسائية عالجت موضوعات أدبية بحتة، أو لغوية(٥٧)، ولكن لم تلبث تلك الموضوعات النسائية التي كانت تلقيها المرأة نفسها، أن انعطفت مع الزمن، نحو الأدب ونقده، والمستجد في ميدان العلم، كالحديث مثلاً عن الشاعر «البحتري»، وعن «فن القصة»، و« شعر الفكاهة»(٥٨)، بل أخذت المرأة نفسها مع مرور السنين، وتطور الحياة الاجتماعية نحو الانفتاح، تلقي المحاضرة على الجمهور برجاله ونسائه، كما فعلت الأستاذة «جهان الموصلي»(٥٩) في موضوعها «مدام كوري: عبقرية المرأة

(٥٧) انظر موضوعات المحاضرات على الجمهور والسيدات، وأسماء المحاضرين والمحاضرات، وتواريخها، وعددها، المصدر نفسه/ ٤٠– ٧٣.

(٥٨) المصدر نفسه/ ٦٩، ٧٠.

(٥٩) جهان صالح الموصلي (١٣٣١– ١٤١٧هـ/ ١٩٠٢– ١٩٩٦م): حقوقية وإحدى رائدات الخدمة الاجتماعية والتربية في سورية. عملت مدرّسة ومديرة في المرحلة الثانوية من التعليم. مارست المحاماة، وانتخبت أثناء الوحدة السورية – المصرية عضواً في «الاتحاد القومي» و«مجلس الأمة». تولت أمانة سر «الاتحاد النسائي العربي العام». لها مساهمات في الأعمال الوطنية والاجتماعية، ولها مؤلفات في القانون. دمشقية المولد والوفاة– نزار أباظة ومحمد رياض المالح: إتمام الأعلام/ ٦٧– ٦٨.

تكشف عن أعظم سر من أسرار الكيمياء»، ومثلها الأديبة «عفيفة حصني»[٦٠] في موضوعها «التربية السورية ومبادئ التربية الحديثة».

وكان الرجال المحاضرون في جلسات السيدات هم إما من أعضاء «المجمع»، من أمثال الأساتذة: «محمد كرد علي»، و«عبد القادر المغربي»، و«عيسى إسكندر المعلوف»، و«أنيس سلوم»، و«محمد بهجت البيطار»[٦١]، أو من خارج «المجمع» ممن عُرف بعلمه وثقافته، ومعظمهم من الشيوخ، من أمثال الأساتذة: «أحمد النويلاتي»[٦٢]، و«عبد الله العلمي»[٦٣]، و«محمد علي ظبيان»[٦٤]، و«محيي الدين

(٦٠) من مواليد دمشق ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م. من أسرة الحصني التي عرفت بالعلم والأدب بدمشق. درست أولاً في دمشق، ثم التحقت بمعهد التربية – قسم اللغة العربية بجامعة عين شمس بالقاهرة. عملت مدرّسة للغة العربية في ثانويات البنات بدمشق ومديرة؛ كما عملت أيضاً في وزارة التربية المركزية بالقاهرة أثناء الوحدة السورية – المصرية. شاعرة متميزة، لها مؤلفات وعدة دووين.– معجم المؤلفين السوريين/ ١٣٢.

(٦١) ابن الشيخ محمد بهاء الدين البيطار. أصل الأسرة من الجزائر. درس العلوم الدينية. ودرّس في المدارس الثانوية في دمشق، وفي المملكة العربية السعودية. وحاضر في كلية الآداب السورية. وكان عضواً في «المجمع العلمي العربي بدمشق». له عدة مقالات. ميلاده ووفاته بدمشق (١٣١١– ١٣٩٦هـ/ ١٨٩٤– ١٩٧٦)– معجم المؤلفين السوريين/ ٧٥– إتمام الأعلام/ ٢٢٤.

(٦٢) من رجال العلم الديني، واعظ شهير، وأحد مدرسي الجامع الأموي، ومن حفظة القرآن على العشرة. الحصني: منتخبات لتواريخ دمشق، ٣أجزاء في مجلد واحد. بيروت ١٩٧٩/ ٩١٣– ٩١٤. (لم يُذكر تاريخ الوفاة والميلاد).

(٦٣) عبد الله بن محمد (١٢٧٨– ١٣٥٥هـ/ ١٨٦١– ١٩٣٦م)، عالم فاضل، كان مفتشاً للمعارف في القدس، وانتخب رئيساً لبلدية غزة، ثم استقر في دمشق وتوفي فيها. وكان يلقي دروساً في التفسير في الجامع الأموي– الأعلام، ج٤/ ١٣٣– ١٣٤.

(٦٤) أحد قضاة الشرع في أقضية دمشق. ومن الشعراء الذين اشتهروا بالأدب والفضيلة. منتخبات التواريخ لدمشق/ ٨٩٤. لا ذكر لتاريخ ميلاد أو وفاة.

الخاني»[٦٥]، و«خالد نقشبندي»[٦٦]، و«سعيد مراد الغزي»[٦٧].

أما السيدات اللائي كلِّفن إلقاء المحاضرات على النساء فكنَّ كما أشير سابقاً، إما أديبات، أو معلمات، أو ممن جمعن بين التعليم، والأدب، والنشاط الاجتماعي. ومنهن السيدات: «مسرة الأدلبي»[٦٨]، والأديبة «ماري عجمي»[٦٩]، و«سارة الخطيب»[٧٠]، و«روز شحفة»[٧١]، و«فلك دياب»[٧٢]،

(٦٥) هو ابن أحمد بن محمد الخاني. نسبة أسرته إلى خان شيخون «قرب معرة النعمان. مولده ووفاته بدمشق. توفي ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م كان معلماً، وألف كتباً. وقرظه «الحصني» في كتابه/ ٨٨٦- ٨٨٧- الأعلام، ج٧/ ١٨٩.

(٦٦) ابن أخ «خالد النقشبندي» الكبير. كان أحد علماء دمشق ومن مشاهير وعاظها. منتخبات التواريخ/ ٨٤٤.

(٦٧) عالم حقوقي. عُيِّن أستاذاً للحقوق المدنية ببيروت، وبمعهد الحقوق بدمشق. له خطب ومؤلفات. توفي بدمشق سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م- الأعلام ج٧/ ١٤٢.

(٦٨) من المعلمات النشيطات آنذاك كما ذكر بعض معارفها. لم يعثر لها على ترجمة موثقة.

(٦٩) أديبة كبيرة وشاعرة (١٣٠٥- ١٣٨٥هـ/ ١٨٨٨- ١٩٦٦م). أصلها من حماة، تمكنت من العربية والإنكليزية. أسست «النادي الأدبي النسائي» بدمشق، وأنشأت «مجلة العروس»، وكتبت في الصحافة والإذاعة في الأقطار العربية والمهجر- الأعلام ج٥/ ٢٥٤- عيسى فتوح: أديبات عربيات شهيرات جزءان. دمشق ١٩٩٤، ج١/ ١٢٥- ١٣٨.

(٧٠) من المعلمات اللائي عرفن بنشاطهن التعليمي والثقافي. لم يعثر لها على ترجمة موثقة.

(٧١) أديبة ولدت في بيروت سنة ١٨٩٠ من أبوين لبنانين، وتعلمت في المدارس الأمريكية والإنكليزية في لبنان. انتقلت إلى سورية مع زوجها السوري «سرحان شحفة» سنة ١٩٠٩، ثم عادت إلى لبنان، وتولت رئاسة الاتحاد النسائي فيه. كتبت مقالات كثيرة وخطباً، جمعها لها «جرجي نقولا» في كتاب أسماه «وحي الأمومة»، صدر سنة ١٩٥٠. ودعت إلى

و«فلك الطرزي»[٧٣]، و«ثريا الحافظ»[٧٤]، و«عزيزة حشيمي»[٧٥]، و«مقبولة شلق» [٧٦]، و«وداد سكاكيني»، و«عدوية الطباخ» [٧٧]، و«لميس الشهابي»[٧٨]،

الإصلاح الاجتماعي، وعملت في «النادي الأدبي النسائي» بدمشق. عيسى فتوح: مصدر سابق، ج١/ ٦٣– ٦٥.

(٧٢) مدرسة نبيهة ومثقفة. أسهمت مع زميلات لها في تأسيس «جمعية الندوة الثقافية النسائية بدمشق». كان لها بعض محاضرات. تزوجت من الاقتصادي السوري «السيد أنور الدسوقي». مولدها ووفاتها بدمشق (١٩١٣– ١٩٨٠م) لم يعثر لها على ترجمة موثقة.

(٧٣) أديبة دمشقية. مولدها ووفاتها بدمشق (١٩١١– ١٩٧٤م). درست في المعهد الفرنسي العربي (اللاييك). نشرت مقالات في الصحف السورية واللبنانية. لها كتاب «آرائي ومشاعري» – معجم المؤلفين السوريين/ ٣١٧.

(٧٤) ابنة الشهيد أمين لطفي الحافظ. مولدها ووفاتها بدمشق (١٩١٢– ٢٠٠٠م). نالت شهادة «دار المعلمات» بدمشق. وعملت معلمة فمدرسة في الثانوي، ومديرة لعدة مدارس. لها نحو مئتي مقالة ومحاضرة، وحديث إذاعي. أسست «منتدى سكينة» الأدبي، وكان يعقد في بيتها كل أسبوعين مرة، ويضم ثلة من الأدباء والأديبات والمفكرين. اقترنت بالأستاذ «منير الريس» صاحب جريدة «بردى». لها مواقف قومية عربية ووطنية= =تشهد لها بالإخلاص والصدق في النضال. كما كان لها نشاط اجتماعي محمود. ألفت بعض المقالات والقصص. – معجم المؤلفين السوريين/ ١١٥– ١١٦.

(٧٥) مدرسة للغة الإنكليزية في ثانويات دمشق. لها نشاطها الاجتماعي والثقافي. لم يعثر لها على ترجمة موثقة.

(٧٦) أديبة دمشقية (١٣٤٠– ١٤٠٧هـ/ ١٩٢١– ١٩٨٦م) تميزت في ميدان القصة تخرجت من كلية الحقوق بدمشق، وعملت بالتدريس. وتخصصت من باريس بـ «دور الحضانة ورعاية الطفولة». أسست «جمعية حماية الطفولة» في قرى الغوطة. من مؤلفاتها: «قصص من بلدي»، و«أغنيات قلب»، ولها ديوان شعر. عيسى فتوح: المصدر نفسه ج١/ ١٥٥– ١٦٢ وإتمام الأعلام/ ٢٨٩.

(٧٧) من المثقفات الدمشقيات، لم يعثر لها على ترجمة مدوّنة.

و«مديحة حمودة»[٧٩]، و«ريمة كرد علي»[٨٠]، و«قمر قزعون»[٨١]، و«مديحة برازي»[٨٢]، و«نديمة منقاري»[٨٣]، و«خيرية الريّس»[٨٤]، و«منيرة المحايري»[٨٥].

(٧٨) من المعلمات النشيطات في الميدان الثقافي والتعليمي. لم يعثر لها على ترجمة مدوّنة.

(٧٩) من المعلمات النشيطات في الميدان الثقافي والتعليمي. لم يعثر لها على ترجمة مدوّنة.

(٨٠) ولدت في دمشق سنة ١٩١٦، وجذبتها الثقافة إليها مبكراً. فعملت وزميلات لها على تأسيس «جمعية الندوة الثقافية النسائية»، وهي لاتزال تعمل إلى اليوم رئيسة لتلك الجمعية. لها نشاطها الثقافي والاجتماعي. اقترنت بالدكتور الطبيب «بشير العظمة». وليس لها ترجمة مدوّنة.

(٨١) من مواليد دمشق ١٩١٧، واستهواها العلم والثقافة. فكانت عضواً مؤسساً ونشيطاً في «جمعية الندوة الثقافية النسائية» ولاتزال. وجذبتها الخدمة الاجتماعية، فكانت رئيسة لجمعية «الهلال الأحمر» في سورية. اقترنت بالطبيب «منير شورى». ولها كلمات أدبية في عدة مناسبات.

(٨٢) معلمة نشيطة في ميداني التربية والثقافة. لم يعثر لها على ترجمة مدوّنة.

(٨٣) أديبة وصحفية نشيطة وفعالة (١٣٣٢– ١٤١٣هـ/ ١٩٠٤– ١٩٩٢). ولدت بحلب، ودرست الفرنسية بمدرسة الأرمن الكاثوليك، وتخرجت من دار المعلمات، وعملت في التعليم. أصدرت بحماة مجلة «المرأة» وانتقلت بها إلى حلب. ولما توقفت أصدرتها ثانية بالاشتراك مع الأستاذ «حمدي طربين». وكان يشد أزرها زوجها «محمد عطا الله الصابوني». أقامت في منزلها ندوات أدبية وفكرية، كما كانت لها نشاطات ثقافية أخرى. – معجم المؤلفين السوريين/ ٥٠٢– إتمام الأعلام/ ٣٠١– عيسى فتوح: المصدر نفسه ج١/ ٢١٥– ٢١٨.

(٨٤) من المعلّمات النشيطات. لم يعثَر لها على ترجمة مدوّنة.

(٨٥) منيرة المحايري المرعشلي: ولدت في القاهرة، وتخرجت من دار معلمات دمشق. عملت معلمة، ومدرسة ومديرة في ثانويات دمشق، ومفتشة للغة العربية (١٩٦٤– ١٩٦٦). نالت إجازة في الأدب العربي من مدرسة الأدب العليا في الجامعة السورية سنة ١٩٣٢. عملت مع زوجها الأديب والصحفي «فهمي المحايري»

وأحياناً لم تكن تذكر أسماء المحاضرات، وإنما كان يشار إليهن بنسبتهن فقط إلى أولياء أمورهن المعروفين، كأن يقال مثلاً في محاضرة للسيدات سنة ١٩٢٤، بأنها لـ «كريمة السيد شاكر الحنبلي»(٨٦)، وفي محاضرة أخرى بأنها لـ «كريمة السيد مصباح محرم»(٨٧). ولا يعرف بالضبط إذا كان عدم ذكر الاسم الصريح كان لمجرد إخفاء الاسم حتى لا تعرف تماماً صاحبته تمشياً مع بعض التقاليد الاجتماعية الشديدة، أو كنوع من التشويق لحضور المحاضرة، إذا نسبت المحاضرة لأبيها العالم أو الأديب.

ومع أن موسم المحاضرات قد دام حتى نهاية سنة ١٩٤٦، إلا أن «المجمع» رأى أن يقيم حفل تكريم للمحاضرين والمحاضرات، سنة ١٩٤٢، لأنه وجد أنه كان من أخصب السنين عطاءً: إذ استمرّ ثمانية أشهر دون انقطاع، وحظي بثمان

وهي أديبة وشاعرة. وكان لها زاوية في صحيفة زوجها «الحضارة». أسست وزميلات لها «جمعية خريجات دار المعلمات» سنة ١٩٢٨، التي أنشأت بدورها «ميتم دار كفالة الفتاة». أسهمت في عدة ندوات ومؤتمرات نسائية وثقافية. معجم المؤلفين السوريين/ ٤٧٨– ٤٧٩.

(٨٦) أحمد الفتيح: المصدر نفسه/ ٤٩. – وشاكر الحنبلي، ميلاده ووفاته بدمشق (١٢٩٣– ١٣٧٨هـ/ ١٨٧٨– ١٩٥٨م) تخرج من «المكتب الملكي في الآستانة»، وأصدر فيها جريدة «الحضارة»، مع الزهراوي. كما أصدر جريدة «القلم» وحرر جريدة العاصمة في دمشق. كان أستاذاً في معهد الحقوق بدمشق، ووزيراً للمعارف، فوزيراً للعدل. له عدة مؤلفات.– المصدر نفسه/ ١٥٤– ١٥٥.

(٨٧) أحمد الفتيح: المصدر نفسه/ ٤٧– مصباح محرم ولد في بيروت وتوفي بدمشق (١٢٧٠– ١٣٥٠هـ/ ١٨٥٤– ١٩٣١م). عالم بالحقوق وأديب. حمصي الأصل. تعلم في بيروت وتولى رئاسة محكمة الاستئناف فيها، وقام بالعمل نفسه في دمشق، وكان وزيراً للعدل مرتين. وصنف كتباً في الحقوق والقضاء– الأعلام ج٧/ ٩٨– ٩٩– الحصني/ ٩٠٣.

وثلاثين محاضرة في فروع العلم والأدب، قدمها نخبة من المحاضرين والمحاضرات، ونالت إعجاب الحاضرين. وقد أقيم الحفل في دار «المجمع»، وألقى رئيسه، وكان آنذاك الأستاذ الكبير «محمد كرد علي» كلمة أسدى فيها شكره للمحاضرين والمحاضرات، وأظهر فيها بصفة خاصة تقديره لنشاط المرأة، ورأى في إسهامها «ظاهرة في الحياة الثقافية الحاضرة تقرّ بها عين العلم والفضيلة، وتذكِّر بفضليات السلف من عالمات، ومحدثات، وأديبات، أخذ الرجال عنهن فضلاً عن النساء». وألقى على أثره الدكتور الأستاذ «موفق الشطي»[٨٨]، بالنيابة عن رفاقه المحاضرين، خطاباً أثنى فيه على «المجمع» وأعضائه، ورفاقه المحاضرين، وخصَّ السيدات بالثناء لأبحاثهن القيّمة. وشبه موسم المحاضرات «بسوق عكاظ»، أو بمدرسة لتخريج المحاضرين والمحاضرات في «فن المحاضرة». وانبرت بعده الأديبة السيدة «منيرة المحايري»، فتحدثت بدورها نيابة عن رفيقاتها المحاضرات، ونوّهت بر«المجمع» الذي أقام «المحاضرات النسائية»، وأكدت أنه كان لها أثرها في رفع مستوى الثقافة النسائية بدمشق، كما بينت أن «المجمع» لم يكتف بذلك، بل ألف من النساء لجنة دعاها «لجنة المحاضرات النسائية»، ففسح بذلك المجال أمام المرأة الدمشقية كي تتلافى أسباب تأخرها، وتذلل الصعوبات التي تعترضها[٨٩].

ولا يعرف بالضبط إذا كان «المجمع» قد فسح للمرأة في مرحلة نشأته الأولى سبل الإسهام في نشاطاته العامة، من حفلات تكريم أو تأبين لأدباء وعلماء وشعراء عرب ففي تأبين الأستاذ المرحوم «طاهر الجزائري» سنة ١٩٢٠، لم يعثر على ما يشير إلى اشتراك المرأة به، حضوراً على الأقل، مع أنه أسهم في ذلك

(٨٨) هو أحمد شوكت بن عمر الشطي (١٣١٧– ١٣٩٩هـ/ ١٩٠٠– ١٩٧٨م). من كبار أعلام الطب في دمشق، ومن المؤلفين في بابه، وفي الحضارة العربية. معجم المؤلفين السوريين/ ٢٧٧– ٢٧٨– إتمام الأعلام/ ٢٧– ٢٨.

(٨٩) انظر: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. المجلد (١٧)/ ٥٥٨– ٥٦٢.

الحفل، نحو ستة آلاف طالب، وعالم، وأديب[٩٠].

والشيء ذاته يقال في حفلات تكريم وتأبين أخرى لعلماء وأدباء وشعراء[٩١]، ماعدا حفل تكريم الشاعر الكبير «حافظ إبراهيم»، في السابع عشر من حزيران ١٩٢٩، إذ ذُكر حضور «عشرات من فضليات السيدات بدمشق في مكان خاص بهن»[٩٢]. والأمر نفسه كان في حفل تأبين أمير الشعراء «أحمد شوقي» في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٢، إذ «حضر نحو مئة من عقائل دمشق وأوانسها»[٩٣]. ولما نظم المهرجان «الألفي للمتنبي»، واستمر لستة أيام خلال المعرض الصناعي الكبير في دمشق سنة ١٩٣٦، يبدو أن «المجمع» لم يحسب حساب المرأة، إذ لم تشر المصادر المتوافرة بأن المرأة قد شاركت فيه حضوراً أو إسهاماً، مع أنه اشترك به نخبة من أدباء الوطن العربي[٩٤]. إلا أنه في «المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري»، الذي دام ستة أيام، وافتتح في الثاني من شهر شوال ١٣٦٣هـ/ ٢٥ أيلول ١٩٤٤م، ودعي له كثير من أقطاب الفكر في الوطن العربي كله وخارجه، وشملت حفلاته مدن القطر العربي السوري الرئيسة، فتح الباب أمام المرأة لتتبوأ مكاناً مساهماً فيه مساهمة فعلية ومَثّلت المرأة فيه الأستاذة «جهان الموصلي» من دمشق بموضوع عنوانه «المعري والمرأة»[٩٥].

ومع أن المرأة كما اتضح، لم تنجح في شق طريقها إلى «عضوية المجمع»،

(٩٠) أحمد الفتيح: المصدر نفسه/ ٨٣.

(٩١) أحمد الفتيح: المصدر نفسه / ٨٣– ٨٩، ٩٣، ٩٤.

(٩٢) المصدر نفسه / ٨٩.

(٩٣) المصدر نفسه / ٩٢.

(٩٤) المصدر نفسه / ٩٥– ٩٩.

(٩٥) المصدر نفسه / ١٠٠– ١٠٨.

فإنها على ما يبدو اكتسبت تدريجياً ثقته. فقد آتى التعليم الجامعي للفتاة في سورية أكله، وازداد عدد الخريجات في مختلف فروع المعرفة، وشرع «المجمع» يستعين بعدد من الآنسات والسيدات في تسيير بعض شؤونه الإدارية، وتحقيق بعض أهدافه العلمية، ولا سيما في مجال «نشر التراث العربي». وقد يكون من أول من أقدم على العمل في هذا الميدان، «الآنسة ملك هنانو»، التي قدمت خدماتها «للمجمع» عن طريق الإسهام في متابعة تحقيق مخطوط «تاريخ دمشق» الضخم «لابن عساكر» (المتوفى ٥٧١هـ/ ١١٧١م).

ومما يؤسف له أنه لم يعثر في «محفوظات المجمع» على شيء كثير عنها، ولكن يتبين ممن عرفها، ومما يتداوله زميلات لها وزملاء في «المجمع»، بأنها كانت خريجة «الجامعة الأمريكية» ببيروت. وهي من مواليد مدينة حلب سنة ١٩٢٨، وتتقن إلى جانب اللغة العربية اللغة الإنكليزية، وقد تكون على معرفة بالعبرية، بدليل ما أتى في بحثها القيّم «من التوراة»، المنشور في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» سنة ١٩٦٤[٩٦]. وقد عملت بجد وعلم في وضع فهارس لأسانيد «ابن عساكر»، في المجلدة العاشرة من تاريخه الكبير. وقد طُبع ما أنجزته من هذه الفهارس، و«المجمع» يحتفظ بها، إلا أن العمل لم يُستكمل، إذ انفصلت عن «المجمع» دون سبب معروف، وانقطع اتصالها به، وإن كان بعض من يعرفها في «المجمع»، وبقي على بعض صلة معها، ولوقت ليس بعيداً جداً عن حاضرنا، يذكر بأنها أعلمته بأنها

(٩٦) إن البحث هو تحقيق لرقٍّ عن «التوراة» عُثر عليه في «قبة الخزنة» بالجامع الأموي بدمشق، وقد دلّها عليه الأستاذ «الأمير جعفر الحسني»، وكان أمين سر «المجمع» آنذاك. وقد رفدته بنسخة من «التوراة» مترجمة إلى العربية من قبل «سعديا الفيومي»، وهي أقدم ترجمة وصلتنا، وكانت لدى الأستاذ الدكتور «عبد الهادي هاشم» الأمين العام المساعد آنذاك في وزارة الثقافة السورية. انظر المجلد (٣٩)، ج٢/ ٣١٣– ٣٣٣، وج٣/ ٤٤٧– ٤٦٨، وج٤/ ٦٤٦– ٦٥١.

لا تزال تعمل في تلك الفهارس[٩٧].

وهناك أيضاً «السيدة روحية نحاس»[٩٨]، التي عملت هي الأخرى في تحقيق قسم من مخطوطة «تاريخ دمشق» «لابن عساكر»، مع الأستاذ المرحوم الدكتور «شكري فيصل»[٩٩]، ضمن ورشة العمل التي كوّنها عندما كان أميناً «للمجمع». فأسهمت في إخراج المجلدة(٣١) (من عاصم إلى عائذ)، والمجلدة (٣٢) (من عُبادة إلى عبد الله بن ثُوَب). وتابعت العمل في هذا المجال بعد أن انفكت عن «المجمع»، واشتركت مع الأستاذ «مطيع الحافظ»[١٠٠]، في تحقيق «مختصر تاريخ ابن عساكر» لابن منظور[١٠١].

(٩٧) إن ما ذكر هو بعض معلومات شفوية استقيت بصفة خاصة من الأستاذ «علي صندوق»، وكان من العاملين في «المجمع» المعاصرين لها.

(٩٨) لم يعثر مع الأسف على ترجمة لها. وقد استقيت بعض أخبارها من زميلاتها في «المجمع».

(٩٩) أديب عربي سوري، دمشقي المولد ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م. تابع دراسته في القاهرة وحصل منها على إجازة الدكتوراه في الآداب. عمل أستاذاً بكلية الآداب بجامعة دمشق. كان له نشاط ثقافي واسع، وعني بدراسة المخطوطات. كان عضواً في «المجمع العلمي العربي بدمشق» وأميناً له، وخلّف مؤلفات كثيرة. عمل في المملكة العربية السعودية وتوفي في جنيف إثر عملية جراحية، ودفن بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥. إتمام الأعلام/ ١٢٢– ١٢٣.

(١٠٠) باحث سوري نشيط من دمشق ومن مواليد ١٩٤٠. كان قيّماً لمكتبة «المجمع العلمي العربي بدمشق»، اهتم بنشر المخطوطات وإنتاجه في هذا المجال وفير. عمل أيضاً في «مركز جمعة الماجد» في الإمارات العربية المتحدة، وحصل على درجة الدكتوراة في الآداب.

(١٠١) هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل (٦٣٠ – ٧١١هـ / ١٢٣٢– ١٣١١م) الإمام اللغوي الحجة. ولد بمصر وتوفي فيها. وترك بخطه خمسمئة مجلد. وقام باختصار كتب الأدب. أشهر كتبه «معجم لسان العرب» في عشرين مجلداً. الأعلام ج ٣٢٩/٧.

ومن السيدات اللائي فُتح باب «المجمع» أمامهن للعمل فيه أيضاً، الأستاذة المرحومة «أسماء الحمصي»[١٠٢]، وقد عُيّنت مديرة «للمكتبة الظاهرية» التي هي جزء من « المجمع». وقد صدر عنها أثناء عملها مؤلَّفها «المدرسة الظاهرية»، وأبدت اهتماماً خاصاً هي الأخرى بالتراث، فراجعت سنة ١٩٦٨ كتاب «التنبيه على حدوث التصحيف» لـ «حمزة الأصفهاني»[١٠٣]، الذي حققه الأستاذ المرحوم الدكتور «محمد أسعد طلس»[١٠٤]. كما أنها حققت مع الأستاذ الأديب «عبد المعين الملوحي»[١٠٥] كتاب «الحماسة الشجرية» لابن الشجري[١٠٦]. وراجعت

(١٠٢) مدرّسة متميزة للغة العربية وآدابها في ثانويات دمشق للبنات، وفي المملكة العربية السعودية. ذات ثقافة واسعة، ونشاط تعليمي وعلمي. ميلادها ووفاتها بدمشق (١٩٢٥– ١٩٩٧م)– معرفة شخصية، وانظر أيضاً «معجم المؤلفين السوريين»/ ١٤٩.

(١٠٣) مؤرخ وأديب من أهل أصفهان (٢٨٠– ٣٦٠هـ/ ٨٩٣– ٩٧٠م). من مؤلفاته: «تاريخ أصفهان» . و «الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية»، و«تاريخ سني ملوك الأرض».– الأعلام، ج٣/ ٢٧٧.

(١٠٤) أستاذ في الآداب، في الجامعة السورية بدمشق، عمل مدة من الزمن قائماً بأعمال المفوضية السورية بطهران وأثينا. شغل وظيفة أمين عام وزارة الخارجية السورية. غادر سورية إلى العراق وتوفي سنة ١٩٥٩. له عدد وفير من المؤلفات التاريخية والأدبية، وتحقيقات في كتب التراث.– معجم المؤلفين السوريين/ ٣١٩– ٣٢٠.

(١٠٥) أديب عربي سوري. ولد في حمص سنة ١٩١٧، عمل مدرساً للعربية في التعليم الثانوي، ومديراً للمراكز الثقافية زار عدداً من البلاد العربية والإسلامية. له كثير من المؤلفات، والمقالات، والقصص– المصدر نفسه/ ٤٩٣– ٤٩٤.

(١٠٦) هو هبة الله بن علي (٤٥٠– ٥٤٢هـ/ ١٠٥٨– ١١٤٨م)، من أئمة العلم باللغة والأدب وأحوال العرب. ميلاده ووفاته ببغداد. كان نقيب الطالبيين، وله عدد من المصنفات وديوان شعر.– الأعلام، ج٨/ ٧٤.

أيضاً «فهرس مخطوطات الطب والصيدلة» في «دار الكتب الظاهرية» بدمشق سنة ١٩٦٩، الذي وضعه الأستاذ الدكتور «سامي حمارنة»[١٠٧]. وفَهْرست «مخطوطات النحو واللغة من علوم اللغة العربية» المحفوظة في المجمع سنة ١٩٧٣. وقامت فعلاً بتحقيق مخطوطة لمؤلف مجهول، كانت ضمن مخطوطات «المجمع»، وهي بعنوان «الجراثيم»، وكان يشك بنسبتها إلى «ابن قتيبة» (المتوفى ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)، وذلك بالاشتراك مع الأستاذة الدكتورة «عزيزة مريدن»[١٠٨]، الأستاذة في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة دمشق. وقطعت الأستاذتان شوطاً كبيراً في ذلك التحقيق، وكادتا تصلان إلى نهايته، إلا أن يد المنون داهمت «الأستاذة مريدن» في ٢٥ تموز ١٩٩٢، فتوقف العمل، وتبعتها الأستاذة «أسماء حمصي» في ٢ شباط ١٩٩٧م، فلم يتسنَّ للاثنتين نشره، بينما تمكن الأستاذ «محمد جاسم الحميدي» من تحقيقه ونشره عبر وزارة الثقافة السورية في جزأين سنة ١٩٩٧م.

وقام «المجمع» أيضاً بتشجيع بعض السيدات العاملات في تحقيق التراث من خارج «المجمع»، على نشر إنتاجهن بعد مراجعته، كنشره مخطوطة: «نضرة الإغريض

(١٠٧) أردني المنشأ، أمريكي المهجر. عمل في معهد «السميثسونيان» في الولايات المتحدة ثمانية عشر عاماً. اهتم بتاريخ النباتات والعقاقير. وله خبرة بمتاحف الطب والعلوم، وتاريخ الكتب المقدسة العلمي والحضاري، وهو من مواليد ١٩٢٥. (الترجمة مقتبسة من بحث «تاريخ العلوم» للدكتور المرحوم «عبد الكريم زهور»، في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٥٦/ ٦١٥).

(١٠٨) أديبة دمشقية المولد والوفاة (١٩٢٨– ١٩٩٢م). نالت إجازة الدكتوراة في الآداب من جامعة القاهرة. عملت مدرّسة للغة العربية وآدابها في ثانويات دمشق، وفي المغرب. لها عدة مؤلفات وبحوث في الأدب العربي الحديث، والشعر، والقصة، وبصفة خاصة في أدب المهجر.– إتمام الأعلام/ ١٨٥، و–معجم المؤلفين السوريين/ ٤٨٢.

في نصرة القريض»، «للمظفر بن الفضل العلوي» العراقي (المتوفى ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، الذي قامت بتحقيقه الدكتورة «نهى عارف الحسني» من الجامعة اللبنانية، وذلك سنة ١٩٧٦. والشيء ذاته يقال عن نشر «المجمع» في العام نفسه، مخطوطة «الملمَّع»، «لأبي عبد الله الحسين بن علي النَمَري» (المتوفى ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، بعد أن قامت بتحقيقها الدكتورة «وجيهة السطل»[١٠٩]. وكذلك عندما أصدر «المجمع» «ديوان طَرَفة بن العبد[١١٠]، شرح الأعلم الشَنْتَمري»[١١١]، سنة ١٩٧٦، بتحقيق الأستاذة «درية الخطيب»[١١٢]، وزوجها الأستاذ «لطفي الصقال»، و«ديوان أبو الفتح البُستي»[١١٣]، سنة ١٩٨٩ للمحققين نفسيهما. كما قام «المجمع» سنة ١٩٧٦

(١٠٩) دمشقية المولد والنشأة، نالت إجازتي الماجستير والدكتوراه من جامعة دمشق. عملت مدرّسة للغة العربية وآدابها في دمشق وفي المملكة العربية السعودية.

(١١٠) شاعر جاهلي معروف (٨٦- ٦٠ ق.هـ/ ٥٢٨- ٥٦٤م) ولد في بادية البحرين وتنقل في نجد، كان من ندماء الملك «عمرو بن هند». إلا أن هذا الأخير أمر عامله بقتله وهو شاب في العشرين من عمره، لأبيات ذُكر له أنه هجاه بها. اشتهر بمعلقته. الأعلام ج٣/ ٢٢٥.

(١١١) هو يوسف بن سليمان الشَنْتَمَري الأندلسي (٤١٠- ٤٧٦هـ/ ١٠١٩- ١٠٨٤م). عالم بالأدب واللغة عاش في قرطبة وتوفي بإشبيلية. له شروح لعدد من الدووين الشعرية. الأعلام ج٨/ ٢٣٣.

(١١٢) من مواليد مدينة حلب، مجازة في الآداب من جامعة دمشق. مدرسة للغة العربية وآدابها في ثانويات حلب. تزوجت من الأستاذ «لطفي الصقال». وعمل الاثنان في تحقيق المخطوطات. ومنها غير ما ذكر «ديوان علقمة الفحل بشرح الشنتمري»، وتتمة «ديوان الصنوبري»- معجم المؤلفين السوريين/ ١٦٧.

(١١٣) هو علي بن محمد أبو الفتح البُستي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ/ ١٠١٠م. شاعر عصره وكاتبه. كان من كتاب «الدولة السامانية» في خراسان. خدم الأمير سبكتكين وابنه يمين الدولة محمود. له ديوان شعر.- الأعلام، ج٤/ ٣٢٦.

بنشر «تصنيف العلوم والمعارف» الذي وضعه الأستاذ المرحوم الدكتور «يوسف العش»[١١٤]، وراجعته السيدة «سماء المحاسني»، المشرفة على القسم الأجنبي في مكتبة المجمع سابقاً.

ولم يقتصر عمل «المجمع» على نشر ما حققته، أو راجعت تحقيقه، أو صنفته، بعض السيدات من التراث، وإنما استقطب أيضاً من يمكنه منهن العمل في هذا المجال. فقد انتُدبت السيدة «نشاط غزاوي» (المولودة ١٩٣٢)، مدرّسة التاريخ في ثانويات دمشق للمجمع، وكلفت بتحقيق جزء من «تاريخ دمشق» «لابن عساكر»، فأنجزت منه «السيرة النبوية» التي نشرت بجزأين في سنتي ١٩٨٤ و١٩٩١م.

وقد تكون من أولى الأستاذات اللائي انكببن في «المجمع» على تحقيق التراث بهمة عالية، ودأب ومثابرة، الأستاذة «سكينة الشهابي». إذ جنّدت نفسها من سنة ١٩٧٣ وإلى الآن لمتابعة تحقيق «تاريخ دمشق» «لابن عساكر»، وتمكنت خلال هذه الحقبة أن تنجز(٢٨) ثمانية وعشرين مجلداً: عشرون منها نشرها «المجمع»، وأربعة نشرت خارجه، وأربعة أخرى في طريق النشر. ولقد أسهمت وتسهم في نقد بعض المؤلفات المحققة، كنقدها على سبيل المثال، كتاب: «الحدائق الغناء في أخبار النساء»، للمؤرخ «علي بن محمد المعافري»[١١٥]، وقد حققته الدكتورة «عائدة الطيبي»، من تونس[١١٦]،

(١١٤) من مواليد طرابلس الشام سنة ١٩١٩، ومن أبوين سوريين– نال إجازة الدكتوراة في الآداب من السوربون بباريس. تنقل بين عدد من الوظائف العلمية والثقافية الهامة. كان مديراً لمعهد المخطوطات العربية في القاهرة. توفي سنة ١٩٨٧– معجم المؤلفين السوريين/ ٢٥٣.

(١١٥) هو علي بن محمد بن جميل المعافري المالكي (المتوفى ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨) انتقل من الأندلس واستقر بالقدس. وأقام سنة في دمشق، وأخذ عن «أبي محمد القاسم» ابن المؤرخ

كما نشرت وتنشر بعض البحوث القيّمة. بين آونة وأخرى في «مجلة المجمع».

وممن نشط في مجال «التحقيق» أيضاً في «المجمع»، الدكتورة «وفاء تقي الدين» (المولودة ١٩٤٦) التي عملت في مخطوطة «التنوير في الاصطلاحات الطبية». «لأبي منصور الحسن بن نوح القَمَري»[١١٧]، وأتبعتها بمخطوطة «مشيخة ابن عساكر». وكانت قيّمة لمكتبة المجمع منذ ١٩٨٠، إلا أنها لظروف خاصة بها استقالت من العمل سنة ١٩٩٦، لتعمل في المملكة العربية السعودية، ولم تنقطع عن نشر بعض أعمالها في «مجلة المجمع»، ومنها «معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير» في كتاب «القانون» لابن سينا.

ومن السيدات في «المجمع» اللائي عملن في غير مجال نشر التراث، السيدة «غزوة بدير»، التي صنعت الجزء السادس من فهارس مجلة المجمع، وأسهمت في فهارس «السيرة النبوية» تحقيق السيدة «نشاط غزاوي»؛ والسيدتان «فادية محيي الدين»، و«سماء محاسني»، اللتان قامتا بنشر بعض البحوث والدراسات في «مجلة المجمع».

وإذا كان «مجمع اللغة العربية بدمشق» قد فسح المجال للنشاط العلمي للمرأة في ميدان التحقيق، وفي نشر إنتاجها، فإنه لم يبخل عليها، وإن كانت من خارج المجمع، بنشر بحوثها المتنوعة في مجلته بعد تقويمه لها، وبالتعريف

الشهير ابن عساكر – دائرة المعارف الإسلامية – الطبعة الجديدة بالفرنسية. المجلد ٥/ ٩٠٢.

(١١٦) انظر النقد في «مجلة المجمع» المجلد ٥٨/ ٣٩٥- ٤١٢.

(١١٧) من أهالي بخارى، عاش أيام الأمير منصور الساماني، وأدركه «ابن سينا»، وانتفع به في صناعة الطب. له عدة مصنفات في الطب، منها كتاب «التنوير» المشار إليه أعلاه- الأعلام ج٢/ ٢٢٤.

أحياناً بما تنشر أو التعليق عليه. ومن يراجع فهارس البحوث والدراسات في «مجلة المجمع»، منذ نشأتها وحتى الوقت الحاضر، وهي سبعة أجزاء، يرى عدداً من البحوث القيمة التي تناولتها أديبات عربيات، لا من بلاد الشام فحسب وإنما من البلاد العربية الأخرى، من أمثال الدكتورة «عائشة عبد الرحمن» (بنت الشاطئ) من مصر، والدكتورة الشاعرة «عاتكة الخزرجي» من العراق، و«وديعة طه نجم» وغيرهن. كما عرّف «المجمع» في مجلته ببعض إنتاج الأديبة «وداد سكاكيني»، والأديبة «عنبرة سلام الخالدي»، و«سلمى حفار الكزبري»، و«الدكتورة نشأة ظبيان» وغيرهن.

وقد يكون أكبر مثال على تقدير «المجمع» لإنتاج المرأة الأدبي، ترشيحه الأديبة «سلمى حفار الكزبري»[(١١٨)]، سنة ١٩٩٤ «لجائزة الملك فيصل العالمية»[(١١٩)]. وبالفعل فقد منحت الأديبة المرشحة تلك الجائزة في موضوع «الدراسات التي تناولت أعلام الأدب العربي الحديث». وكانت دراستها الفائزة عن الأديبة «مي زيادة».

وفي الحقيقة، يلاحظ اليوم أن عدداً غير قليل من العاملين في المجمع هو من النساء، إذ يؤلفن ما يعادل ٦٢% من المجموع. وقسم منهن جامعيات

(١١٨) ولدت في دمشق ١٩٢٢، درست العربية والفرنسية، وتزوجت من «محمد كرامي» من طرابلس، عادت بعد وفاة زوجها إلى دمشق، واقترنت بالسيد «نادر الكزبري». تنقلت مع زوجها في بلدان عديدة كالأرجنتين وشيلي، وإسبانية. شاركت في عدة مؤسسات اجتماعية ومؤتمرات لها عدة مؤلفات من روايات ودراسات أدبية، كما لها ديوان شعر، وقصص.– معجم المؤلفين السوريين/ ١٣٣– ١٣٤.

(١١٩) انظر الترشيح في التقرير السنوي لأعمال المجمع في الدورة المجمعية ١/ ٩/ ١٩٩٣– ٣١/ ٨/ ١٩٩٤– مجلة المجمع، المجلد ٧٠/ ١٦٣– ١٦٤، وإعلام المجلس بالفوز بالجائزة في جلسته الثامنة بتاريخ ١١/ ١/ ١٩٩٥، المجلد (٧١)/ ٤٢٣.

وبتخصصات متنوعة، وتسهم بعضهن في اللجان المختلفة في المجمع.

وختام القول، إن مجمع اللغة العربية بدمشق، قد سعى منذ مرحلة نشأته الأولى، إلى الاهتمام – ولو بقدر– بتثقيف المرأة؛ كما كان له نصيب خلال مراحل حياته، في توجيه أنظارها نحو التراث، وتشجيعها على إخراجه للنور، محققاً تحقيقاً علمياً سليماً، ونشره. وساعدها أيضاً ولو بطريق غير مباشر، على متابعة إنتاجها الأدبي بثقة، عن طريق فتح مجلته أمام التعريف به أحياناً ونقده، وأحياناً أخرى بنشر المستجد منه والقيّم. وفي الوقت نفسه، استفاد من نشاط المرأة في أعماله الإدارية. إلا أنه لايزال ضنيناً على المرأة بعضويته، إذ لم يدخله حتى الوقت الحاضر، عضواً عاملاً، أي بعد ثلاث وثمانين سنة من تأسيسه سوى سيدة واحدة، وكان ذلك سنة ٢٠٠١م[١٢٠]؛ ولم تنل عضويته المراسلة سوى سيدتين، إحداهما من سورية وهي الأستاذة الدكتورة «فاتن محجازي»، وثانيتهما من مصر، وهي الأستاذة الدكتورة «وفاء كامل فايد» وذلك في سنة ٢٠٠٢م. ولكن لما كان الطريق قد شُقّ، فإن المرأة ستجد مكانها في عضويته العاملة، على نطاق أوسع مما هو عليه الآن، لتعمل مع بقية الأعضاء من الرجال على حماية اللغة العربية، وتعزيز مكانتها، وإغنائها، والارتقاء بها باستمرار، لتواكب التطور الحضاري العلمي العالمي، ولاسيما في ميدان العلوم والتقنيات المعاصرة.

هذا، ولابد من الإشارة في آخر المطاف إلى أن الحديث عن «مجمع اللغة العربية بدمشق» والمرأة، لما يكتمل، لأنَّ على هذا «المجمع»، والمجامع العربية اللغوية الأخرى، أن تبحث عما يمكن للمرأة العربية المتعلمة أن تقدمه بصفة خاصة لدعم اللغة العربية الفصيحة على لسان الأجيال، لا عن طريق التعليم في مراحله المختلفة فقط، أو عن طريق الإعلام بكل وسائله فحسب– وهي قد غدت اليوم عنصراً أساسياً ومحركاً فيهما– ولا عن طريق تدوين

(١٢٠) [هي الأستاذة الدكتورة ليلى صباغ / المجلة].

المعجمات المتنوعة، وإنما عن طريق «البيت»، والحياة اليومية؛ أي عن طريق «تعويد» أبنائها وأبناء الأمة، بل وجميع من تكون بصلة مباشرة معهم من الرجال والنساء، تعويدهم النطق والتخاطب بلغة عربية فصيحة، وبسيطة، وسليمة، تُنفى منها الكلمات الأجنبية، والعامية، الشائعة على الألسن اليوم، والمشوهة للغة. وإنها لقادرة، وهي الملتصقة بمرحلة النطق الأولى لأبناء الأمة، وخلال مراحل حياتهم كلها، وبمساعدة رجل الأسرة وبقية أفرادها، أن تقوّم ألسنتهم لفظاً ولهجة. ولا أقول جديداً إذا أكَّدت أن اللغة الصحيحة المنطلقة على اللسان عفوياً، هي أكبر ضمان للحفاظ على اللغة العربية وحمايتها، ولاسيما إذا مُكِّن لها بالتعليم اللغوي السليم، والإعلام الملتزم بفصاحة اللغة العربية وبلاغتها. إنها أمنية غالية، قد يراها كثيرون بعيدة المنال، ومن الصعب تنفيذها، ولاسيما ونحن في «عصر العولمة» حيث أريد للقوميات أن تتخلى عن خصوصياتها، وبصفة خاصة إذا كانت ضعيفة أمام حضارة غربية طاغية، باقتصادها، وعلمها، وثقافتها، وسلاحها. ولكن مَنْ يسرْ على الدرب بتخطيط سليم، وإيمان وإخلاص، يصلْ، ولو تعثَّر مرات ومرات.

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

فهرس موضوعات مجلة اللسان العربي

من العدد ١ – ٤٧

(القسم الثالث)

إعداد

الأستاذ عدنان عبد ربه

(فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٨ الجزء ٢)

فهرس موضوعات مجلة اللسان العربي

من العدد ١–٤٧

(القسم الثالث)[1]

إعداد عدنان عبد ربه

حرف الكاف

عنوان المقال	اسم المؤلف	رقم العدد والصفحة
الكاف التمثيلية...	أ. عبد الله كنون	١٣٠/١/٩
كانت اللغة العربية من مصادر البحث العلمي قديماً فلماذا لا تكون مرجعاً اليوم؟	أ. محمد طه النمر	٩٦/٥
كتاب «أخطاء لغوية»	تأليف أ. عبد الحق فاضل مراجعة: أ. محمد شيت صالح الحياوي	١٥٦/١/١٨
كتاب سيبويه في المغرب والأندلس	أ. محمد حجي	١٢/ ١/ ٨٦
الكتاب العربي في سوريا	أ. هيثم الكيلاني	١٧٥/٣
الكتاب العربي وقيمته بالمغرب	أ. محمد إبراهيم الكتاني	١٨٤/٣
كتاب «علم اللغة وصناعة المعجم» للدكتور علي القاسمي	بقلم: د. نايف خرما	١٥٣/١/١٨
كتاب فقه اللغة للثعالبي في قالب	المكتب الدائم للتعريب	١٣٩/٢

(١) نشر القسم الأول في المجلد ٧٦ الجزء الرابع من ص ٨٥١– ٨٩٢ ونشر القسم الثاني في المجلد ٧٧ الجزء الثاني من ص ٢٧٧– ٣١٠.

جديد		
كتاب «المستدرك» في التعريب	أ. محمود تيمور	١١٩/١
كتاب «المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية» للدكتور محمد رشاد الحمزاوي	بقلم: د. علي القاسمي	١٤٩/١/١٨
كتاب الواضح في علم العربية	تأليف أ. محمد بن الحسن الزبيدي تحقيق: د. أمين علي السيد	٢٩١/١/١٢
الكتاب والثقافة في ليبيا	أ. محمد بن مسعود	٢١٤/٣
الكتابة بين السريانية والعربية	د. محمد علي الزركان	٥٣/٤٠
الكتب العربية في العلوم أقل مستوى من الكتب العلمية العربية	أ. أحمد الخضر	١٨٩/٥
الكتب اللغوية الجديدة	د. علي القاسمي	٢٢١/١/١٦
الكتب اللغوية الحديثة	المكتب الدائم للتعريب	٢٥٥/١/١٧، ١٤٧/١/١٨
كتب لغوية ومعجمية حديثة...	–	٣٤٦/٢١
كشاف بأسماء الباحثين والكتاب في مجلة اللسان العربي	المكتب الدائم للتعريب	٣٥٩/٣/١٠
الكشف عن معجم لغوي مفقود في بغداد	د. عبد الهادي التازي	٣٣٥/١/٨
كلمات افتتاح ندوة «تطوير منهجية وضع المصطلح العربي	–	٩/٣٩
الكلمات الأكدية في اللغة العربية والكلمات المستعارة من السومرية	أ. فاضل طلال القريشي	٧٤/٤١
كلمات تحتضر ...	أ. محمد بن تاويت	١٨٧/٢/٧
كلمات روسية دخيلة في العربية	د. سليم يوسف	١٨٢/٣٧

كلمات عربية في اللسان الإسباني	أ. إلياس قنصل	١٨٢/١/١١
كلمات عربية في اللغة الإسبانية	تأليف أ.:عدلي طاهر نور عرض وتقديم أ. محمد محمد الخطابي	٧/٣/١٠
الكلمات غير الفصاح في معجم الصحاح	أ. سميح أبو مغلي	١٦٥/١/١٦
الكلمات القرآنية في اللغة الإنكليزية	أ. عبد المجيد البكري	١٦١/٤
كلمات الوفود المشاركة في المؤتمر الخامس للتعريب	–	٥٥/٢٧
كلمة وزير التعليم والتربية للجماهيرية العربية الليبية ورئيس اللجنة الوطنية لليونسكو والإلكسو في المؤتمر الثالث للتعريب	د. محمد أحمد الشريف	١١/٣/١٥
كلمة الاختتام للمدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في المؤتمر الثالث للتعريب	د. محيي الدين صابر	٨٨/٣/١٥
كلمة وكيل وزارة التربية الجزائرية ورئيس المؤتمر الثاني للتعريب	أ. عبد الحميد مهرى	٢٩/٣/١٥
كلمة افتتاح ندوة «تطوير منهجية وضع المصطلح العربي ...»	د. عبد الكريم خليفة	١٣/٣٩
كلمة مدير مكتب تنسيق التعريب في حفل افتتاح اللقاء الطبي الأول	د. أحمد شحلان	١٥/٤٣
كلمة الدكتور ممدوح حقي في مؤتمر الفلسفة والعلوم الاجتماعية	د. ممدوح حقي	٤٦٢/١/٩
كلمة رئيس جامعة القاضي عياض في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	د. محمد الكنيدري	١٨ /٤٧

كلمة رئيس شعبة اللغة العربية بكلية الآداب في المغرب في ندوة المصطلحات الموحد	د. محمد بلاجي	١٧ /٤٦
كلمة رئيس قسم المعاجم بمكتبة لبنان	د. أحمد شفيق الخطيب	١٥٢ /٤٧
كلمة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	د. عبد الكريم خليفة	١٣٧ /٤٧
كلمة رئيس مجمع اللغة العربية بالسودان في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	د. عبد الله الطيب	١٤٠ /٤٧
كلمة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في المؤتمر الثالث للتعريب	د. محيي الدين صابر	٩/٣/١٥
كلمة السيد وزير التربية الوطنية التي ألقاها بالنيابة السيد عبد القادر مخلص قيدوم –كلية العلوم – السملالية – مراكش	–	١٣/٤٣
كلمة في مؤتمر مصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع...	د. إبراهيم مدكور	٤٥٩/١/٩
كلمة المجمع العلمي العراقي في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	د. منذر نعمان بكر التكريتي	١٤٨ /٤٧
كلمة مدير تنسيق التعريب في ندوة المصطلحات الموحدة في المغرب	د. عباس الصوري	١٥/٤٦
كلمة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في افتتاح مؤتمر التعريب الخامس في الأردن	د. محيي الدين صابر	٩/٢٦
كلمة مدير مكتب تنسيق التعريب	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٧/٣/١٥

في المؤتمر الثالث للتعريب		
كلمة مدير مكتب تنسيق التعريب في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	د. عباس الصوري	٤٧/ ١٥
كلمة منسق ندوة المصطلحات في المغرب	د. عبد الغني أبو العزم	١٩/٤٦
كلمة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	–	٤٧/ ٢٤
كلمة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ندوة «تطوير منهجية وضع المصطلح العربي...»	د. أحمد شحلان	١٧/٣٩
كلمة نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	د. عبد العزيز بنعبد الله السنبل	٤٧/ ٢١، ١٥٥
كلمة الهيئة العليا للتعريب بالسودان في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	د. دفع الله الترابي	٤٧/ ١٤٣
كلمة وزير الثقافة الأردني في ندوة «تطوير منهجية وضع المصطلح العربي...»	د. محمود السمرة	١١/٣٩
كلمة وفد الاتحاد العربي للسكك الحديدية في المؤتمر الخامس للتعريب	م. مرهف صابوني	٧١/٢٧
كلمة وفد السودان في المؤتمر الخامس للتعريب (نبذة عن تاريخ حركة التعريب في السودان)	د. تاج السر الحسن	٥٩/٢٧
كلمة الوفد السوري في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	د. إحسان النص	٤٧/ ١٤٦
كلمة الوفد الفلسطيني في مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	د. محمد البطراوي	٤٧/ ١٥٠

كلمة وفد الكويت إلى المؤتمر الخامس للتعريب	–	٥٥/٢٧
كلمة الوفد المغربي في المؤتمر الخامس للتعريب	–	٦٥/٢٧
كلمة الوفد المغربي مؤتمر التعريب الثامن والتاسع	–	١٥٣ /٤٧
كلية جديدة للطب في طنطا	د. عمر الجارم	٣٧٨/١/٧
الكوفية والعقال	أ. أنستاس ماري الكرملي	٢٠٨/٣/١٠
كيف انطلقت النهضة الفكرية الحديثة...؟	أ. محمد جميل بيهم	٨٧/٦
كيف تبلور الفكر العربي في علم الطب؟	د. شوكت الشطي	٧١/٦
كيف تطورت لغة الصين الجديدة	أ. ليوشوسيانغ	١٣٥/٤
كيف تفجرت طاقات اللغة العربية	أ. حامد حسن	٣٨/٦
كيف تلين لغة الضاد للتعبير عن لطائف الفكر ومشاغل العصر؟	أ. عمرو أحمد عمرو	٦٥/٢٣
كيف تم التعريب في الجمهورية العربية المتحدة؟	د. جمال الدين الشيال	٤٩/٢
كيف نشأت اللغة في المجتمع البشري؟	أ. خليل عبد الله	١٦٩/١/٧
كيفية تعريب السوابق واللواحق في اللغة العربية	د. التهامي الراجي الهاشمي	٦٣/٢١

حرف اللام

لآلئ العرب/ معجم حديث للمعاني	أ. سالم رزق	٢٥١/٣، ٣٣٣/٢/١١، ١٣٧/٢/١٢، ٢٤٥/١٣
اللائحة الداخلية للمؤتمر الثالث	المكتب الدائم للتعريب	٧٦/٣/١٥

للتعريب		
اللائحة الداخلية لمكتب تنسيق التعريب	المكتب الدائم للتعريب	٣٥٧/١٣
لا اتزان إلا بالأوزان	أ. إدريس بن الحسن العلمي	١٢٧/٤٥
لا تلازم بين اللغة وانتشار الإسلام..	د. محمد عبد الرحمن مرحبا	٢٥٣/٦
لا صلة بين اللغة العربية والوعي الإسلامي	أ. عبد الرحمن بشناق	١٢٣/٦
اللجان الثقافية للمكتب الدائم للتعريب	المكتب الدائم للتعريب	٣٢٩/٣
لجان المؤتمر الثالث للتعريب	المكتب الدائم للتعريب	٧٨/٣/١٥
اللجنة الأردنية للتعريب	أ. عيسى الناعوري	٦٢/٢
اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر في نشاطها الغامر	المكتب الدائم للتعريب	٢٦١/١/١٠
اللجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب	–	٢٤٠/١/١٥
لسان أهل المغرب في القرآن...	أ. أبو فارس	٣١٣/١/١٧
اللسان العربي شعار الإسلام	أ. عز الدين الخطيب التميمي	١٣٣/٦
اللسان العربي يحكي قصة نشأة الإنسان واللسان	د. جعفر دك الباب	١٧/٣٣
اللسانيات المرضية: تأملات في النظرية على أسس تصنيف الاضطرابات اللغوية...	د. عامر جيار صالح النداف	٤١/٣٨
اللسانيات والعلم والتكنولوجيا	د. مازن الوعر	١١/٢٢

لغات الأمم المتحدة: البابلية أم التكاملية؟	أ. محمد ديداوي	١٤٧/٣٤
اللغات السامية في مجال علم اللغات	أ. محمد سليم رشدان	٤٤/١/٧
لغتنا الأصيلة	د. حازم البكري	١٦٩/١٣
لغتنا في خدمة الطب والعلم	د. حبيب صادر	٢٠٣/٥
اللغة الأكدية: توأمة اللغة العربية الفصحى	أ. إحسان محمد جعفر	٢٥/٢٨
اللغة الأم	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٧/١/١١
اللغة الإنسانية (نشأتها، فلسفتها، مفهومها، تطورها)	أ. أحمد عبد الرحيم السايح	٤٩/١/٩
لغة البادية	أ. عبد الله بن خميس	١٦٩/١/٨
اللغة بين الفرد والمجتمع	د. عبد الغفار حامد هلال	١٣/٢٣
اللغة العربية (قصيدة)	أ. أنور العطار	٢٩٠/١/٩
اللغة العربية أسمى اللغات وأكملها	أ. روكس بن زائد العزيزي	١٢٣/٥
اللغة العربية انتشرت بفضل المد الحضاري للإسلام...	أ. عبد العزيز حسين	٢٣٧/٦
اللغة العربية بين التأثر والتأثير	أ. محمد السيد علي بلاسي	١٤١/٣٤
اللغة العربية بين شعوب العالم	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	٢٣٠/١/١٥
اللغة العربية بين اللغات السامية	أ. أحمد عبد الرحيم السايح	٣٢/١/٧

اللغة العربية بين مؤيديها ومعارضيها	أ. ياسين رفاعية	٣٤/٦
اللغة العربية بين الواقع والادعاء	أ. محمد محمد الخطابي	١٣٩/١/١٤
اللغة العربية تضيء دور الإسلام	أ. عبد القدوس الأنصاري	١٦٤/٦
اللغة العربية تماشي الأمة العربية إلى الأمام لأنها جزء حي منها...	أ. إلياس قنصل	٨٢/١/١٠
اللغة العربية الحديثة	أ. فانسان مونتي تلخيص: أ. جمال الدين البغدادي	٧٦/١
اللغة العربية: دورها وأهميتها	د. جوزيف بيلاوسكي ترجمة: أ. محمد بن زيان	٢٤٩/١/٧
اللغة العربية صالحة	أ. فاخر عاقل	١٤٦/٥
اللغة العربية صالحة للتدريس الجامعي	أ. كيفور ميناجيان	١٨١/٥
اللغة العربية صالحة ولكن المصطلح العلمي يتطلب التنسيق	د. أنور بكير	١٠٣/٥
للغة العربية طاقات خلاقة ولكن تنقصنا وسائل التنسيق	د. أحمد شوكت الشطي	١٣٦/٥
اللغة العربية على المحك	أ. خليل الهنداوي	٤٨/٥
اللغة العربية «الفصحى والعامية»	أ. فو لكهارد فيندور	٢٨٦/١/١٠
اللغة العربية في إفريقيا	أ. الخليل النحوي	٩/٣٦
اللغة العربية في جامعة جنيف	المكتب الدائم للتعريب	١٣/٣/١٠
اللغة العربية في ظل القرآن	أ. أحمد عبد الرحيم السايح	٣٠٤ /١/١٧

اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية...	أ. أنطون شال ترجمة: أ. إدريس الخطابي	٧٥/١/١٠
اللغة العربية في مواجهة مفهوم التعريب	أ. إدريس بن الحسن العلمي	١٥٥/٣٤
اللغة العربية في المؤتمر الإفريقي التاسع	المكتب الدائم للتعريب	٢٥٩/١/١٠
اللغة العربية في الهند بين الماضي والحاضر والمستقبل	د. معين الدين الأعظمي	١٤٠/١/١٨
اللغة العربية قوام الوحدة منذ ثلاثة آلاف سنة بين الشام والخليج والمحيط	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٢٤٣/١/١٦
اللغة العربية لا تنقصها القوة الذاتية التي تجعل منها لغة عالمية	جامعة عين شمس القاهرة	١٠٦/٥
اللغة العربية لغة عالمية بفضل الإسلام	أ. محمد أبو الفرج العش	١٩٨/٦

اللغة العربية ليست قاصرة عن استيعاب المعرفة	د. شكري فيصل	٧/١/١٢
اللغة العربية: ماضيها وحاضرها للدكتور إبراهيم السامرائي	بقلم: د. ابتسام مرهون الصفار	٢٥٦/١/١٧
اللغة العربية مرآة ينعكس عليها تخلف العرب	د. محمد فاضل الجمالي	١٦١/٥
اللغة العربية نبتت وتطورت بفضل الإسلام	أ. رشاد دارغوث	٢٥٠/٦
اللغة العربية وآثارها وراء المحيط الأطلنطيكي...	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٥/١/١٧
اللغة العربية وأثر القرآن في	أ. الفاروقي الرحالي	١٢١/١/٧

تطورها		
اللغة العربية والبحوث الاقتصادية	د. إبراهيم دسوقي أباظة	٢١٦/١/٩
اللغة العربية وتحديات العصر	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٧/١٣
اللغة العربية والتطور	أ. محمد العربي الخطابي	٢٨/١
اللغة العربية والتقدم العلمي والتكنولوجي في هذا العصر	أ. شحادة الخوري	٣٧/٢٦
اللغة العربية والحضارة الإنسانية	د. وجيه حمد عبد الرحمن	٧/٣٥
اللغة العربية والشعوب الإسلامية	د. أحمد نصر الدين الغندور	٢١٥/٦
اللغة العربية والعالم الحديث	أ. شارل بيلا	٥٠/٥
اللغة العربية وعلوم العصر	د. عائشة عبد الرحمان	١٥/١٣
اللغة العربية وفعاليتها في الحقل العلمي	أ. المهدي بن عبود	٢٣١/٣
اللغة العربية وقيم الإسلام	أ. محمد عبد المالك الكتاني	٢٨٠/٦
اللغة العربية واللغة اللاتينية (مقارنة تاريخية)	أ. ساطع الحصري	٥٣/١/١٤
اللغة العربية ومصطلحات الحضارة الحديثة	أ. سليم طه التكريتي	٢٠٩/١/١٧
لغة العلم المعاصر	د. إبراهيم مدكور	١٧/٢٧
اللغة عنصر من عناصر الحياة	أ. الياس قنصل	١٨٦/١/٨
لغة القرآن	أ. محمد بهجة الأثري	٣٢٠/٥
لغة القرآن هي المقوم الأساسي لوحدة المسلمين	أ. محمد صغير حسن المعصومي	١٥٢/٦
لغة القرآن وذكرى نزول	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٥ /٦

القرآن...		
لغة القرآن واللغات السامية	أ. عبد السلام هارون	٢١٩/٦
اللغة، الكلام والكتابة	د. محمد ياسر حماد سليمان	٢٣/٢٩
لغة الكيمياء والبتروكيمياء معجم فرنسي انجليزي عربي	د. مصطفى ديبون	٢٧٥/٢٧/٢٩٧/٢٦، ١٩٣/٢٨
اللغة ليست كائناً مستقلاً بذاته	د. سليمان قطاية	١٤٤/٥
اللغة المالطية لهجة عربية كتبت بحروف لاتينية	أ. إحسان محمد جعفر	٧٣/١/١٦
لغة الموسيقى كأداة للتعبير الفني	أ. سعيد الديوه جي	٢٢٢/١/١٠
اللغة والتعبير	تأليف: أ. جورج مونان تعريب: أ. محمد سبيلا	٧٥/٢٦
اللغة والمجتمع الإنساني	أ. أحمد عبد الرحيم السايح	١٤/٦، ١٩٣/١/٧
اللغة والمهن: «اللغة الخاصة ودورها في الاتصال»	بقلم: هـ. فيلبر ترجمة: أ. محمد حلمي هليّل د. سعد مصلوح	١٣٥/٣٣
اللغة الولوفية بالسينغال	أ. إبراهيم نياس	١٧٢/٦
اللغة ووضع المصطلح الجديد	د. وجيه حمد عبد الرحمن	٦٧/١/١٩
اللغة اليونانية واللغة العربية	أ. عبد القادر الريحاوي	١٩٦/٦
اللغويات التطبيقية ومعجمها	د. محمد حلمي هليّل	٣٥/٢٢
اللغويون أو علماء العربية في المغرب	أ. عبد العزيز بنعبد الله	٣٠٤/٣/١٠، ٣٠٩/١/١٢
اللغويون قديماً وحديثاً	أ. محمد شيت صالح الحياوي	٥١/٢٠

اللفظ ومحتواه التصوري	أ. جورج ماطوري ترجمة: د. عبد العلي الودغيري	٦٩/٣٦
اللفظ ومستواه الصوابي من خلال «موطئة الفصيح» لابن الطيب الشرقي	د. عبد العلي الودغيري	٣٥/٢٩
لقاء مع الدكتور أحمد سعيدان	أ. محمد محمد الخطابي	٢٨٣/١/١٠
للنهوض باللغة العربية يجب	د. عبد الكريم الأشتر	١٤٨/٥
لماذا ازدهرت اللغة العربية؟	د. عبد الرحيم بدر	٢٢٩/٦
لمحات من التأثيل اللغوي	أ. عبد الحق فاضل	٨/٤
لمحات من حضارة العرب في العلوم	د. جمال الدين الرمادي	١١٣/٤
اللهجات العامية... لماذا؟ وإلى أين؟	د. حسني محمود	١٧/٢٠
اللهجات العربية والوجوه الصرفية	د. نهاد الموسى	١٥٣/١/١٢
لولا الإسلام لكانت العربية مجرد لهجة...	أ. محمد الحاج صدوق	٢٨٤/٦
لولا الإسلام لما أصبحت العربية لغة عالمية...	اللواء محمد شيت خطاب	٢٠٣/٦
لولا أن العربية لغة القرآن لكان مصيرها مصير اللاتينية...	د. عبد العزيز مطر	٢٢٢/٦

حرف الميم

المادة المصطلحية الحديثة في المعجم المفصل في الأدب (لمحمد	د. محمد الخطابي	٧٣/٤٦

التونجي)		
ماذا جرى لمعجم روجت؟	أ. عبد المجيد الماشطة	١٥٥/٢٥
ماذا نتوخى في المعجم العربي للناطقين باللغات الأخرى؟	د. علي القاسمي	١١٣/٢٠
ما رأي المجامع والمختصين في مزج الضاد بالظاء؟	أ. محمد شيت صالح الحياوي	٢٠٣/٣١
(ما) هكذا يا سعد تورد الإبل...	أ. حسن سعيد الكرمي	١٩٦/٣٨
ما هو المكتب الدائم؟	أ. عبد الحق فاضل	٣/٣/١٠
ماهية اللغة وخصائص الوسط الناقل لها	د. محمد الخليفة الأسود	٦٩/٣٥
المائدة المستديرة الأولى لحوض البحر الأبيض المتوسط/ باريس ١٩٧٩	المكتب الدائم للتعريب	٢٨٥/١/١٧
مبادئ اللسانيات العامة للدكتور: أندريه مارتينيه ترجمة: د. أحمد الحمو	عرض: أ. جواد حسني عبد الرحيم	٣٥٣/٢٥
مبادئ المعجم العربي الإنجليزي للتعابير الاصطلاحية العربية	د. عبد الفتاح أبو السيدة	٢٠٨/٣٦
متابعات ثقافية	–	٢٤٥/٢٤، ٣٤١/٢٥، ٣٢٥/٢٦، ٣٠٢/٢٧، ٢٥٩/٢٨، ٢٦٩/٣٠، ٢١٧/٣٢، ١٩٩/٤٠
متاعب اللغة العربية في العصر الراهن	د. عبد الله الصوفي	٩٩/١/١١
متخير الألفاظ (لأحمد بن فارس)	حققه: أ. هلال ناجي	٣٣٧/١/٨
متخير الألفاظ	أ. سليمان هادي الطعمة	٣٢٦/١/٩

المترجم: ما له وما عليه؟	أ. عمرو أحمد عمرو	١٥١/٢٧
مترجم المستقبل: استعباد الآلة أم استبعادها؟	أ. محمد ديداوي	١٤١/٣٥
المترجم والمعجم الثنائي اللغة...	د. علي القاسمي	١٢١/٣٧
متنوعات	المكتب الدائم للتعريب	٣٠٥/١/١٢
المثل الصريح وما يجري مجراه من الأشكال التعبيرية في كتب الأمثال القديمة عند العرب	أ. سالم مرعي الهدروسي	٥٩/٤٥، ٢١٤/٤٦
المثل المقارن بين العربية والإنكليزية	د. ممدوح حقي	٣٩٣/٢/١٠
مجامع اللغة العربية في الوطن العربي	المكتب الدائم للتعريب	٢٢٥/١/١٦
المجامع اللغوية العربية	المكتب الدائم للتعريب	٣٤٩/٢٣
مجلس البحث العلمي الأردني	المكتب الدائم للتعريب	٤٦٦/١/٩
المجلس التنفيذي لمكتب تنسيق التعريب في دورته الثانية	المكتب الدائم للتعريب	٣٠٢/٤
المجلة العربية لبحوث التعليم العالي	عرض: أ. جواد حسني عبد الرحيم	٣٥٩ /٢٦
مجلة المجلات	–	٣٤١/٣، ٣٥٥/٤، ٣٥١/٥، ٥٩٦/٦
مجلة المجلات: اللغة العربية	أ. أحمد العايد	٥٤٨/١/٨
المجمع العلمي العراقي	رئيس المجمع العلمي العراقي	٩٨/١
المجمع العلمي العربي بدمشق	المكتب الدائم للتعريب	٩٦/١
مجمع اللغة العربية الأردني (تأسيسه وأهدافه ومنجزاته)	المكتب الدائم للتعريب	٢٢٦/١/١٦ وانظر (أنباء عامة)
مجمع اللغة العربية الأردني في	د. عبد الكريم خليفة	١٩/٣/١٥

المؤتمر الثالث للتعريب		
مجمع اللغة العربية [بالقاهرة] في ثلاثين عاماً ١٩٣٢-١٩٦٢ مجموع القرارات العلمية	مجمع القاهرة	٢٩٧/٣
مجمع اللغة العربية بالقاهرة	المكتب الدائم للتعريب	٩٢/١
محاضرة بكلية العلوم بالرباط للأستاذة فاختة	وضع المقابل العربي: أ. عبد الرحمن العلوي	٢٥٩/٢/١٧
محاضرة عن التعريب والمعاصرة والتكنولوجيا	د. محيي الدين صابر	٢٦١/٢٨
محاولة لاقتراح وجمع مصطلحات زراعة الأنسجة... (انجليزي – فرنسي – عربي)	أ. عبد الوهاب زايد وأ. عبد العزيز تكسانة	٢٥٣/٢٥
محنة القومية العربية	أ. أحمد الصوفي	١٣٦/١/٧
المختصرات المعتمدة في الهندسة والتكنولوجيا (انجليزي – عربي)	د. فاضل حسن أحمد	١٦١/٢٥، ٢٣١/٢٧، ٢٦٩/٢٩
المختصرات المعتمدة في الهندسة والتكنولوجيا (جزء خاص بالجمعيات) (انجليزي – عربي)	د. فاضل حسن أحمد	٢٤٣/٣٠، ٢١٣/٣١، ٢٠٣/٣٢
مخططات الأصوات العربية	د. عامر جيار صالح النداف	٨٣/٣٦
مخطوطة (كتاب اللغات في القرآن) رواية ابن حسنون المقرئ المصري بإسناده إلى ابن عباس	د. توفيق محمد شاهين	١٣٩/٢٧
مدى تفاعل اللغة مع قضايا النمو الاجتماعي	الإدارة العامة للثقافة بوزارة الدولة الليبية	٥٥/٣/١٥

مدخل إلى اللغويات التطبيقية	س. بيت كوردر ترجمة: أ. جمال صبري	٦٤/١/١٤، ١٩٧/١/١٦
المدرسة اللغوية الدمشقية الحديثة...	د. جعفر دك الباب	٧٥/٣٧، ٧٤/٣٨
مراجعة اللسان	أ. إدريس العلمي	٢٢٥ /٤٧
مراحل التعريب الأولى في المغرب	د. عباس بنعبد الله الجراري	٣٥٩/١/٧
مراحل نشأة الكلام الإنساني	د. جعفر دك الباب	٢٧/٢٥

المراكز الحالية والمقبلة لانتشار اللغة العربية	تأليف: د. محمد السيد غلاب ود. محمد حسن عبد القادر صالح والأستاذ محمود شاكر تلخيص: أ. محمد أفسحي	١٢٤/١/١٨
مركز بحوث إسهامات المسلمين في الحضارة لترجمة أمهات الكتب في الحضارة الإسلامية	المكتب الدائم للتعريب	٣٠٦/٢٤
المركز القومي للإعلام والتوثيق	المكتب الدائم للتعريب	٦٨/٢
مرئيات مديرية المواصفات والمقاييس الأردنية حول موضوع المصطلحات	–	٧٣/٢٧
مزالق التعريب	مصلحة التعريب	٣٨/٥
مزالق التعريب...	أ. إدريس حسن العلمي	٥٧٠/٦، ١٤٤/١/١٤
المسابقة الثانية لمكتب تنسيق التعريب قرارات التحكيم	–	١٦/٣/١٠

المسابقة الرابعة لمكتب تنسيق التعريب دراسة حول القرآن والسنة	–	١٥/٣/١٠
مسابقة المكتب الدائم للتعريب	–	٨/ ١/ ٥٣٣، ٩/ ١/ ٤٧٣
مسألة السوابق واللواحق وطرق معالجتها	أ. محمد المغنم	٩٥/٢٤
مساهمات تونسية في وضع المصطلحات العلمية ...	أ. سعد غراب	٩٣/٣٩

المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي تحقيق إسماعيل أحمد عمايرة	د. سلمان حسن العاني	٣١/٢٠
مستحدثات	أ. عبد الحق فاضل	٥٢/٢/٧
المستدرك على معجم المعاجم	أ. عبد الله الجبوري	٤٢/٢/٨
مستدرك معجم السوابق واللواحق	جمع وترتيب د. رضا جواد	١٨/ ٢/ ٢٦٥
مستدرك معجم المعاجم العربية خلال مئة عام	أ. إسماعيل العبايجي	٤٤٠/١/٩
المستعربون الإسبان في ظل الحكم العربي	د. أسعد حومد	٣٠٧/٦
مستقبل العربية كلغة عالمية رهن بمستقبل العرب	د. عبد السلام العجيلي	١٣٧/٥
مستقبل العربية مرتبط بمستقبل الإسلام	أ. علي راضي أبو زريق	٢٧١/٦
مستقبل الكتابة العربية	أ. إحسان محمد جعفر	٢٤٤/١/١٧
المستقبل للغة العربية الفصحى	أ. هنري فليش	٨٦/٥
مستقبل اللغة العربية في العالم	أ.محمد بن إسماعيل ترجمة: أ. محمد محمد الخطابي	٢١٥/١/١٦

مستوى التعليم العربي في الميزان	أ. أحمد الأخضر	٥٥٥/٦
مسرد ببعض مصطلحات الزراعة ووقاية النبات	إعداد: أ. عزيز العلي	٢٢٩/٢/١٩
المسلمون الأعاجم ولغة القرآن...	د. عبد الرحمن حميدة	١٩٤/٦
المسلمون في باكستان تواقون إلى العربية	أ. محمد جمال الدين عبد الوهاب	١٥٤/٦
مسؤوليتنا أمام لغتنا العربية	د. محيي الدين صابر	٩/٢٧
مسيرة الاصطلاح الطبي في الغرب	ترجمة: أ. إدريس بن الحسن العلمي	١٩٣/٤٢
مسيرة التعريب ومشكلة المصطلح العلمي الموحد بجامعة الخرطوم	د. عبد العزيز الطيب إبراهيم	٢٢٣/٣٩
مشاريع معجمية	–	٢٢٧/٢٠، ١٢٩/٢٦، ١٦١/٢٧، ١١٩/٢٨، ١٩٥/٢٩، ٢٤١/٣٠، ١٦٥/٤٠،
مشاريع معجمية وقوائم مصطلحات	–	٢١٩/٢١، ١٥٩/٢٥، ٢١١/٣١، ١٧٥/٣٢، ١٦٠/٣٥
مشاكل التعريب: دراسة تطبيقية على التعليم الجغرافي الجامعي	د. أحمد رمضان شقيلة	١٠٥/٢٧
مشاكل التعريب في الصحافة الروسية	ترجمة: أ. ماليشفسكي	٣٥٤/٣
مشاكل التعريب اللغوية	د. محمد أبو عبده	١٠٣/١/١٩
مشاكل المترجم العربي في المنظمات الدولية	د. علي القاسمي	٣٧/٣٣
مشاكل نقل الأصوات اللغوية	أ. شارل بيلا	٨٥/١

مشاكل وضع المصطلحات اللغوية	د. محمد رشاد الحمزاوي	٧٥/١/١٨
مشاكل ومعوقات التعريب	د. محمود محمد الحبيب	١٧٧/١/١٧
«المشتركة» بين الفتح والكسر	أ. إدريس العلمي	١٣٣/١/١٦
مشروع خاص بمعجم صوتي للغتين العربية والانجليزية	د. ادوارد يوحنا	١٠٨/٢/١٧
مشروع دليل المصطلحات العربية الموحدة في العلوم الإدارية	المكتب الدائم للتعريب	٤٧/٢/١٠
مشروع الذخيرة اللغوية	–	= ورقة حول مشروع الذخيرة اللغوية
مشروع الذخيرة اللغوية العربية	الوفد الجزائري لمؤتمر التعريب السادس	٢٦/٣١ وانظر ورقة حول مشروع الذخيرة اللغوية
مشروع «راب» الدولي لترجمة مصطلحات الاتصالات السلكية واللاسلكية وتعريبها	تقديم: أ. الزبير الجيلاني موسى	٢٩٨/٢٤
مشروع سوري لشكل الكتب المدرسية	وزير التربية السوري	٥٧٨/٦
مشروع لتحويل الأطر في التعليم في أوائل السنة الدراسية ١٩٦٥-١٩٦٦	المكتب الدائم للتعريب	٦٩/٤
مشروع مصطلحات العين وأمراضها	د. صادق الهلالي ود. محمد حكمت وليد	١٣١/٢٦، ١٦٣/٢٧
مشروع معجم البيئة	إعداد: أ. المناصف محمد... مراجعة: أ. توفيق عمارين	٣١٣/٢/١٨
مشروع معجم التجارة	المكتب الدائم للتعريب	٣٥٢/٣/١٧
مشروع معجم الصناعة المعمارية (البناء)	المكتب الدائم للتعريب	٥٨/٣/١٧

مشروع معجم الطِّباعة...	المكتب الدائم للتعريب	١٥٥/٣/١٧
مشروع معجم الكهرباء	المكتب الدائم للتعريب	٥/٣/١٧
مشروع المعجم المبسط	د. محمد حسين علي	٢٩/٢/٧
مشروع معجم المحاسبة	المكتب الدائم للتعريب	١١٤/٣/١٧
مشروع معجم مصطلحات علم المواد	إعداد وتحقيق: د. نبيل عبد السلام هارون عرض: أ. هاشم منقذ الأميري	٣٥٥/٢٥
مشروع معجم الميكانيكا	المكتب الدائم للتعريب	١٨٩/٣/١٧
مشروع معجم النجارة	المكتب الدائم للتعريب	٤٢/٣/١٧
مشروع منهجية خاصة بتعريب المصطلح الطبي وإنجاز المعجم الطبي العربي	أ. إدريس بن الحسن العلمي	١٥٤/٤٠
مشروع الموسوعة المغربية	أ. عثمان الكعاك	١٢٣/٢
مشروع النظام الأساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية	المكتب الدائم للتعريب	٥٤٠/١/٨
مشروعات معجمية	–	١٤٥/٢٤، ١٨٩/٣٧، ١٠٢/٤١، ٢٢١/٤٢
مشروعات معجمية ومصطلحية	–	٢١٥/٢٢، ١٩٧/٢٣،
مشكلات العربية	الأمير مصطفى الشهابي	٣٥٧/٤
مشكلات اللغة والمصطلحات	د. يوسف الخوري	١٤٩/١/٧
مشكلة المصطلح التقني في صناعة المعجم العربي	المكتب الدائم للتعريب	٢٦٨/١/١٦
مشكلة وضع المصطلح	أ. محمد السويسي	٩/١/١٢
مصادر دراسات اللغة العربية	د. سلمان حسن العاني	٤٩/٢٦

– مراجعة وتقييم –	د. محمد أحمد عمايرة	
مصادر المعجم العلمي والتقني العام	المكتب الدائم للتعريب	٤٨٣/٦
مصر في طليعة الركب العلمي	د. عمر الجارم	٣٧٨/١/٧

(للبحث صلة)

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

الدرس اللغوي الاجتماعي

عند الإمام الغزالي في

(المستصفى)

الدكتور مهدي أسعد عرار

(فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٨ الجزء ٢)

الدّرسُ اللّغويُّ الاجتماعيُّ
عندَ الإمامِ الغزاليّ في «المُستصفَى»

د. مهدي أسعد عرار

ليستْ تُعنَى هذه المباحثةُ بالحديثِ عن الإمامِ الغزاليِّ: حياتِه وفكرِه، ولا عنْ مصنّفِه «المستصفَى مِن علمِ الأصولِ»، بل المقْصِدُ الأوّلُ الذي تترسّمُه هو تلمّسُ أنظارٍ من «الدّرسِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ»، وعلى رأسِها «سياقُ الحالِ» الذي له سُهْمةٌ في الإبانةِ عن مَقاصِدِ الكَلِمِ ورسومِ التّعبيرِ، والحقّ أنّ الإمامَ —كما سيتبيّنُ في ثِنْيِ هذه المباحثة— كان يفزعُ إلى سياقِ الحالِ الذي يفعلُ في تشكيلِ المعنى أو ترجيحِه أو ترشيحِه، ومِن ذلك التفاتتُه، على نحوٍ مُعْجِبٍ، إلى فضلِ العادةِ في الإبانةِ، وطبقةِ المتكلّمِ، والقرائنِ السّياقيّةِ الهاديةِ إلى المتعيّنِ، ولغةِ الجسمِ والوجهِ والشّمائلِ، واستشرافِ المسكوتِ عنه من المنطوقِ به. ومِن وجهةٍ ثانيةٍ جنحَ الإمامُ إلى عدّ سياقِ الحالِ والأنظارِ الخارجيّةِ وما يكتنفُ الموقفَ الكلاميَّ مِن ملابساتٍ وأحوالٍ مُحتكَماً عريضاً للحكمِ على العمومِ أو الخصوصِ، وجعلِ استرفادِ الحالِ فَيصلاً ناسخاً للاحتمالِ، كتردّد دِلالةِ التّراكيبِ بين الحقيقةِ أو المجازِ، أو تشاكلِ هذه التّراكيبِ في وجهٍ ظاهريٍّ مُوهِمٍ مع تباينِها تبايناً يُعيّنُه السّياقُ، كلّ هذه المباحثِ وغيرُها ممّا عرّجتُ عليه مُلتمِساً ومحلّلاً ومُقارناً، في مواضعَ مخصوصةٍ، بما وردَ في علمِ اللّسانِ الحديثِ.

في مَقاصدِ العنوانِ:

يتبدّى، للخاطرِ الأوّلِ، أنّ في عنوانِ هذه المباحثةِ ثالوثاً ينتظمُ سَيْرورتَها: أوّلُه الإمامُ الغزاليُّ، وثانيه كتابُه «المستصفَى مِن عِلْمِ الأصول»، وثالثُه تلمّسُ

أشتاتٍ مِن الدّرسِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ في كتابِه، والحقّ أنّ هذا الذي تقدّم يعوزُه فضلُ بيانٍ واستدراكٍ؛ ذلك أنّ هذه المباحثةَ لا تُعنى بالحديثِ عن الإمامِ الغزاليِّ: حياتِه وفكرِه ومؤلفاتِه، فقدْ صُنّف فيه الكثيرُ[١]، فضلاً عن كونِه ممّنْ مَلؤوا الدّنيا وشغلوا النّاسَ.

أمّا «المستصفَى مِن علمِ الأصولِ» فقدْ طلبتْ إليه طائفةٌ مِن محصِّلي علمِ الفقهِ تصنيفاً في «أصولِ الفقهِ» فأجابهم[٢]، واستفتحه ببيانِ حدِّ الدِّلالةِ الشَّرعيّةِ التي تَعْتَوِرُ هذا المصطلحَ مُلْمِحاً إلى أنّها الوقوفُ على أدلّةِ الأحكامِ، ومعرفةِ وجوهِ دِلالتِها على الأحكامِ مِن حيثُ الجملةُ لا التّفصيلُ[٣]، وعلمُ الأصولِ عندَ الباجيِّ ما انبنتْ عليه معرفةُ الأحكامِ الشّرعيّةِ[٤]، وعندَ الآمديِّ: أدلّةُ الفقهِ، وجهاتُ دِلالاتِها على الأحكامِ الشّرعيّة، وكيفيّةِ حال المستدلّ بها من حيثُ الجملةُ لا مِن حيثُ التّفصيلُ[٥]. أمّا موضوعُه فلا يخرجُ عن أحوالِ الأدلّةِ الموصلةِ إلى الأحكامِ الشّرعيّة المبحوثِ عنها فيه، وأقسامِها وتباينِ مراتبِها، وكيفيّةِ استثمارِ الأحكامِ الشّرعيّةِ منها على وجهٍ كلّيٍّ[٦]، ومُستصفَى القولِ في «المستصفى» أنّ الأصولَ لا يُتعرَّضُ فيها لإحدى المسائلِ، «ولا على طريقِ ضربِ المثالِ، بل يُتعرَّضُ فيها لأصلِ الكتابِ، والسّنّةِ، والإجماعِ، ولشرائطِ صحّتِها، وثبوتِها، ثمّ لوجوهِ دِلالتِها مِن غيرِ أنْ يُتعرَّض فيها لمسألةٍ خاصّة، فبهذا تُفارقُ أصولَ الفقهِ فروعَه»[٧]، وجملةُ الأصولِ – كما يجلّي هذا المطْلَبَ الغزاليُّ– تدورُ على أقطابٍ أربع: أوّلُها: في الأحكامِ، والبَداءةُ بها أولى؛ إذ إنّها الثّمرة المطلوبةُ، وثانيها: في الأدلّةِ، وهي الكتابُ، والسّنّة، والإجماعُ، وثالثُها: في طريقِ الاستثمارِ، والمقْصِدُ ههنا وجوهُ دلالةِ الأدلّة، كالدّلالةِ بالمنظومِ، وبالمفهومِ، وبالاقتضاءِ والضّرورةِ، وبالمعنى المعقولِ، ورابعُها: في المستثمِرِ، وهو المجتهدُ الذي يحكمُ بظنّه، ويقابلُه المقلِّدُ الذي يلزمُه اتّباعُه[٨].

أمّا الدّرسُ اللّغويُّ الاجتماعيُّ فهو مبحثٌ متطاولٌ قائمٌ على النّظر إلى اللّغةِ وهي مركوزةٌ في سياقٍ اجتماعيٍّ يلفُّها، لِيَعْقُبَ هذا حديثٌ عن اللّغةِ والمجتمعِ، أو الجنسِ، أو الطّبقاتِ الاجتماعيّة، أو العُمُرِ، أو المكانِ، أو العِرقِ، أو سياقِ الحالِ...[٩].

والحقّ أنّ الذي تترسّمُه هذه المباحثةُ هو استشرافُ نظريّةِ سياقِ الحالِ والموقفِ الكلاميِّ عندَ الإمامِ في مُستصفاه ذاك؛ إذ إنّ المبتغَى الأوّلَ مِن علمِ الأصولِ -كما تقدّم قَبْلاً- الوقوفُ على أدّلةِ الأحكامِ، ومعرفة وجوه دِلالتِها، ولذا ليس ثمّة بدٌّ من التوسّلِ بإمكاناتٍ متباينةٍ للوصولِ إلى الأصولِ، والاستعانةِ بروافدَ أخرى لاستنباطِ الأحكامِ أو العِللِ، فليس يصحُّ في الفهمِ ولا يستقيمُ أنْ يُتَوَهّمَ أن في النّصّ مُستغنى عمّا سواه ومُكتفى في الإبانةِ عن مَقاصدِ الكَلِمِ ورسومِ التّعبيرِ، ولذا قرّر الإمامُ، على وجهٍ من التحكُّمِ، أنّ الحكمَ لا يثبتُ إلا توقيفاً، ولكنْ، «ليس طريقُ معرفةِ التّوقيفِ في الأحكامِ مُجرّدَ النّصِّ، بل النّصُّ والعمومُ والفَحوى ومفهومُ القولِ وقرائنُ الأحوالِ وشواهدُ الأصولِ وأنواعُ الأدلّةِ»[١٠].

وقد قيل إنّ أوّلَ مَن اجترح مصطلحَ «سياق الحالِ» هو عالم الاجتماعِ البولنديّ «مالينوفسكي»، ثمّ تلقّفه عنه «فيرث» رائدُ الدّرسِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ في العصرِ الحديثِ[١١]، فَبَلوَّرَ نظريّتَه جانحاً إلى تفسيرِ مصطلحِ سياقِ الحالِ، مُصرِّحاً بأنّ هذا المصطلحَ يستغرقُ ما هو لفظيٌّ، وما هو غيرُ لفظيٍّ، ومن ذلك الحديثُ عن شخوصِ الحدثِ الكلاميِّ وشخصيّاتِهم، والحدثِ الكلاميّ الفعلي، والأحداثِ غيرِ الكلاميّةِ المتّصلةِ بالحدثِ الكلاميِّ، والأشياءِ المتّصلةِ بالكلامِ والموقفِ دونَ إغفالٍ للمستوياتِ اللّغويّة البِنيويّةِ...[١٢]، والحقّ أنّ هذه النّظريّةَ، وهي تنصبُ دلائلَ هاديةً لاقتناصِ المعنى، لا تعزلُ اللُّغة عن خارجِها وعمّا يمكنُ

أنْ يحتفَّ به الحدثُ الكلاميُّ من قرائنَ وملابساتٍ؛ إذ إنّها «تنظرُ إلى اللّغةِ على أنّها نمطٌ مِن أنماطِ السّلوكِ الإنسانيِّ، كما ترى أنّ للّغةِ وظيفتين: أولاهما أنّها تعالجُ فكرةً، أو تدورُ حولَ موضوعٍ ما، وثانيتُهما أنّ لها وظيفةً اجتماعيّةً تؤدّيها»(١٣)، ولكنّ «ليونز» يَخْلُصُ في مقالةٍ له إلى أنّ المعنى عندَ «فيرث» كلٌّ مُرَكَّبٌ مِن عَلاقاتٍ سياقيّةٍ وصوتيّةٍ ونحويّةٍ ودِلاليّةٍ(١٤)، ومِن المقولات التي يتعاطاها السّياقيّون أنّ الكلماتِ لا معنى لها خارجَ مكانِها مِن النّظمِ(١٥)، كلُّ ذلك باعثُه التّعويلُ على سياقِ الحالِ الذي يَهَبُ الكلمةَ أو الجملةَ معنى سياقيّاً قد يفارقُهما إذا ما وردا في سياقٍ آخرَ. ويقرّرون أيضاً أنّ اللّغةَ بالفعلِ، والمعنى بالاستعمالِ(١٦). لنتبصّرْ فيما يأتي بياناً وتجليةً لِسُهْمَةِ سياقِ الحالِ «بمعناه العريضِ» في الإبانةِ:

إذا نحن سرّحْنا الخاطرَ مُستحضِرين مواقفَ وسياقاتٍ متباينةٍ يُتَلفّظُ فيها بِـ «الحمدُ للهِ» فإنّنا قدْ نقفُ على معانٍ سياقيّةٍ، وإيحاءاتٍ معنويّةٍ متباينةٍ بتباينِ «سياقِ الحالِ» وما تشتملُ عليه هذه الكلمةُ مِن مكانٍ وزمانٍ وشخوصٍ وبيئةٍ وموقفٍ وأثرٍ لهذا الحدثِ الكلاميِّ. لننظرْ فيما يأتي:

السّياقُ الأوّلُ:

قدْ يقولُها صاحبُها مُنكِراً على غيرِه فعلةً ما في مَقامٍ ما، كأنْ يكونا يأكلانِ الطّعامَ معاً، فإذا ما انفضّ أحدُهما قُبَيلَ الآخرِ مِن حولِه عن الأكلِ فإنّه سيحمدُ الله على هذه النّعمةِ الطّيّبةِ جاهراً بها قائلاً: الحمدُ للهِ، ولكنّ الثّاني «المِضِيفَ» قدْ يقولُ مُنغضاً رأسَه، منكراً مُستهجناً قيامَ ضيفِه ذاك: الحمدُ للهِ؟!، وذلك طلباً لحثّ ضيفِه على تناولِ مَزيدِ طعامٍ.

وهكذا يبدو أنّ «الحمدُ للهِ» حمّالةٌ لمعنيين في ذلك المقام: الأوّل حَمْدُ

الرّجلِ ربَّه على هذه النّعمةِ، وقدْ يكونُ إيذاناً مُلْمِحاً لربِّ المنزلِ بأنّني قدْ انتهيتُ مِن الطّعامِ فشبعتُ. والثّاني أو الثّالثُ: استنكارُ ما قدْ صدرَ مِن الضّيفِ مِن حمدٍ يُعيِّن معناه سياقُ الحالِ والملابساتُ الخارجيّةُ، أي أنّها في سياقِها ذلك تقترنُ بالفُروغِ من الطّعام، وهو أمرٌ يقتضي العُرفُ العربيُّ الاجتماعيُّ أنْ ينازعَ الضّيفُ فيه ضيفَه، وعندَ ذلك تنتقلُ هذه المنازعةُ إلى مدلولِ العبارةِ في ذلك السّياقِ الهامشيِّ المحدَّدِ «سياق الطّعامِ»، وتفارقُ، أو تكادُ، أصلَ القصدِ بها، ولعلّ هذا لا يُجلَّى إلاَّ بالاتّكاءِ على قرارٍ مَكينٍ، وهو سياقُ الحالِ الذي قدْ يَشِطُّ عن المعنى المعجميِّ إلى مكانٍ طَروحٍ.

السّياقُ الثّاني:

قدْ يعرضُ لنا مسرحٌ لغويٌّ ثانٍ شخوصُه غيرُ ذينكما المتقدِّم بيانُهما(١٧)، فلَنا أنْ نتخيّلَ أنّ ثمّ شيخاً يتحلّقُ حولَه مريدوه هاتفين «الحمدُ للهِ»، أوْ قدْ ينطقُ بها مُسبّحٌ ذاكرٌ في الغدوّ أو الآصالِ أو دبرِ الصّلاةِ، وهي، في هذا السّياقِ، ذاتُ دِلالةٍ جليّةٍ تُعيّنُها ظواهرُ الألفاظِ، وليس يخفى أنّها جاءتْ شكراً وتقريراً واعترافاً بفضلِ المنّانِ الكريمِ تقدّس اسمُه.

السّياقُ الثّالثُ:

وقدْ نسترفدُ مسرحاً لغويّاً ثالثاً يتجاذبُه قطبانِ، فقدْ يسألُ الأوّلُ الآخرَ: كيف حالُك؟ فيقولُ الثّاني مُنغضاً رأسَه متثاقلاً: الحمدُ للهِ، ويعتري هذه العبارةَ تنغيمٌ لغويٌّ متساوقٌ مع حالِ القائلِ دالٌّ على ارتكاسٍ ودخيلةٍ على النّفسِ بائسةٍ، وليس يُنسى ما قدْ يصحبُ هذا الحدثَ الكلاميَّ الحيَّ مِن حركاتٍ وشمائلَ وعلائمَ جسميّةٍ تَشي بأنّ «الحمدُ للهِ» في هذا السّياقِ المقاميِّ ذاتُ معنى مفارقٍ للمعاني الأُوَلِ؛ إذْ إنّها قدْ لا تُنبِئ عنْ شكرِ القائلِ وحمدِه، بلْ جاءتْ

للجأرِ بالشّكوى مِن أحوالٍ أو أهوالٍ تعتري مُتلفّظَها في سياقِها ذاك، فتنتقلُ هذه الأحوالُ إلى مدلولِ العبارةِ، ولذا قدْ نجدُ أنّ القُطْبَ الأوّلَ الذي أَخذَ بِقَوابلِ الحديثِ يستدركُ على صديقِه مستشرفاً منه فضلَ بيانٍ، مُمسكاً بارتكاسِ قطبِ الحدثِ الكلاميِّ الثّاني وانقباضِه بهديٍ مِن دِلالةِ «الحمدُ للهِ» في سياقِها، فيقولُ: ما لك يا رجلُ؟ ما بك؟ خير إن شاء الله؟ لماذا تقولُها فاترةً؟.

لعلّه يحسنُ أنْ أكتفيَ بما قدّمتُ مِن مِهادٍ يدورُ في فَلَكِ مدرسةِ «السّياقِ»، ليكونَ المِطْلَبُ الآتي مِضمارُه تلمّسُ هذه الأنظارِ في مُستصفَى الغزاليّ، والسبيلُ في التّأتّي إلى تحقيقِ هذا المبتغَى هو جمعُ نثارِها، وتبويبُها، ومناقشتُها، ومقارنتُها بما قدْ يَرِدُ في علمِ اللِّسانِ الحديثِ، ومنها القرائنُ، والحالُ المشاهَدةُ، والتّنغيمُ، وأدلّة التّخصيصِ، وأحوالُ المتكلّمين...

جدلٌ بينَ أربابِ العمومِ وأربابِ الخصوصِ:

هذا مبحثٌ في الدّرسِ الأصوليّ عريضٌ، ومُستصفَى القولِ فيه أنّ المذاهبَ فيه ثلاثةٌ: مذهبُ أربابِ الخصوصِ، ومذهبُ أربابِ العمومِ، ومذهبُ الواقفيّةِ، ومِن أمثلةِ أربابِ الخصوصِ أنّهم يقولون إنّ كلمةَ «المشركين» موضوعةٌ لأقلِّ الجمعِ. وأربابُ العمومِ يرَوْنها للاستغراقِ، فإنْ أُريدَ بها البعضُ فقد تُجُوّزَ بها عن الحقيقة والوضعِ. والواقفيّةُ يذهبون فيها إلى أنّها مشتركةٌ مُحتمِلةٌ، «وإنّما ينزلُ على خصوصٍ أو عمومٍ بقرينةٍ أو إرادة مُعيّنةٍ، كلفظِ العينِ، فإنْ أريدَ به الخصوصُ فهو موضوعٌ له، لا أنّه عامٌّ قد خُصِّص، وإنْ أريدَ به العمومُ فهو موضوعٌ له، لا أنّه خاصٌّ قد عُمّم»[١٨].

ويُدلي الإمامُ بدلوِه في هذا المبحثِ بحديثٍ تتوزّعُه خمسةُ أبوابٍ، كالحديثِ عن تعارضِ العمومين، وبابِ القولِ على الأدلّةِ المخصِّصةِ، وتمييزِ ما يمكنُ

دعوى العمومِ فيه عمّا لا يمكنُ، والعمومِ هل له صيغةٌ أم لا، والاستثناءِ والشّرطِ[١٩]، ويخوضُ الإمامُ في هذا الجدلِ الدّائرِ مُستعيناً بثاقبِ بصرِه، وبعيدِ تأمّلِه، مسترفداً ذَيْنِكَ المتقدّمَين، والحقّ أنّ جمعَ نثارِ إلماحاتِه السّياقيّةِ الاجتماعيّةِ، ولَمْلَمةِ أشتاتِها، في هذا الباب على التّعيينِ، تُفضي بالقارئِ إلى التّقريرِ بأنّ الإمامَ الغزاليَّ ممّن تمثّلوا نظريّةَ السّياقِ، فكانتْ مِن حجارةِ الأساسِ التي تؤطّرُ للمعنى لِيَنْبَنيَ عليها، بل لتكونَ فَيْصلاً ومُحتكَماً في كثيرٍ مِن مواضعِ معالجاتِه. لننظر في بعضِها:

يُجيلُ الإمامُ نظرَه في المِساءلةِ التي تقولُ: هل وضعَ العربُ صيغةً تدلُّ على الاستغراقِ أم لا؟ واللاّفتُ للخاطرِ الأوّلِ أنّ المِدخلَ الرّئيسَ الذي فاءَ إليه الإمامُ في محاورةِ هذه المِساءلةِ هو الأنظارُ الخارجيّةُ وتمثّلُ سياقِ الحالِ الذي يعملُ، في كثيرٍ مِن المواضعِ والمواقفِ، على الإقرارِ بالعمومِ أو الخصوصِ، ولذلك كلّه نراه يَفْزعُ ثانيةً وثالثةً ورابعةً إلى قرائنَ غيرِ كلاميّةٍ مُحَمَّلةٍ بدِلالاتٍ تقومُ مقامَ جملٍ وكثيرِ إسهابٍ، ومِنها رسومُ التّعابيرِ التي تُسْتَقى مِن حركاتِ المتكلِّمِ، وشمائلُه الظّاهرةُ، وإشاراتُه، وعاداتُه التي تُنبِئ عن تَعيُّنِ دِلالةِ العمومِ أو دِلالةِ الخصوصِ، ومُستصفَى القولِ فيها أنّ «الاستغراقَ يُعلَم بعلمٍ ضروريٍّ يحصلُ عن قرائنِ أحوالٍ ورموزٍ وإشاراتٍ وحركاتٍ مِن المتكلّمِ وتغيّراتِ وجهِه، وأمورٍ معلومةٍ مِن عادتِه ومقاصدِه، وقرائنَ مختلفةٍ لا يمكنُ حصرُها في جنسٍ، ولا ضبطُها بوصفٍ، بلْ هي كالقرائنِ التي يُعْلَمُ بها خَجَلُ الخَجِلِ، وَوَجَلُ الوَجِلِ، وجُبنُ الجبانِ»[٢٠].

وكعادةِ الإمامِ الغزاليّ المكرورةِ التي غدتْ سمتاً منهجيّاً لازماً في مُستصفاه يجنحُ إلى استشرافِ الوقائعِ الكلاميّةِ الحيّةِ المصوّرةِ بعباراتِه تمثيلاً وتعليلاً وفضلَ بيانٍ مجلٍّ لذلكم الدّرسِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ عندَه، والحاصلُ أنّه يعرّجُ على مسائلَ

طريفةٍ لتعيينِ دعوى العمومِ فيها أو لرفعِها، والحقُّ أنّها مسائلُ تتوزّعُها أنظارٌ دينيّةٌ، ولغويّةٌ، وعقليّةٌ، وأحوالٌ اجتماعيّةٌ هي محَطُّ النّظرِ في هذا الدّرسِ، ومن ذلك مسألةُ «المخاطبةُ شِفاهاً لا يمكنُ دعوى العمومِ فيها»، صحيحٌ أنّه قد يتجلّى إشكالٌ في تعيينِ أحدِ هذين المطْلَبين في سياقٍ مكتوبٍ أو مُتقادِمٍ، ولكنّ التّواصلَ مع مقاميّاتِ الحدثِ الكلاميِّ التي تستغرقُه، واستحضارَ الأنظارِ الخارجيّةِ كفيلٌ أمينٌ بتعيُّنِ دِلالةِ أحدِهما، والمثالُ الذي استصفاه الغزاليُّ لبيانِ هذه الدعوى هو الرّجلُ الذي إذا قالَ لجميعِ نسائِه الحاضراتِ: طلقتُكنّ، ولجميعِ عبيدِه: أعتقتُكم، فإنّ ذلك قدْ يرتفعُ عنه العمومُ، وإنْ كانتْ وشايةُ العمومِ تَرِدُ على خاطرِنا مِن ظاهرِه، ولكنّ الدّخولَ في مقاميّاتِ الحدثِ الكلاميِّ، والوقوفَ على تفاصيلِ هذا «المسرح» اللّغويِّ الحيِّ يُفضيانِ إلى تجلّي مَقْصِدِ «الخصوصِ»، وانزواءِ مَقْصِدِ العمومِ؛ ذلك أنّه «إنّما يكونُ مخاطباً مِن جملتِهم مَن أقبلَ عليه بوجهِه، وقَصَدَ خطابَه، وذلك يُعرَفُ بصورتِه وشمائلِه والتفاتِه ونظرِه»[٢١]، وفي مقامٍ آخرَ مجالٌ لنظرِ الإمامِ المعْجِبِ القائمِ على استرفادِ الحالِ ولغةِ الوجوهِ القائمِ لا على وضعِ قاعدةٍ عريضةٍ، أو موقفٍ قَبْليّ، كالتّقريرِ بالعمومِ أو الخصوصِ، ومِن ثمّ لَيُّ عُنُقِ النّصِّ حتّى يستجيبَ لها أو لهوى النّفسِ، عَرَضَ الغزاليُّ صورةً كلاميّةً حيّةً مفادُها أنّ الرّجلَ قدْ يحضرُه جماعةٌ مِن الغِلمانِ والبالغين والصّبيانِ، فيقولُ: اركبوا معي، وهنا لا يمكن دعوى العمومِ في لفظِه ذاك؛ إذْ إنّه قدْ يريدُ مَن همْ أهلٌ للرّكوبِ دونَ مَن ليسوا أهلاً لذلك، وآنَ هذا، فإنّ خطابَه لا يتناولُ إلاّ مَن قَصَدَه، «ولا يُعرَف قصدُه إلا بلفظِه أو شمائلِه الظّاهرةِ»[٢٢].

تعاورٌ بينَ العمومِ والخصوصِ:

وفي حديثِ الإمامِ عن العمومِ والخصوصِ يقرّرُ قاعدةً أسلوبيّةً لها حضورُها في كلامِ العرب، ومِن ذلك أنّ المرءَ قدْ يُعبّرُ بلفظِ العمومِ عن كلِّ ما حَضَرَ في

فكرِه، ومِن ذلك القولُ: ليس لقاتلٍ مِن الميراثِ شيءٌ، فإذا ما اسْتُدْرك عليه بقولٍ ينقضُ ما ظهرَ مِن عمومٍ في كلامِه: الجلاّدُ والقاتل قصاصاً! فعندَ ذلك ينسخُ المتكلّمُ الأوّلُ عمومَ لفظِه بقولِه: ما هذا الذي أردتُ، ولمْ يخطرْ لي بالبالِ[٢٣]، «فإذا اعتقدَ العمومَ قطعاً فذلك لجهلِه، بلْ ينبغي أنْ يعتقدَ أنّه ظاهرٌ في العمومِ، مُحتمِلٌ للخصوصِ»[٢٤]، ولمْ يكتفِ الغزاليُّ بالإلماحِ إلى هذا السّمْتِ الأسلوبيِّ في كلامِ العربِ، بل ذهبَ إلى التّقريرِ بأنّ «إرادةَ الخاصِّ باللّفظِ العامِّ غالبٌ معتادٌ، بل هو الأكثرُ»[٢٥]، وليس يَخفى أنّ المعوَّلَ عليه في تعيينِ المتعيِّنِ، إنْ خُصوصاً، وإنْ عموماً، هو سياقُ الحالِ وما تشتملُ عليه هذه الدّلالةُ العَريضةُ مِن أبوابٍ تنضوي تحتَها، ولعلّه يحسنُ أنْ أعقّبَ باحتراسٍ بعدَ هذا المتقدّمِ؛ إذ إنّه لا ينبغي أنْ يَذهبَ الظّنُّ إلى عتبةِ القولِ بأنّ الإمامَ لمْ يحتكمْ إلا إلى سياقِ الحالِ في تعيينِ الخصوصِ أو العمومِ؛ إذْ إنّ الأمرَ بالضّدّ، فقدْ بيّن أنّ أدلّةَ التّخصيصِ – على سبيلِ التّمثيلِ لا الحصرِ — قد تكونُ قولاً، وفي هذا إلماحةٌ إلى سُهْمَةِ السّياقِ البِنيويّ في الإبانةِ وبيانِ المقاصدِ، ومِن ذلك قولُنا: جاءَ طلاّبُ المحاضرةِ **كلّهم**، فهذا قولٌ فيه استغراقٌ وعمومٌ باللّفظِ وتطويلِ الكلامِ، وقدْ يكونُ فعلاً أو قرينةً، وقدْ تقدمتْ مُثُلٌ تجلّي هذا المطْلَبَ مِن قبلُ، وقدْ يكونُ دليلَ عقلٍ[٢٦]، ولذلك ردّ الإمامُ على مَن أنكرَ صِيَغَ العمومِ وجَعلَها مُجْمَلَةً مُحتمِلةً، فعلى هؤلاء –كما يرى — ألاّ ينكروا التّخصيصَ إذا دلّتْ عليه قرائنُ[٢٧]، ومِن ذلك أنّ المريضَ إذا قال لغلامِه: لا تُدخلْ عليّ النّاسَ، فأدخل عليه جماعةً مِن الثّقلاءِ، وزعم أنّه أَخرجَ هذا مِن عمومِ لفظِ النّاسِ، استوجبَ التّعزيرَ[٢٨].

والحقّ أنّ هذا البابَ – أعني العمومَ والخصوصَ –كان قدْ طرقَه ابنُ فارسٍ قَبْلاً، فرأى أنّ العامّ هو الذي يأتي على الجملةِ لا يغادرُ مِنها شيئاً، وأنّ الخاصّ هو الذي يقعُ

على شيءٍ دونَ أشياءَ، وأنّ ثَمّة خاصّاً يُرادُ به عامٌّ، وعامّاً يُرادُ به خاصٌّ [٢٩].

استرفادُ الحالِ ناسخٌ للاحتمالِ:

وليسَ يخفى أنَّ الكلامَ، إنْ كلمةً، وإنْ جملةً، قدْ يُشكِلُ إنْ انسلخَ مِن سياقِه وملابساتِ حدوثِه، ومِن ذلك قولُنا: هذا حديثٌ صحيحٌ، فقدْ تحتملُ معنيينِ، أوّلُهما أنّها قيلتْ في سياقِ علمِ الحديثِ وما يعقبُه مِن تعديلٍ وجرحٍ وبيانٍ لضروبِ الأحاديثِ الشّريفةِ، وقدْ تكونُ في سياقٍ آخرَ المقْصِدُ مِنها أنّ الكلامَ صحيحٌ لا شبهةَ عليه ولا شِيَةَ فيه، ومِن الظّاهرِ أنّ الإمامَ نبّه إلى مِثلِ هذا في مواضعَ متفرّقةٍ في مُستصْفاه[٣٠]، ومِن ذلك دِلالةُ «الماءِ»، والطّريفُ في هذا أنّنا جميعاً نلتقي على دِلالةِ الماءِ تواضعاً لِما رانَ عليه إلْفُنا اللّغويُّ المستحكِم، وينبني على هذا أنّنا نُجمِعُ على الدّلالةِ المركزيّةِ المركوزةِ في الدّالِّ «الماءِ»، ولكنّ للماءِ أحوالاً دِلاليّةً تتباينُ بتباينُ أحوالِه في العالمِ الخارجيِّ، فثمّ ماءٌ عذبٌ فُراتٌ، وثانٍ ملحٌ أُجاجٌ، وثالثٌ آسنٌ، ورابعٌ ممّا نَسقي به الأنعامَ والبهائمَ، ومِن وجهةٍ اجتماعيّةٍ خارجيّة أخرى، ثَمّ ماءٌ حميمٌ، وثانٍ باردٌ، وثالثٌ فاترٌ بينَ بينَ، فإذا ما ذُكرتْ كلمةُ الماءِ مطلقةً، فإلى أيِّ ضَربٍ تُومِئ؟ لعلّ الجوابَ الشّافيَ لا يتعيّنُ إلاّ باسترفادِ السّياقِ وحالِ المتكلّمِ والسّامعِ والمكانِ والزّمنِ، وهذا ما ألمحَ بلْ صرّحَ به الإمامُ، فلنا أنْ نُسرّحَ الخاطرَ معَه متخيّلينَ أنّ مائدةً التقى عليها عائلةٌ، فإذا ما قالَ ربُّها على المائدةِ: «هاتِ الماءَ، فُهِمَ أنّه يُريدُ الماءَ العذبَ الباردَ دونَ الحارِّ المِلحِ»[٣١]، كلُّ ذلكمْ مَعانٍ نقتنصُها بهديٍ مِن السّياقِ بمعناه العَريضِ، وقد يُؤتَى الطالبُ بالماءِ الحميمِ في سياقٍ مقاميٍّ آخرَ، واللّطيفُ في هذا كلِّه أنّ المخاطِب لا يُعيِّنُ نوعاً مِن الماءِ، بلْ يُرسلُ كلامَه مُجْمَلاً معوّلاً على المعنى الذي يقتضيه المسرحُ المقاميُّ وما يرشُّحه مِن نوعٍ مخصوصٍ مِن الماءِ.

أثرُ الدّلالةِ الصّوتيّةِ في تعيينِ المعاني الكلاميّةِ:

ثمّ يلتفتُ الإمامُ إلى التّنغيمِ، وهو مطلبٌ صوتيٌّ له خطرُه في الأحداثِ الكلاميّةِ الحيّة، وحدُّه أنّه اختلافُ درجةِ الصّوتِ ارتفاعاً أو انخفاضاً[٣٢]، ليَعقِبَ هذا التّباينَ الصّوتيَّ تباينٌ معنويٌّ، ومِن ذلك قولُنا في حدثٍ كلاميٍّ حيٍّ: محمّدٌ جاءَ، والحقّ أنّ انسلاخَ هذا التّركيبِ البِنيويِّ مِن سياقِه يُفضي إلى الولوجِ في الاحتمالِ مِن بوّابةٍ عريضةٍ، ولنْ يُرفعَ ذلكم الاحتمالُ إلا باسترفادِ الحالِ، فقدْ تكونُ الجملةُ، على هيئةِ تنغيمٍ معيّنٍ، استفهاميّةً، وعلى هيئةٍ أخرى تعجّبيّةً، وعلى نحوٍ ثالثٍ خبريّةً، والظّاهرُ أنْ لا قِبَل لنا بتعيينِ هذه المعاني النّحويّةِ في اللّغةِ المكتوبةِ إلاّ بالعَوْدِ إلى علاماتِ التّرقيمِ التي تقومُ مَقامَ التّنغيمِ، وقدْ أشارَ صاحبُ نظريّةِ السّياقِ إلى هذا الملْحَظِ الفاعلِ في الإبانةِ وتعيينِ المقاصدِ الكلاميّةِ، فذهبَ إلى أنّ «التّجافي عن الأنماطِ التّنغيميّةِ في دراسةِ النّحوِ تجعلُها ناقصةً قاصرةً، وإلى أنّ دراسةَ اللّغةِ المنطوقةِ في علمِ المعنى الوصفيِّ لا تكونُ مكتملةً إلا إذا اعتمدتْ على قواعدَ صوتيّةٍ لأنماطٍ تنغيميّةٍ...»[٣٣].

وقد عدّ الإمامُ «التّنغيمَ»، وإنْ لمْ يصرّحْ بهذا المصطلحِ اللّسانيِّ الحديثِ، إذْ لا مَشاحةَ في الألفاظِ – عدّه قرينةً تنضافُ إلى مُحدّداتٍ ترشّحُ لمعنى دونَ آخرَ، ومثالُ ذلك أنّنا نعلمُ قصدَ المتكلّمِ إذا قالَ: «السّلامُ عليكم، أنّه يريدُ التّحيّةَ أو الاستهزاءَ أو اللّهوَ»[٣٤]، وهكذا يُقيم الغزاليُّ بَوناً جليّاً بين معنيينِ يتخلّقانِ مِن تنغيمينِ متباينينِ، فقدْ تغدو تحيّتُنا التي فيها سلامٌ سُبّةً واستخفافاً بمنْ أُلقيتْ عليه إذا ما حِيكتْ بتنغيمٍ يُلتمَسُ مِنه الاستهزاءُ لا السّلامُ.

تَشاكلُ الأساليبِ:

الأمرُ والنّهيُ مثالَين:

مِن بَدهيِّ القولِ أنّ الأفعالَ تُقسَمُ إلى الماضي والمضارعِ والأمرِ، والذي

يغلبُ على هذه القسمةِ أنّ مُحتكَمَها الأوّلَ الزّمنُ، والحقُّ أنّ هذه القسمةَ لا تُعيِّنُ زمنَ الفعلِ إلاّ وهو مُنسلخٌ مِن سياقِه في الغالبِ، فقولُنا «يَتهجّدُ» فعلٌ مضارعٌ، ولكنّه يغدو ماضياً آنَ دخولِه في سياقٍ بِنيويٍّ مِن مثلِ «لمْ يَتهجّدْ»، والزّمنُ المتعيّنُ مِنه المضيُّ، وقولُنا: «سيتهجّد» زمنُه خالصٌ للاستقبالِ، وقولُنا، في سياقٍ بنيويٍّ آخرَ: إذا تهجّد محمّدٌ فأَكْرِمْه، زمنُه الاستقبالُ وإنْ جاءَ في حلّةِ الفعلِ الماضي، ولذا يتعيّنُ على المرءِ أنْ يُقيمَ بَوْناً بينَ الزّمنِ الصّرفيِّ الموغلِ في الإطلاقِ والعموميّةِ، والزّمنِ النّحويِّ المعيَّنِ مَقْصِدُه على وجهِ الإحكامِ.

ويقفُ الإمامُ عندَ مبحثٍ فَرعيٍّ يُلابسُ ما تقدّم، وهو في الأمرِ والنّهيِ، وحدُّ الأوّلِ: القولُ المقتضِي طاعةَ المأمورِ بفعلِ المأمورِ به، وحدُّ الأخيرِ: القولُ المقتضِي تركَ الفعلِ، ولكنّه يستدركُ على نفسِه مُلتمساً وجهةً اجتماعيّةً تفعلُ في تعيينِ معنى الأمرِ أو النّهيِ؛ ذلك أنّه ليس مِن ضرورةٍ أنْ يكونَ الأمرُ واجبَ الطّاعةِ[٣٥]، فصيغةُ الأمرِ قدْ يكونُ المقْصِدُ مِنها التّهديد، كقولِه: «اعملُوا ما شِئتُم»، وقدْ تكونُ للإباحةِ، كقولِه: «وإذا حَلَلتُم فاصطادُوا»[٣٦]، ولوْ حُمِل فعلُ الأمرِ على ظاهرِ لفظِه لتعيّنَ وجوبُ الصّيدِ على كلِّ متحلِّلٍ، ولكنّ ذلك ليس كذلك؛ إذْ دِلالةُ الفعلِ – وإنْ كانتْ بالمعنى الصرفيِّ أمراً – هي الإباحةُ. وقد عرّج الغزاليُّ على وجوهِ دِلالةِ فعلِ الأمرِ في سياقاتِه المتباينةِ، فقدْ عرضَ خمسةَ عشرَ وجهاً سياقيّاً في إطلاقِ صيغةِ الأمرِ، وسبعةَ أوجهٍ في إطلاقِ صيغةِ النّهيِ، ومِن ذلك أنّ النّهيَ قدْ يكونُ للتّحريمِ، والكراهيةِ، والتّحقيرِ، وبيانِ العاقبةِ، والدّعاءِ، والإرشادِ. والأمرُ قدْ يكونُ للوجوبِ، والنّدبِ، والإباحةِ، والتّأديبِ، والإهانةِ، والتّسويةِ، وغيرِ ذلك[٣٧]، وقدْ رأى الغزاليُّ أنّ هذه الأوجهَ التي عدّها الأصوليّون شغفاً مِنهم بالتّكثيرِ بعضُها كالمتداخِلِ، ومِن ذلك قولُه: «كُلْ ممّا يَليك»، فقدْ جُعلَ للتّأديبِ، وهو داخلٌ في مِضمارِ النّدبِ، والآدابُ مندوبٌ

إليها[٣٨]، وقدْ وقف الغزاليُّ على مبحثٍ ذي شأنٍ في الدّرسِ اللّغويِّ مستذكراً تساؤلَ بعضِ الأصوليّين: هلْ للأمرِ صيغةٌ؟ فالإشكالُ يبزغُ مِن أنّ قولَه: «افعلْ» هلْ يدلُّ على الأمرِ بمجرّدِ صيغتِه إذا تجرّد عن القرائنِ[٣٩]، وقدْ وقفَ عندَ هذا التّساؤلِ الباجيُّ الأصوليُّ من قبلُ، واللافتُ أنّ الغزاليَّ في مستصفاه كانَ يتردّدُ بينَ السّياقينِ في الإجابةِ، فقدْ يُدلُّ عليه تارةً بالإشارةِ والفعلِ، وتارةً بالألفاظِ[٤٠]، وقدْ ألمحَ أيضاً بأنّ جماعةً مِن الفقهاءِ – كما يقرّر الإمامُ — يرَون أنّ قولَه: «افعلْ» أمرٌ معوّلين على صيغتِه وتجردِّه مِن القرائنِ الصّارفةِ له عن جهةِ الأمرِ إلى الإباحةِ أو التّهديدِ أو غيرِهما[٤١]، فقدْ زعموا أنّه لوْ صدرَ مِن النّائمِ أو المجنونِ لمْ يكنْ أمراً للقرينةِ[٤٢]، والحقّ أنّ الذي انقدحَ في خواطرِ الإمامِ مِن تمايزٍ بينَ معاني الأمرِ المفترِقةِ، والمؤتلفةِ في مبانٍ متّفقةٍ، كانَ قدْ هجسَ به المبرّدُ قبْلاً، فقدْ رأى أنّ التّراكيبَ قدْ تتشاكلُ في وجهٍ ظاهريٍّ مُوهِمٍ، ولكنّها في جوهرِها متباينةٍ، ومِن ذلك الدّعاءُ والطّلبُ والأمرُ والنّهيُ، وفي هذا يقولُ المبرّدُ: «والدّعاءُ يَجري مَجرى الأمرِ والنّهيِ، وإنّما سُمّي هذا أمراً ونهياً، وقيل للآخرِ طلبٌ، للمعنى. **فأمّا** اللّفظُ فواحدٌ، وذلك قولُك في الطّلبِ: اللهمّ اغفرْ لي، ولا يقطعْ اللهُ يدَ زيدٍ، وليغفرْ لخالدٍ...» [٤٣].

وتبدو التفاتةُ الإمامِ إلى فضلِ السّياقِ في تعيينِ المعنى جليّةً في المدارسةِ التي يُنشِئها حولَ قولِ قائلٍ: «صُمْ»؛ إذْ إنّه مِن المثُلِ المصرِّحةِ بتخلُّقِ الإشكالِ، وتعيُّنِ الاحتمالِ عندَ تغيُّبِ الحالِ، فالفعلُ في نفسِه يتردّدُ بينَ الوجوبِ الذي يستلزمُ طاعةً، والنّدبِ الذي يستحسنُها. أمّا بالإضافةِ إلى الزّمانِ فهو متردّدٌ بينَ الفَوْرِ والتّراخي، فهلْ يقعُ عليّ فرضُ الصّومِ آنَ سماعي لهذا الأمرِ، أمْ أنّ هذا ذو دِلالةٍ عائمةٍ مفتوحةٍ ذاتِ تراخٍ لا فورٍ؟. أمّا بالإضافةِ إلى المِقدارِ فإنّنا نُلفيه متردّداً بين

المرّةِ والكرّةِ التي عمادُها استغراقُ العُمُر، والحقّ أنّ تلكم المساءلاتِ المتقدّمَ بيانُها آنفاً، والمحتمِلةَ دِلالاتُها، قدْ يغدو بابُ القولِ عليها ضَرْباً مِن المعاياةِ أو التكلّفِ في الدّرسِ اللّغويِّ، والحاصلُ أنّ ذلك ليس كذلك البتّة؛ إذْ إنّ تغييبَ السّياقِ بشِعبيه: المقاليِّ والمقاميِّ، وجَعْلَ المادّةِ اللّغويّةِ سائحةً في هواءٍ طلقٍ لا حدودَ له يُفضيانِ إلى انفتاحِ دِلالتِها، وانتفاءِ وقوفِ المرءِ على المقْصِدِ المركوزِ فيها في الغالبِ الكثيرِ. أمّا جوابُ الإمام عمّا تقدّم آنفاً مِن دِلالةِ «صُمْ» المتردّدِة بينَ الوجوبِ والنّدبِ، والفورِ والتّراخي، والمرّةِ والكرّةِ، فهو يرى أنّ هذا التردّدَ ليس في اللّفظِ نفسِه على النّحوِ الذي يَعرِضُ لنا في المشترَكِ اللّفظيِّ، بلْ لأنّ اللّفظَ خِلوٌ مِن سياقٍ يلفُّه، وهو، مِن وجهةِ نظرِ الغزاليِّ، خالٍ مِن التّعرّضِ لكميّةِ المأمورِ بِه[٤٤].

دِلالةُ التّركيبِ بينَ الحقيقةِ والمجازِ:

وهذا موضعٌ آخرُ ينضافُ إلى المواضعِ المتقدّمةِ التي إنْ سُلِختْ مِن سياقِها غدتْ مُحتمِلةً متردّدةً، وأوّلُ ما يميّزُ هذه المباحثةُ الجزئيّةُ أنّها ليستْ واقعةً في جِبلّةِ اللّغةِ، وإنّما في التّشكيلِ الأسلوبيِّ الذي يعمدُ إليه المتكلّمُ في إخراجِ كلامِه، فقدْ يُفهمُ الكلامُ فهماً لفظيّاً على ظاهرِه، وحقّه الضّدُّ، كأنْ يُحمَلَ على مَحْمِلِ التّجوّزِ والانزياحِ اللّغويِّ، ومُثُلُ هذا المطْلَبِ كثيرةٌ عن وفرةِ ما يشيعُ، أو ما شاعَ في مظانِّ العربيّةِ مِن وقائعَ تشهدُ ببيانِ صحّةِ هذا الذي نحن فيه[٤٥]، وقدْ وردَ الغزاليُّ على هذه المسألةِ، وهي دَورانُ الاسمِ بينَ الحقيقةِ والمجازِ، فجنحَ إلى التّقريرِ بأنّه إذا كانَ ذلك كذلك، فإنّ اللّفظَ للحقيقةِ إلى أنْ يدلَّ دليلٌ على أنّه أرادَ المجازَ[٤٦]، ومِن ذلك قولُنا: رأيتُ اليومَ حماراً، واستقبلني في الطريقِ أسدٌ، وليس يخفى أنّ هذا التّركيبَ البِنيويَّ متردّدٌ في دِلالتِه الكلّيّةِ بينَ الحقيقةِ والمجازِ؛ ذلك أنّ «حماراً» يقعُ تحتَها معنيانِ، أوّلهما: مجازيٌّ «البَليد»، وثانيهما: حقيقيٌّ كما وُضِع في أصلِ

الاستعمالِ، وكذلك الحالُ في كلمةِ «أسد»، واللّطيفُ في تجلّي الوجهةِ الاجتماعيّةِ أنّ الإمامَ تَخِذَها مُحْتَكَماً مِن مُحتكَماتٍ في تعيينِ إحدى تَيْنِكَ الدّلالتيْنِ؛ ذلك أنّه «لا يُحمَلُ على البَليدِ والشّجاعِ إلا بقرينةٍ زائدةٍ، فإنْ لمْ تظهرْ فاللّفظُ للبهيمةِ والسّبُعِ»(٤٧).

ثمّ يولّي الإمامُ وجهَه، في مبحثِ الحقيقةِ والمجازِ، شطرَ مبحثٍ فَرعيٍّ عنوانُه في الدّرسِ اللّسانيِّ الحديثِ «المجازُ الميّتُ»(٤٨)، وقدْ وسمه بالمتروكِ، وفَضْلُ القولِ فيه أنّ دِلالاتِ الألفاظِ في حركةٍ دائبةٍ متوثّبةٍ على نحوٍ يُفضي إلى تطورِّها، وانتقالِها مِن مِضمارٍ إلى مِضمارٍ وِفاقاً لأعراضٍ مخصوصةٍ، كالتّعميمِ أو التّخصيصِ أو الرّقيِّ...(٤٩)، وليس هذا الذي رَمَى إليه الغزاليُّ، بلْ ألمحَ إلى أنّ ما قدْ كانَ مجازاً قَبْلاً، قدْ يصيرُ حقيقةً بَعْداً، أو لنقلْها بلغةِ الإمامِ نفسِه: يصيرُ كالمتروكِ، وإذا نحن استرجعْنا لغةَ الفقهاءِ فإنّ الأصلَ قدْ يصيرُ فَرعاً، والفَرعُ قدْ يصيرُ أصْلاً، وقدْ ضربَ مثالاً يُبِينُ عنْ مقصودِه مِن هذا النّظرِ المتقدِّمِ بيانُه، ومِن ذلك الغائطُ والعَذِرَةُ، والعَذِرَةُ في أصلِها فناءُ الدّارِ، ولكنّها تطوّرتْ بفعلِ الاستعمالِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ فغدتْ تدلُّ على الغائطِ الذي هو السَّلْحُ(٥٠)، «وقيل إنّها سُمِّيتْ عَذِراتٍ لأنّها كانتْ تُلقَى بالأفنيةِ، فكُنِّيَ عنها باسمِ الفِناء، كما كُنِّيَ الغائطُ، وهي الأرضُ المطمئنّةُ، عنها(٥١)، وقد قيلَ إنّ الرّجلَ إذا أرادَ التبرّزَ ارتادَ غائطاً مِن الأرضِ يَغيبُ فيه عنْ أعينِ النّاسِ، ثمّ قيلَ للبرازِ نفسِه غائطٌ كنايةً عنه(٥٢)، والظّاهرُ إذاً أنّ مقاميّاتِ التّواصلِ، والعرفِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ قدْ أذنتْ بهذا التّطوّرِ اللّغويِّ فغدا ممّا استحكم فرانَ عليه إلْفُنا، ولوْ أنّ قائلاً قالَ: «رأيتُ اليومَ عَذِرَةً أو غائطاً»، وهو يريدُ المعنى المتقادِمَ» لمْ يُفهَمْ مِنه المطمئنُّ مِن الأرضِ وفناءِ الدّارِ، لأنّه صارَ كالمتروكِ بعُرفِ الاستعمالِ، والمعنى العرفيُّ كالمعنى الوضعيِّ في

تردّدِ اللّفظِ بينهما، وليس المجازُ كالحقيقيِّ، لكنّ المجازَ إذا صارَ عرفيّاً كانَ الحكمُ للعُرفِ»(٥٣).

وممّا يتعلّقُ بأذيالِ هذا المطْلَبِ؛ مَطلبِ الحديثِ عن فضلِ استرفادِ الحالِ الرّافعِ للاحتمالِ، تنبُّهُ الإمامِ إلى أثرِ تقادمِ الزّمنِ الذي قدْ يُفضي إلى قطعِ الحدثِ الكلاميِّ عن سياقِه، لينبنيَ على هذا تفاصلٌ لا تواصلٌ، وقدْ أشارَ إلى هذا الملحَظِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ آنَ ورودِه على مبحثِ «في تعارضِ العمومَينِ»(٥٤)، عارضاً لمساءلةٍ تَرِدُ عليه مِن هذا البابِ، ويتجلّى النّظرُ اللّغويُّ الاجتماعيُّ عندَه في الإجابةِ عنْ مُساءلةٍ تقولُ: هلْ يجوزُ أنْ يتعارضَ عمومانِ، ويَخْلُوَا عنْ دليلِ ترجيحٍ؟ وقدْ استقبلَ الإمامُ إجابتَه عنْ تلكم المساءلةِ بالإشارةِ إلى أنّ قوماً مِن الفقهاءِ قالوا لا يجوزُ، وفي ذلك مَغْلَطَةٌ عندَه؛ إذْ إنّه يتّحسسُ أثرَ الزّمنِ في هذه المسألةِ، فثَمّ قيمٌ معنويةٌ مفقودةٌ، وهي مِن الهوادي إلى المتعيّنِ، كالقرائنِ والأحوالِ والمقاميّاتِ، ولذا فقدْ قرّر الإمامُ، بالفيءِ على هذا الفهمِ الاجتماعيِّ، أنّ القولَ بتعارضِ العمومينِ جائزٌ لا يُدْفَعُ، «ويكونُ مُبَيّناً لأهلِ العصرِ الأوّلِ، وإنّما خَفِيَ علينا لطولِ المدّةِ، واندراسِ القرائنِ والأدلّةِ»(٥٥)، والحقّ أنّ هذا النّصَّ المقتَبسَ يتساوقُ، في دلالتِه الكلّيّةِ، معَ نصٍّ يقفُ فيه الجُرجانيّ صاحبُ «الوَساطة» على سُهْمَةِ هذا الباعثِ في تخلُّقِ الإشكالِ، ومِن ذلك تعقيبُه على قولِ الأعشى:

إذا كانَ هادي الفَتَى في البِلا دِ صَدْرَ القَناةِ أَطاعَ الأَمِيرا

فهو يرى أنّ هذا البيتَ خلوٌ مِن التّعقيدِ، وأنّه بعيدٌ لفظُه عن الاستكراهِ، فألفاظُه لا تُشْكِلُ على العامّةِ، بلْ على أدناهم، ولكنّ الإشكالَ في غيابِ شاهدِ الحالِ الذي يغلّفُ هذا السّياقَ البِنيويَّ، ولذا يغدو الوقوفُ على المتعيِّنِ الكلّيِّ مِن كلامِ الأعشى مُتعذِّراً لتعذّرِ استشرافِ سياقِ الحالِ، وشاهدِ الأعشى، «فإذا أردتَ الوقوفَ على مرادِ الشّاعرِ، فمن المحالِ عندي، والممتنعِ في رأيي، أنْ تصلَ

إليه إلاّ مِن شاهدِ الأعشى بقولِه...، فأمّا أهلُ زمانِنا فلا أجيزُ أنْ يعرفوه إلاّ سَماعاً إذا اقتصرَ بهم مِن الإنشادِ على هذا البيتِ المُفْرَدِ»[٥٦]، ومِن شيعةِ نظريّةِ السّياقِ المحدَثين الذين يَهْجِسون بمثلِ هذا الذي سبقهم إليه الجُرجانيّ والغزاليُّ «أولمان»؛ ذلك أنّه يشيرُ إلى أنّنا لو «قمنا بمقارنةٍ كاملةٍ بين فترتينِ لتكشّف لنا الأمرُ عن اختلافاتٍ عميقةٍ كثيرةٍ، مِن شأنِها أنْ تعوّقَ فهمَ المرحلةِ السّابقةِ وإدراكَها إدراكاً تامّاً»[٥٧].

دِلالاتٌ هامشيّةٌ ومَعانٍ عاطفيةٌ:

ويلتفتُ الغزاليُّ، على نحوٍ مُعجِبٍ، إلى مبحثٍ في الدّرسِ اللّسانيِّ حديثٍ، ومِضمارُه الأوّلُ الدِّلالاتُ الهامشيّةُ المتأتّيةُ مِن خاصِّ أمرِ الفردِ، ودخيلةِ النّفسِ، والهوى، وهي، بِلا ريبٍ، دِلالاتٌ تنضافُ إلى الدِّلالةِ المركزيّةِ التي يَلتقي عليها أبناءُ النّظامِ اللّغويِّ الواحدِ مِن جهةٍ، وما تُثبتُه المعجماتُ في بطونِها مِن جهةٍ أخرى، ولذا يَحدثُ تمايزٌ بينَ معنيينِ يكتنفان بعضَ الكلماتِ؛ أوّلُهما المعنى الإشاريُّ، وهو الذي التقى عليه أبناءُ النّظامِ تواضعاً وانعقاداً لإجماعِهم على دِلالتِه، وثانيهما معنى عاطفيٌّ هامِشيٌّ، وهو إيحاءاتٌ عاطفيّةٌ، ومعانٍ هامشيّةٌ، تتباينُ بتباينِ الأفرادِ والثّقافةِ والطّبيعةِ التي فُطرَ المرءُ عليها[٥٨]، ومِن ذلك دِلالةُ «البَحرِ»؛ إذْ إنّه قد يكونُ عندَ فردٍ ممّا يُسْتَعاذُ بالصّمتِ مِن أمثالِه، لأنّه فَقَدَ عزيزاً في البحرِ أو كادَ، فَيُحوّلُ جمالَه إلى شناعةٍ، وأنغامَه إلى عويلٍ، وقدْ يكونُ عندَ آخرَ ممّا يُسْتلاذُ به، إذْ هو ممّا يُفتّقُ عليه الخاطرَ، فتجودُ القريحةُ المنتشيةُ، واللاّفتُ للخاطرِ أنّ هذين الفردَينِ يتّفقان في تعيينِ المعنى الإشاريِّ وفاءً للإلْفِ اللّغويِّ المستحكِمِ، ولكنّهما يفترقان فيما يغلّفُ هذا المعنى الإشاريَّ مِن دِلالاتٍ فرديّةٍ عاطفيّةٍ، وقدْ أشار «أولمان» إلى أنّ بواعثَ العنصرِ العاطفيِّ في الكلمةِ قدْ تتعدّدُ،

«فأحياناً يكونُ المعنى بطبيعتهِ مُثيراً للشّعورِ والإحساساتِ القويّةِ، مِن ذلك أنّ الكلماتِ التي تدلُّ على القيمِ الأخلاقيّةِ نحو: حريّةٍ، عدلٍ، حقٍّ، والصفات التي تستعملُ في المدحِ أو القدحِ، مثل: طيّبٍ، جميلٍ، رقيقٍ، شنيعٍ، دنيءٍ، حقيرٍ، كلّها ألفاظٌ يصعبُ تخليصُها أو تجريدُها ممّا فيها مِن إيحاءاتٍ ذاتيّةٍ عاطفيّةٍ»(٥٩).

والحقُّ أنّ هذا الذي قرّره «أولمان» قد سبقه إليه الغزاليُّ بعباراتٍ مُلمحةٍ ومصرّحةٍ باستشرافِ هذا النّظرِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ، فقدْ شرعَ الغزاليُّ بمحاورةِ هذا المبحثِ مُستفتحاً قوابلَ حديثِه برأيِ المعتزلةِ الذين ذهبوا إلى أنّ الأفعالَ تنقسمُ إلى حسنةٍ وقبيحةٍ، ولكنّه لمْ يرَ رأيَهم، فاستدركَ عليهم مُقيماً على رأيٍ ذي ثلاثِ شُعَبٍ: أوّلُها أنّ الأفعالَ تنقسمُ إلى ما يوافقُ غرضَ الفاعلِ، وثانيها أنّ بعضَها يخالفُ غرضَه، وثالثُها غيرُ متردّدٍ بينَ الموافقةِ والمخالفةِ، فالموافِقُ يُسمَّى حَسَناً، والمخالفُ يُسمَّى قُبْحاً، والثّالثُ يُسمّى عَبَثاً، ولذلك كلِّه يتباينُ الأفرادُ في الدِّلالاتِ العاطفيّةِ، والمعاني الهامشيّةِ التي تكتنفُ بعضَ الكلماتِ، ويضربُ الإمامُ مثالاً مجليّاً لهذا النّظرِ المتقدِّمِ مستعيناً بدِلالةِ «القتلِ» و«السّوادِ»؛ ذلك أنّ المعنى الإشاريَّ لِتَيْنِكَ الكلمتينِ لا يختلفُ عليه اثنانِ، ولكنّه قدْ ينضافُ إلى هذا الاتّفاقِ افتراقٌ؛ افتراقٌ في دِلالاتِ «القتلِ» أو «السّوادِ» الهامشيّةِ، فقتلُ الملكِ «يكونُ حَسَناً في حقّ أعدائِه، قبيحاً في حقِّ أوليائِه،...، وربّ شخصٍ ينفرُ عنه طبعٌ، ويميلُ إليه طبعٌ، فيكونُ هذا حَسَناً في حقّ هذا، قبيحاً في ذاك، حتّى يَستحسنَ سُمرةَ اللّون جماعةٌ، ويَستقبحَها جماعةٌ، فالحُسْنُ والقُبحُ عندَ هؤلاءِ عبارةٌ عن الموافقةِ والمنافرةِ، وهما أمرانِ إضافيّانِ، لا كالسّوادِ والبياضِ؛ إذْ لا يُتَصوّرُ أنْ يكونَ الشيءُ أسودَ في حقِّ زيدٍ، أبيضَ في حقِّ عَمْرٍو»(٦٠).

فَضلُ العادةِ في الإفادةِ:

ويعرّجُ الغزاليُّ على هادٍ موجّهٍ للمعنى، وهو عادةُ المتكلّمِ التي عُرِفَ بها،

وليس يَخفى، للوهلةِ الأولى، أنّنا نكادُ نتمثّلُ نظريّةَ السّياقِ عندَ «فيرث» مِن ألفِها إلى يائِها عندَ الغزاليِّ، والمُلْحَظُ اللّطيفُ الذي يحسنُ أنْ يؤخَذَ بعينِ العنايةِ والرّويّةِ أنّ للعادةِ فضلاً في الإبانةِ عن المعنى في مواضعَ، وقد جعلها الإمامُ مَدخلاً مُسانِداً لتعيينِ مَقْصِدِ العمومِ أو الخصوصِ في الحدثِ الكلاميِّ، وليسَ يخفى، مِن وجهةٍ ثانيةٍ، أنّنا نتحدّثُ، بالرّجوعِ إلى أركانِ نظريّةِ «فيرث»، عنْ حالِ المتكلّمِ والسامعِ والعَلاقةِ بينَهما، «كيفَ وصيغةُ العمومِ والأمرِ والنّهيِ قطّ لا تنفكُّ عن قرينةٍ مِن حالِ المأمورِ والمأمورِ به والآمرِ»[٦١].

ومِن المثُلِ التي فيها فضلُ بيانٍ يجلّي مَطْلَبَ هذه المباحثةِ قولُ أحدِهم - كما يرى الغزاليُّ-: مَن دخلَ داري فأعطِه، وفي خواطرِنا أنّ صاحبَ هذا القولِ يُعْلَمُ مِن عادته أنّه لا يقربُ الفاسقَ، ولا يكرمُه البتّةَ، فهذه قرينةٌ مخصِّصةٌ تنسخُ ما قدْ يقفزُ إلى الخاطرِ الأوّلِ مِن عمومٍ، وإذا ما أرادَ المأمورُ أنْ يستجليَ جوانبَ هذا الأمرِ فإنّه يحسنُ أنْ يسألَه بقولِه: ولوْ كانَ كافراً فاسقاً؟ لأنّ المأمورَ، في مُساءلتِه تلكم، يَحتكمُ إلى العادةِ القارّةِ في نفسِ الآمرِ، وفي الآن نفسِه، ليس يحسنُ استفهامٌ مِنه مِضْمارُه: وإنْ كانَ طويلاً أو أبيضَ، «وإنّما حَسُنَ السّؤالُ عن الفاسقِ لأنّه يُفهَمُ مِن الإعطاءِ في هذا السيّاقِ الإكرامُ، ويُعْلَمُ مِن عادتِه أنّه لا يُكرمُ الفاسقَ...، فلتوهُّمِ القرينة المخصِّصةِ حَسُنَ مِنه السّؤالُ، ولذلك لمْ يحسنْ في سائرِ الصّفاتِ»[٦٢]، والحقّ أنّ الباجيَّ قدْ تنبّهَ إلى أثرِ العادةِ في الإبانةِ عن المعنى مِن قبلُ، إذْ رأى أنّ تخصيصَ العمومِ قدْ يتعيّنُ بعادةِ المخاطبين، «لأنّ اللّفظَ إذا وَرَدَ حُمِلَ على عُرْفِ التّخاطبِ في الجهةِ التي وَرَد مِنها»[٦٣].

وممّا هو قريبٌ مِن بابِ القولِ على العادةِ وأثرِها في الدِّلالةِ طبقةُ المتكلِّمِ وثقافتُه، وقدْ وردَ هذا النّظرُ الاجتماعيُّ عندَ الإمامِ في مسألةِ «العددُ الكاملُ

لحصولِ العلمِ»، فلمْ يفتْه التّنبيهُ إلى قرينةٍ تعضدُ الخبرَ اللّغويَّ، ومِن ذلك عرضُه لهذه المسألةِ، مُبتدئاً ببسطِ القولِ فيها، مُلمِحاً إلى أنّ عددَ المخْبِرينَ ينقسمُ إلى ما هو ناقصٌ فلا يفيدُ العلمَ، وإلى ما هو كاملٌ فيؤدّي الغرضَ، وإلى ما هو زائدٌ، وهو الذي يحصلُ العلمُ ببعضِه وتقعُ الزّيادةُ فضلاً عن الكفاية(٦٤)، ولكنّ الغزاليَّ لا يتركُ هذه المسألةَ مفتوحةً وقدْ غدا أمرُ العددِ المحتَكَمَ الأوحدَ في حصولِ العلمِ؛ إذْ إنّه استدركَ على نفسِه استدراكاً باعثُه الفيءُ إلى سياقِ الحالِ وملابساتِ الحدثِ الكلاميِّ، فرأى أنّ الخبرَ لا يستندُ إلى مُجرّدِ العددِ للحكمِ عليه بالصّدقِ أو ضدِّه، فقدْ تقومُ قرائنُ مخصوصةٌ مقامَ العددِ النّاقصِ لتُؤْذِنَ بتعيينِ صدقِ الخبرِ، وقدْ أنكرَ بعضُهم – كما يرى الإمامُ– أثرَ هذا المطْلبِ، «ولمْ يلتفتْ إلى القرائنِ، ولمْ يجعلْ لها أثراً، وهذا غيرُ مرضيٍّ...، ومُجرَّدُ القرائنِ أيضاً قدْ يُورِثُ العلمَ وإنْ لمْ يكنْ إخبارٌ، فلا يبعدُ أنْ تنضمَّ القرائنُ إلى الإخبارِ، فتقومَ بعضُ القرائنِ مقامَ بعضِ العددِ من المخْبِرِينَ»(٦٥)، ويسترفدُ الغزاليُّ واقعةً مِن منسوجِ خيالِه مُحامياً بها عن نظرتِه، مُجليّاً لفكرتِه، ومُستصفاها أنّه لو تعيّنَ أنّ ثمّة حدثاً كلاميّاً مضمارُه إخبارُ خمسةٍ أو ستّةٍ عن موتِ إنسانٍ، فإنّ ذلكم – أعني الحدثَ الكلاميَّ – يغدو معضوداً بقرينةٍ عنوانُها المقامُ وأحوالُ المتكلّمينَ التي تُفضي إلى حصولِ العلمِ الكاملِ مِن الخبرِ، والقرينةُ هي انضمامُ والدِ الميّتِ إلى الخبرِ والمخبِرِينَ، وهو – مِن بُعْدٍ اجتماعيٍّ آخرَ يُعدُّ قرينةً مُعَيِّنةً – مِن ذوي المناصبِ والمروءةِ التي تبعثُنا على إلحاقِه بِرَكْبِ مَن ينتسبونَ إلى عِلْيَةِ القومِ وخاصّتِهم، ولكنّه خرجَ مِن بيتِه «حاسرَ الرّأسِ، حافيَ الرّجْلِ، ممزَّقَ الثّيابِ، مضطربَ الحالِ، يصفْقُ وجهَه، وهو رجلٌ كبيرٌ ذو مَنْصِبٍ ومُروءةٍ، لا يخالفُ عادتَه ومروءتَه إلاّ عن ضرورةٍ، فيجوزُ أنْ يكونَ هذا قرينةً تنضمُّ إلى قولِ أولئكَ، فتقوم في التّأثيرِ مقامَ بقيّةِ العددِ»(٦٦).

ما وراءَ الكلامِ:

المسكوتُ عنه والمنطوقُ بِه:

وعلى صعيدٍ لغويٍّ آخرَ يتنبّهُ الغزاليُّ إلى أنّ دلالةَ الحدثِ الكلاميِّ الكلّيّةَ لا تُستقى مِن الألفاظِ وحدَها؛ ذلك أنّ ثَمّ محدّداتٍ أخرى كلاميّةً وغيرَ كلاميّةٍ تفعلُ في تشكيلِ المعنى وتعيينهِ، ولذا تَلقَى القارئَ، في ثِنْيِ قراءتِه للمستصفَى، إشاراتٌ وملاحظُ مُعجِبةٌ تُنبِئ عن إلحاحِ الغزاليِّ على هذا المطلبِ، «فاعلمْ أنّ كلَّ مَن طلبَ المعانيَ أوّلاً مِن الألفاظِ ضاعَ وهلكَ، وكانَ كمن استدبرَ المغرِبَ وهو يطلبُه»[٦٧]، وفي مقامٍ آخرَ عرّجَ على مباحثَ مضمونُها ما يُقتَبسُ مِن الألفاظِ لا مِن حيثُ صيغتُها، بلْ مِن حيثُ فحواها وإشارتُها، ومِن ذلك ما يُؤخَذُ مِن إشارةِ اللّفظِ لا مِن اللّفظِ، فالمتكلّمُ قدْ يُفهِمُ بإشارتِه وحركتِه في أثناءِ كلامِه ما لا يدلُّ عليه نفسُ اللّفظِ، وقدْ وَسَمَ هذا بالإشارةِ[٦٨]، وما كانَ أكثرَ هذا الملْحَظَ في كلامِنا ومخاطباتِنا اليوميّةِ، ومِن مُثُلِ ما تقدّم تعريجةُ الغزاليِّ على مبحثٍ عنوانُه «فَهمُ غيرِ المنطوقِ به مِن المنطوقِ بدلالةِ سياقِ الكلامِ ومقصودِه»[٦٩]، وعلى صعيدٍ لسانيٍّ غربيٍّ، تتجلّى للقارئِ مفارقةٌ لطيفةٌ بين كلامِ الإمامِ وكلامِ «جون لاينز»، فقدْ أشارَ الأخيرُ إلى أنّ معنى الكلمةِ يتجاوزُ ما يُقالُ؛ ذلك أنّه يتضمّنُ ما هو مقصودٌ ضِمناً، أوْ ما يُفترَضُ قبلاً، وللسّياقِ صلةٌ وثيقة العُرى بهذا الجزءِ مِن معنى الوَحَداتِ الكلاميّةِ[٧٠]، وفي مَقامٍ آخرَ يلتمسُ «لاينز» أنّ ثمّ مسكوتاً عنه أوْلى مِن المنطوقِ به، وفي هذا يقولُ في بابِ «الاستدلال والتّضمين»: «هناك معنى اعتياديٌّ للفِعل "Imply"، إذ بِوسعِنا أنْ نعنيَ ضِمناً، بلْ إنّنا نعني ضِمناً، في العادةِ، شيئاً ما بواسطةِ وَحَداتِنا الكلاميّةِ يختلفُ عمّا نقولُه فِعلاً»[٧١]، وأحسبُ أنّ هذا يلتقي مع قولِ الإمامِ، ومُستصفاه أنّ المتمسِّكَ بالمفهومِ والفحوى ليسَ متمسّكاً بلفظٍ، بلْ

بسكوتٍ[٧٢]، وليس يخفى أنّ تلكم موضوعاتٌ لغويّةٌ اجتماعيّةٌ يتعيّنُ المقْصِدُ مِنها بالنّظرِ إلى السّياقِ وما يكتنفُه مِن أنظارٍ وملابساتٍ ومقاميّاتٍ تُنبئُ عن المعنى، وهنا يقفزُ إلى الخاطرِ ملحظٌ لغويٌّ اجتماعيٌّ مفادُه أنّ المرءَ قدْ يرمي إلى مسكوتٍ عنْه جانحاً إلى منطوقٍ به، والقطبُ الثّاني مِن الحدثِ الكلاميِّ يقتنصُ هذه الدِّلالةَ المسكوتَ عنها وفاءً للحنِ القولِ وفحواه المنعقِدِ بينَ ذَيْنِكَ القطبَينِ «المرسِل والمستقبِل»، ومِن ذلك عندَه ما ساقه تبييناً لهذا المبحثِ، وهو أنّ الدّلالةَ المسكوتَ عنها قدْ تكونُ أولى مِن المنطوقِ به، وذلك نحوُ قولِه – تعالى –: ﴿وَلا تقلْ لَهما أفٍّ﴾[٧٣]، فلفظُ التّأفيفِ ههنا يدلُّ على تحريمِ الضّربِ، بلْ يكونُ ذلك أسبقَ إلى الفهمِ مِن التّأفيفِ المذكورِ، إذْ التّأفيفُ لا يكونُ مقصوداً في نفسِه، بل يُقصَدُ به التّنبيهُ على منعِ الإيذاءِ بذكرِ أقلِّ درجاتِه، فهنا المسكوتُ عنْه هو الأصلُ في القصدِ الباعثِ على النّطقِ بالتّأفيفِ»[٧٤].

ويستشرفُ الغزاليُّ مقاماً آخرَ لقولِنا: «وَلا تقلْ لَه أفٍّ»، والمفارقة التي تسترعي الخاطرَ في مثالِ الإمام أنه ساقَ سياقاً مقاميًّاً مغايراً لسياق قولِ الحقِّ – تباركَ في عُلاه– وذلك للإبانةِ عن تلوُّنِ الدّلالاتِ اللّغويّة بتلوّنِ المقاماتِ السياقيّةِ، إذْ إنّه قدْ ترِدُ على السّامعِ لهذا الأمرِ «لا تقلْ له أفٍّ» قرينةٌ لا تُحرِّمُ الضّربَ أو القتلَ المبتغَى تحريمُه في جَنبِ الوالدَينِ، إذ الملكُ قدْ يقتلُ أخاه المنازِعَ له، فيقولُ للجلاّدِ: اقتلْه واضربْه، ولا تقلْ له أفٍّ[٧٥]، «وعندَ ظهورِ القرينةِ المذكورةِ ربّما تظهرُ قرينةٌ أخرى تمنعُ مِن هذا الفهمِ»[٧٦]، ولولا أنّ عهدَنا بأنّ تلكم الآيةَ قدْ سيقتْ في مقامِ تعظيمِ الوالدَيْنِ وتبجيلِهما لَمَا فَهِمْنا منعَ الضَّربِ والقَتْلِ مِن منعِ التأّفيفِ[٧٧]، ومُستصفَى القولِ في الذي تقدّم آنفاً أنّ «ولا تقلْ له أفٍّ» مُحتمِلةٌ متردّدةٌ لا تتعيّنُ دِلالتُها الكلّيّةُ إلاّ باسترفادِ سياقٍ يلفُّها، وأنّها – مِن وجهةٍ اجتماعيّةٍ أخرى – يُقتنَصُ مِنها أنّ المسكوتَ عنه أوْلى مِن المنطوقِ به،

ومِن ذلك دِلالةُ بلْ دِلالاتُ «الحمدُ للهِ» التي تقدّم بيانٌ لبعضِ المقاميّاتِ التي تَرِدُ فيها، وقدْ تبيّنَ أنّ القطبَينِ تواصلا وهما مُتمسِّكانِ بسكوتٍ مُلْمِحٍ لا منطوقٍ مُصرِّحٍ، وقدْ تجلّى ذلك في حادثةِ الطّعامِ التي اكتستْ فيها «الحمدُ للهِ» معانيَ متباينةً[٧٨].

ومِن الأمثلةِ المبِينةِ عن التمسّكِ بالمسكوتِ عنه، واطّراحِ المنطوقِ به حدثٌ كلاميٌّ بينَ اثنينِ قدْ شَرَعا في عملٍ، ثمّ لَقِيا مِن أمرِهما نَصَباً، فتوقّفَ أحدُهما قائلاً: الله، ما أشدَّ حرَّ هذه الهاجرةِ!، فقامَ الثّاني مِن مقامِه راغباً عن العملِ، مُستجيباً لهذا المثيرُ الكلاميِّ؛ ففتحَ نافذةَ الغرفةِ، أوْ أدارَ المِرْوَحةَ، أوْ فعلَ فعلاً يقتضيه الطّلبُ المتضمَّنُ، واللّطيفُ في هذا أنّ المخاطَبَ يَقَرُّ في خاطرِه أنّ مُنشِئَ الكلامِ لمْ يردْ لا التّعجّبَ، ولا الإخبارَ في قولِه: «الله ما أشدَّ حرَّ هذه الهاجرةِ!»، بلْ جنحَ إلى الأسلوبِ المغلَّفِ، والمبنى الملفَّفِ القائمِ على إرادةِ المسكوتِ عنْه (بلغة الإمامِ)، أو التّضمينِ والاستدلالِ (بلغة لاينز)، فكانَ ما كانَ مِن استجابةِ المخاطَبِ، والظّاهرُ ههنا أنّ المسكوتَ عنْه أوْلى مِن المنطوقِ به، وقدْ يكونُ على صعيدٍ سياقيٍّ آخرَ قدْ أرادَ التّشكّي، فلا يَنْبني على هذا أيُّ استجابةٍ فعليّةٍ يَنْهدُ إليها المخاطَب، كلُّ ذلكمْ يعيّنُه سياقُ الحالِ عامّة، واقتناصُ المسكوتِ عنه خاصّة.

الخِطابُ بينَ التّواصلِ والتّفاصلِ:

المتكلّمُ نائماً:

وفي مَعْرِضِ تعريجةِ الإمامِ على حدِّ الخبرِ يذكرُ تعريفاً جامعاً لا مانعاً؛ إذْ إنّه قدْ أُثِرَ، على وجهِ مِن التحكّمِ، أنّ الخبرَ هو القولُ الذي يتطرّقُ إليه التّصديقُ أو التّكذيبُ، ومِن مثلِ ذلك قولُنا: زيدٌ قائم[٧٩]، ولكنّ الغزاليَّ قَلّبَ هذا التّعريفَ فألفاه قاصِراً، والباعثُ على هذا أنّه فَزِعَ إلى استرفادِ سياقِ الحالِ عامّة،

وحالِ المتكلّمِ خاصّة، فقولُنا: «زيدٌ قائمٌ» قدْ يكونُ خبراً، وقدْ يَنتفي عنْه الإخبارُ، فإذا ما صَدَرَ مِن نائمٍ يهذي، أوْ ممّنْ انتشى بسُكْرٍ غلبَه، فإنّه لا يكون خبراً البتّةَ، «بلْ يصيرُ خبراً بقصدِ القاصدِ إلى التّعبيرِ عمّا في النّفسِ»[٨٠]، والذي يظهرُ للمتبصّرِ مِن كلامِ الإمامِ أنّه يستبطنُ مقاميّاتِ الحدثِ الكلاميِّ وأقطابَه إنْ مرسِلاً، وإنْ مستقبلاً، حتّى يصلَ إلى تعريفٍ جامعٍ مانعٍ لاشِيَةَ عليه، ومِن ذلك حالُ المتكلّمِ والقصدُ والظّرفُ الذي يشتملُ على ذلكم الحدثِ الكلاميِّ، واللّفتةُ اللّطيفةُ في الكلامِ المتقدّمِ آنفاً أنّ الإمامَ ينظرُ إلى اللّغةِ مِن حيثُ هي قيمةٌ تواصليّةٌ لها قُطبانِ يتجاذبانِ أطرافَ الحدثِ الكلاميِّ، فلا يكونُ الخبرُ عندَه إلا بالتّواصلِ والقصدِ والمقامِ، وإلاّ كانَ كلاماً سائحاً في هواءٍ طَلقٍ ليس يتعيّنُ مِنه وظيفةٌ اجتماعيّةٌ هي التّواصلُ، وقد بيّنَ الآمديُّ الأصوليُّ أنّ الخبرَ قدْ يُطلَقُ على الدّلائلِ المعنويّةِ، والإشاراتِ الحاليّةِ، «كما في قولِهم: عيناكَ تُخبرُني، وقدْ يُطلَقُ على قولٍ مخصوصٍ»[٨١].

المتكلّمُ قاصِداً:

وفي مُباحثاتِ الغزاليِّ الشّائقةِ يعرضُ إلى تعيينِ مفهومِ الخطابِ ومناقشةِ حدِّه، فالخطابُ ليس ثمّ بدٌّ مِن فائدةٍ تكتنفُه، وما لا فائدةَ فيه – مِن وجهةِ نظرٍ تواصليّةٍ وظيفيّةٍ– يَصيرُ وجودُه كعدمِه[٨٢]، ولذا يتعيّنُ على القُطبِ الأوّلِ للحدثِ الكلاميِّ «المخاطِبِ» أنْ يبثَّ رسالَته «الكلام» مُستعيناً بأداةِ الخِطابِ «النّظامِ اللغويّ» الذي يمتلكُه مَنْ يقفُ وجاهَه «المخاطَب»، وإذا لمْ يكنْ المخاطَبُ ذا عهدٍ بهذا النّظامِ اللّغويِّ المحمَّلِ بالخطابِ، فإنّ الأصواتَ التي ينتجُها المخاطِبُ تغدو في انبهامِها، واستعجامِ مرادِها، كخريرِ الماءِ، أوْ هديلِ الحمامِ. ومِن وجهةٍ أخرى، قدْ يستعينُ المخاطِبُ بنظامِه اللّغويّ المستحكِمِ استعانةً غيرَ وظيفيّةٍ، كأنْ يُطلسمَ أوْ يَهذيَ بلغوٍ لا طائلَ تحتَه، ومِن ثَمَّ ترتفعُ عنْه

صِبغةُ الخطابِ، فلا «يجوزُ أنْ يقولَ: أبجد هوّز، ويريدُ به وجوبَ الصّلاةِ والصّومِ، ثمّ يبيّنُه مِن بعدُ، لأنّه لغوٌ مِن الكلامِ»(٨٣).

وعلى صعيدٍ آخرَ تشريعيٍّ، يظهرُ أنّ الرّكنَ الثّالثَ مِن أركانِ الحكمِ، وهو المحكومُ عليه، ينبغي أنْ يفهمَ الخطابَ، ولذا تنتفي مخاطبةُ الجمادِ والبَهيمةِ، بلْ خطابُ المجنونِ والصبيِّ؛ إذْ إنّه تكليفٌ ربّانيٌّ مقتضاه الطّاعةُ والامتثالُ، «فمنْ لا يَفْهمُ كيفَ يُقالُ له افهمْ، ومَن لا يسمعُ الصّوتَ، كالجمادِ، كيفَ يُكلَّمُ، وإنْ سمعَ الصّوتَ كالبهيمةِ، ولكنّه لا يفهمُ فهو كمنْ لا يسمعُ»(٨٤).

ثمّ إنّ مفهومَ الإبانةِ «التّواصل» عندَه ليس مقصوراً على اللّفظِ، ومِن هنا يتجلّى لنا إلحاحُ الإمامِ على هذا المطلَبِ اللّسانيِّ القائمِ على إيلاءِ السّياقينِ عينَ العنايةِ في اقتناصِ مَقاصدِ الكلمِ، ورسومِ التّعبيرِ، ومِن ذلك إشاراتُه إلى أثرِ استكمالِ السّياقِ البِنيويِّ في تعيينِ المعنى، والمتأمّلُ في المستصفَى يجدُ أنّ هذا الأثرَ مُستفيضٌ متكاثرٌ عندَه، وإخالُ أنّه يحسنُ عرضُ مُثُلٍ على وجهِ الاقتضابِ، ومِن ذلك «المشترَكُ اللّفظيُّ» الذي قدْ يُشكِلُ إذْ يقعُ تحتَه معنيانِ، فقولُنا «عينٌ» مُلبِسٌ محتمِلٌ معانيَ مُفترِقةً، تشتملُ عليها مبانٍ متّفقةٌ، ولكنّ إدخالَها في سياقٍ بنيويٍّ قدْ يُؤذِنُ، في الكثيرِ الغالبِ، بفهمِ المتعينِ مِنها، وقدْ صرّحَ بهذا الإمامُ، فقال: «ومَن قالَ: حدّ اللّونِ ما يُدرَكُ **بحاسّةِ** «العينِ» على وجهِ كذا وكذا، فلا ينبغي أنْ يُنْكَرَ مِن حيثُ إنّ لفظَ العينِ مشتركٌ بينَ الميزانِ والشّمسِ والعضوِ الباصرِ، لأنّ قرينةَ «الحاسّةِ» أذهبتْ الاحتمالَ، وحصلَ التّفهيمُ الذي هو مطلبُ السّؤالِ»(٨٥)، وكذلك تصيّدُه دِلالةَ كلمةِ «الخلق» المتلوّنةَ بتلوّنِ السّياقِ الذي تَرِدُ فيه(٨٦)، ومِن مِثلِ ما تقدّم التفاتُته إلى تواصلِ مكوّناتِ السّياقِ البِنيويِّ؛ ذلك أنّ انفساخَه قدْ يُفضي إلى معنى غيرِ مُرادٍ، ومِنه قولُ الحقِّ -جلّ في علاه-: ﴿وَيلٌ

للمصلّينَ﴾، فلا حكمَ مِن هذا التّركيبِ الشّريفِ قبلَ إتمامِ الكلامِ، وعندَ تمامِه يغدو الويلُ مقصوراً على مَن وُجِدَ فيه شرطُ السّهوِ والرّياءِ، لا أنّ كلّ مصلٍّ دخلَ فيه «الويلُ» ثمّ خرجَ البعضُ(٨٧).

القَرينةُ الهاديةُ:

وفي بابِ القولِ على التّواصلِ والإبانةِ عندَ الغزاليِّ نجدُه يعوّلُ كثيراً على القرينةِ الهاديةِ إلى المعنى، أو المرشِّحةِ له، وهي عندَه تنتسبُ إلى ضربَينِ: قرينةٍ لفظيّةٍ، وقدْ تقدّم الكلامُ على بعضِ أمثلتِها، وأخرى معنويّةٍ لا تُستقَى مِن السّياقِ البِنيويِّ، وإشاراتُه إلى تَيْنِكَ القرينتينِ كثيرةٌ كثيرةٌ، ومِن ذلك ورودُه على سبلِ استشفافِ «البيانِ» وحصولِه، فقدْ يكونُ بعباراتٍ وُضعتْ بالاصطلاحِ والتّواضعِ، وليس يخفى على ذي نُهْيةٍ أنّه يُلمِحُ إلى الألفاظِ والتّراكيبِ، وقدْ يكونُ – مِن وجهةٍ اجتماعيّةٍ أخرى– بالفعلِ والرّمزِ والإشارةِ(٨٨)، والإشارةُ عندَ ابنِ حزمٍ في أصولِه تكونُ باللّفظِ وبعضِ الجوارحِ(٨٩)، وقريبٌ مِن هذا كلِّه البيانُ عندَ الباجيِّ الأصوليِّ؛ إذْ إنّه «يقعُ بالقولِ تارةً، ويقعُ بالفعلِ والإشارةِ والرّمزِ والكنايةِ وشاهدِ الحالِ...»(٩٠).

والبيانُ الذي هو عندَ الإمامِ هو كالبيانِ الذي هو عندَ الجاحظِ، فهو اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشفَ لك قناعَ المعنى، وهتكَ الحجابَ دون الضميرِ(٩١)، وعمادُه خمسةٌ لا تزيدُ ولا تنقصُ، وهي اللّفظُ، والإشارةُ، والعقدُ (ضرب مِن الحسابِ)، والخطّ، والحالُ الدّالّةُ. أمّا بالإشارةِ فباليدِ والرّأسِ والعينِ والحاجبِ والمِنْكِبِ(٩٢)، والإشارةُ واللّفظُ عندَ الجاحظِ شريكان، «وما أكثرَ ما تنوبُ عن اللّفظِ»(٩٣)، وفي الدّرسِ اللّسانيِّ الحديثِ يجدُ المتأمّلُ أنَّ المحدَثين تنبّهوا إلى هذه الملاحظِ فجنحوا إلى عدّها قيماً وظيفيّةً تواصليّةً تقومُ مقامَ ألفاظٍ بلْ جملٍ في أحاييِنَ، فمنهمْ مَن عرضَ لها في عُجالةٍ كعجالةِ الرّاكبِ(٩٤)، ومِنهم مَن ألّف فيها سِفْراً قائماً برأسِه

جانحاً إلى اجتراحِ مصطلحِ «لغةِ الجسمِ»، وإخالُ أنّ هذا الذي ذهبَ إليه الإمامُ، ومِن قبلِه الجاحظُ، يتّفقُ مع الدّرسِ اللّسانيِّ الوظيفيِّ الذي يرمي أشياعُه إلى أنْ يجعلوا وُكْدَهم منصبّاً في أنْ يظهروا أنّ وجوهاً كثيرةً مِن الظّواهرِ اللّغويّةِ تحكمُها عواملُ غيرُ نحويّةٍ[٩٥]، أي: لا يُكتفَى بالجملِ للإبانةِ عن المعنى.

وفي بابِ فهمِ المرادِ مِن الخطابِ تنبّهَ الغزاليُّ إلى أنّ النّصَّ قدْ يعتريه احتمالٌ، فلا يُعرفُ المرادُ مِنه على وجهِ الإحكامِ دونَ الإبهامِ، والسبيلُ إلى هذا كلّهِ «القرينةُ»، والقرينةُ إمّا لفظٌ مكشوفٌ، وإمّا إحالةٌ على دليلِ العقلِ، وإمّا قرائنُ أحوالٍ وإشاراتٌ ورموزٌ وحركاتٌ وسوابقُ ولواحقُ لا تدخلُ تحتَ الحصرِ والتّخمينِ، يختصُّ بدركِها المشاهدُ لها»[٩٦]، ومِن هذه القرائنِ حركاتُ الجوارحِ المعبِّرةِ بلغةِ الجسمِ، وقدْ عرّج الغزاليُّ، غيرَ مرّةٍ، عليها في مُستصفاه، فجعلَها دوالَّ مستقلّةً تفعلُ في تشكيلِ المعنى، بلْ وصلَ الأمرُ به إلى عتبةِ إنكارِ كونِها تابعةً للألفاظِ كما في مذاهبِ بعضِ الأصوليّين[٩٧]، «فمنْ سلّمَ **أنّ حركةَ المتكلّمِ، وأخلاقَه، وعادتَه، وتغيّرَ لونِه، وتقطيبَ وجهِه وجبينَه، وحركةَ رأسِه، وتقليبَ عينيه، تابعٌ للفظِه؟ بلْ هذه أدلّةٌ مستقلّةٌ يفيدُ اقترانُ جملةٍ منها علوماً ضروريّةً**»[٩٨]، **ومِن هذه الأدلّةِ** المستقلّةِ التي عرضَ لها الإمامُ أنّا نعرفُ عشقَ العاشقِ لا بقولِه، بلْ بأفعالٍ هي مِن أفعالِ المحبّين، وما أكثرَها وأجلاها لِمَن تبصّرَ، وتنتهي كثرةُ هذه الدِّلالاتِ «إلى حدٍّ يحصلُ لنا علمٌ قطعيٌّ بحبِّه، وكذلك ببغضِه، إذا رُؤيتْ مِنه أفعالٌ ينتجُها البغضُ، وكذلك نعرفُ غضبَه وخَجَلَه لا بمجرَّدِ حُمرةِ وجهِه، لكنّ الحُمْرةَ إحدى الدِّلالاتِ»[٩٩]، ومِن اللّطائفِ المعْجِبةِ في هذا الذي وقفَ عندَه الغزاليُّ ممّا يُستقَى مِن تعابيرِ الوجهِ كالغضبِ والخجلِ أنّ بعضَ اللّسانيّينَ المحدَثين قدْ ألّفوا في هذا المبحثِ، فعرّجوا على لغةِ الوجهِ وإيماءاتِه[١٠٠]، وهذا الضّربُ مِن

القرائنِ في الدّرسِ اللّغويِّ الاجتماعيِّ هو حديثٌ عن لغةٍ تواصليّةٍ معجمُها ما يُستَقى مِن الشّمائلِ وتعابيرِ الوجهِ وحركاتِ الجوارحِ في سياقِها الذي تقعُ فيه(١٠١)، ومِن ذلك الدّلالاتُ التي تُستقى مِن حركةِ الكفِّ واليدِ والوجهِ والعينِ والجِلْسةِ والوِقْفةِ(١٠٢)، وغيرِ ذلك مِن القرائنِ – بعبارة الغزاليِّ– التي «لا يمكنُ حصرُها في جنسٍ، ولا ضبطُها في وصفٍ»(١٠٣).

وَبعدُ،

«فاعلمْ أنّ كلَّ مَن طَلبَ المعانيَ مِن اللّفظِ ضاعَ وهلكَ، وكانَ كَمَن استدبرَ المَغْربَ وهو يطلبُه»

وحَسْبي، بعدَ هذا المتقدِّمِ، هذه الإلماحةُ المُعْجِبةُ التي وَرَدْتُ عليها في طيّاتِ المستصفَى، وقدْ أوردتُها في ثِنْيِ هذا البحثِ(١٠٤)، وها أنذا أوردُها ثانيةً في مُنتهاه إعجاباً، وإغراقاً، وإنكاراً:

إعجاباً به وهو يَلْحَبُ السّبيلَ أمامَ دارسي المعنى بهديٍ مِن بعيدِ التبصُّرِ، ولطيفِ التأمُّلِ، في تعيينِ المعنى الذي هو مدارُ الكلامِ ومُبتغاه، فوافقه على هذا، في هذه المسألةِ على وجهِ التّعيينِ، علمُ اللّسانِ الحديثِ.

وإغراقاً في الإلحاحِ على مكانتِها في الدّرسِ اللّغويِّ في اقتناصِ مقاصدِ الكلامِ ورسومِه، لتغدوَ –كما وصفها أولمان – حجرَ الأساسِ في علمِ المعنى(١٠٥).

وإنكاراً على الظّانّينَ بها ظنَّ السّبقِ، وأنّهم هم أبناءُ جِلدتِها، وأنّها عندَهم بنتُ ليلتِها وما الأمرُ كذلك في الأولى ولا في الآخرةِ.

* * *

هوامش البحث

(١) لمزيد بسط القول في حياة الغزالي انظر: أحمد الشرباصي، الغزالي، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م، والبارون كارادوفو، الغزالي، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م، وأحمد شمس الدين، الغزالي: حياته، آثاره، فلسفته، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، وأحمد فريد رفعي، الغزالي، دار المأمون، القاهرة، ١٩٣٦م.

(٢) انظر: الغزالي، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد(٥٠٥هـ)، المستصفى من علوم الأصول، تحقيق إبراهيم رمضان، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٤م، ١/ ١٤.

(٣) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ١٧.

(٤) انظر: الباجي، أبو الوليد سليمان(٤٧٤هـ)، إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق عبد المجيد تركي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ١٧١.

(٥) انظر: الآمدي، سيف الدين علي (٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ضبط إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ١/ ٨.

(٦) انظر: الآمدي، الإحكام، ١/ ٨.

(٧) الغزالي، المستصفى، ١/ ١٨، ولمزيد بسط القول في تعريف علم الأصول ونشأته وتطوره انظر: مصطفى الزلمي، دلالات النصوص وطرق استنباط الأحكام في ضوء أصول الفقه الإسلامي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٨٣م، ٣- ١٤، والسيد عبد الغفار، التصور اللغوي عند الأصوليين، مكتبات عكاظ، الرياض، ١٩٧٩م، ٧- ٣٧.

(٨) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٢٢.

(٩) انظر:

Hudson, R., A., Sociolinguistics, ٢nd edition, Cambridge University Press, Cambridge, ١٩٩٨, p. ٢٠٢.

ولتعريف اللغويات الاجتماعية انظر:

Downes, W., Language and Society, ٢nd edition, Cambridge University, Cambridge, ١٩٩٨, p.٩.

(١٠) الغزالي، المستصفى، ٢، ٣٦٣.

(١١) انظر:

Halliday, M.A.K, Language as Social Semiotic, The Social Interpretation of Language and Meaning, Edward Arnold, London, ١٩٧٩, p. ٢٨.

(١٢) انظر:

Firth,J., Papers in Linguistics, Oxford University Press, London, ١٩٥٧, p. ١٧٧- ١٨٩.

(١٣) انظر:

Gregory, M., & Carroll, S., Language and Situation, Routledge & Kegan Paul, London, ١٩٧٨, p. ٢٧.

وقد عرض «هدسون» إلى فكرة عزل اللغة عن سياقها الاجتماعي معرجاً على تاريخ هذه الفكرة، جانحاً إلى نقضها وتفنيدها بالدليل والمثال. انظر فيما تقدم:

Hudson' Sociolinguistics, p. ٢٤٤- ٢٤٥

(١٤) انظر:

Lyons, J., In Memory of J., R., Firth, Firth Theory of Meaning, Longman, London, ١٩٦٦, p. ٢٨٩.

(١٥) انظر: أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٢م، ٦٢.

(١٦) انظر:

Leech, G., Semantics, Hazell Watson & Viney Ltd., England, ١٩٧٧, p. ٧١.

ولمزيد بسط القول في نظرية سياق الحال عند فيرث انظر:

Lyons, J., Semantics, Cambridge University Press, Cambridge, ٢nd edition, ١٩٧٩, p. ٢/ ٦٠٧. Palmer, F.R., and Semantics: A New Outline, Cambridge University Press, Cambridge, ١٩٧٦, ٤٦- ٥١.

(١٧) استعرت مصطلح (المسرح اللغوي) من كلام كمال بشر، وهو بلا ريب، دال مبين عما نحن فيه، وقد ورد هذا المصطلح في كتابه: دراسات في علم اللغة، ط٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م، ٥٨.

(١٨) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٥٠- ٥١، وانظر مبحث العموم والخصوص عند الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ٢/ ٤١٣- وما بعدها.

(١٩) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٥٢.

(٢٠) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٦٥.

(٢١) الغزالي، المستصفى، ٢/ ١٢٦.

(٢٢) الغزالي، المستصفى، ٢/ ١٦٢، وانظر أمثلة في هذا المبحث في التنزيل العزيز عنده.

(٢٣) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٠٨.

(٢٤) الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٠٩.

(٢٥) الغزالي، المستصفى، ٢/ ١٤٩، وتحدث عن أدلة تخصيص العموم عنده.

(٢٦) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ١٩٦، وللتفصيل في أدلة التخصيص انظر: المستصفى، ٢/ ١٤٤ – ١٥٨، الآمدي، الإحكام، ٢/ ٤٩١ وما بعدها، ودلالات النصوص، ١١١.

(٢٧) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٣٢.

(٢٨) الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٣٢.

(٢٩) انظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، الصاحبيّ في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر الطباع، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٣م، ٢١٥.

(٣٠) ومن الذين أشاروا إلى فضل سياق الحال في رفع الاحتمال:

Soon, S., Lexical Ambiguity in Poetry, Longman Publishing, New York, ١٩٩٤, p. ٦١- ٧٣. Leech, Semantics, p. ٧٧.

(٣١) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٦٦.

(٣٢) لتعريف التنغيم انظر:

Singh, S., Phonetics: Principles and Practise, University of Park Press, ١٩٨٢, p. ١٨٧.

(٣٣) Firth, Paper in Linguistics, P. ١٨.

(٣٤) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٦٦.

(٣٥) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٣٨.

(٣٦) الآية (المائدة، ٢).

(٣٧) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٤٦– ٧٤٨، وانظر: الآمدي، الإحكام، ٢/ ٣٧٦.

(٣٨) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٤٩.

(٣٩) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٤٧، وقد وقف عند هذا التساؤل الباجي من قبل، انظر: إحكام الفصول، ١٩١.

(٤٠) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٣٩.

(٤١) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٤١.

(٤٢) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٤١.

(٤٣) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق محمد عضيمة، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٨م، ٢/ ٤٤.

(٤٤) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٦، وانظر حديث الآمدي عن «الأمر» العَرِيّ عن القرائن، الإحكام، ٢/ ٣٧٨.

(٤٥) عالجت هذا المبحث معالجة مستفيضة في ظاهرة اللبس في العربية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٩م، ١٩٢– ١٩٧.

(٤٦) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٦٩٢.

(٤٧) الغزالي، المستصفى، ١/ ٦٩٣، وانظر حديثه عن أربع علامات يعرف بها المجاز، ١/ ٦٧٨– ٦٧٩.

(٤٨) ميز اللسانيون المحدثون بين ثلاثة أنواع من المجاز، وهي المجاز الحي، والميت، والنائم الذي يتردد بين بين. انظر:

Waldron, R. A., Sense and Sense Development, London, ١٩٦٧, ١٦٢-١٧٩.

وانظر: أحمد عمر، علم الدلالة، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٤م، ٢٤٢.

(٤٩) انظر:

Ulman, S., The Principles of Semantics, Third Impression, London, ١٩٦٣, p. ٢٠٣.

(٥٠) انظر: ابن منظور، اللسان، مادة «عذر».

(٥١) انظر: ابن منظور، اللسان، مادة «عذر».

(٥٢) انظر: ابن منظور، اللسان، مادة «غوط»، والآمدي، الإحكام، ١/ ٢٧.

(٥٣) الغزالي، المستصفى، ١/ ٦٩٣.

(٥٤) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ١٧٧.

(٥٥) الغزالي، المستصفى، ٢/ ١٨٦.

(٥٦) الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز (٣٩٢هـ)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل، وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٦م، ٤١٧.

(٥٧) أولمان، دور الكلمة، ١٧٠.

(٥٨) للنظر في معنى المعنى العاطفي انظر:

Malmberg, B., New Trends in Linguistics, Stockholm, ١٩٦٤, P. ١٢٥.
Palmer, Semantics, P. ٣٥.

(٥٩) أولمان، دور الكلمة، ١٠٤.

(٦٠) الغزالي، المستصفى، ١/١٣٥- ١٣٦.

(٦١) الغزالي، المستصفى، ١/ ٤٤٧.

(٦٢) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٨٢.

(٦٣) الباجي، إحكام الفصول، ٢٦٩.

(٦٤) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٤٠١، وانظر حديث ابن حزم عن هذه المسألة والعدد: الإحكام، ١/ ١٠٢.

(٦٥) الغزالي، المستصفى، ١/ ٤٠٣.

(٦٦) الغزالي، المستصفى، ١/ ٤٠٦، وفي معرض حديث الآمدي عن هذه المسألة نقل عن الغزالي كلامه ومثاله عن والد الميت وخروجه في الحال التي ذكرها الغزالي. انظر: الآمدي، الإحكام، ٢/ ٢٧٨- ٢٧٩.

(٦٧) الغزالي، المستصفى، ١/ ٥٥.

(٦٨) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٢٢٠.

(٦٩) انظر هذه المباحث: المستصفى، ٢/ ٢١٧- ٢٢٥.

(٧٠) انظر:

Lyons, J., Language, Meaning, & Context, The Chaucer Press, Britain, ١٩٨١, P. ٢٠١.

(٧١) انظر:

Lyons, Language, P. ٢٠٧.

(٧٢) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ١١٥.

(٧٣) الآية (الإسراء، ٢٣).

(٧٤) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٣٥٢- ٣٥٣، وقد عرج الباجي على هذه الآية في معرض حديثه عن «فحوى الخطاب»، انظر: الباجي، إحكام الفصول، ٥٠٨- ٥٠٩.

(٧٥) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٣٥٣، وانظر حديث الآمدي عن هذه الآية ونقله عن الإمام الغزالي، الإحكام، ٢/ ٦٤.

(٧٦) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٣٥٣.

(٧٧) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٢٢٣.

(٧٨) انظر الصفحة ٢- ٣ من البحث.

(٧٩) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٣٩٤.

(٨٠) الغزالي، المستصفى، ١/ ٣٩٤.

(٨١) الآمدي، الإحكام، ٢/ ٢٤٧.

(٨٢) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٠٦.

(٨٣) الغزالي، المستصفى، ١/ ٧٠٦.

(٨٤) الغزالي، المستصفى، ١/ ٢٢٤.

(٨٥) الغزالي، المستصفى، ١/ ٤٤، وقارن هذا بما ورد عند Soon من حديث عن كلمة «Port» المترددة بين معنيين، وكيف أن استكمال السياق البنيوي قد يعمل على رفع الإشكال، انظر:

Lexical Ambiguity in Poetry, P. ٦٣.

(٨٦) انظر حديثه عن دلالة الخلق في الآيات الكريمات: ﴿خالق كل شيء﴾، والمعنى: موجد، و﴿تخلقون إفكاً﴾، والمعنى: تكذبون، و﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾، والمعنى: تقدر، انظر: المستصفى، ٢/ ١٧٨.

(٨٧) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٢١٢.

(٨٨) انظر: الغزالي، المستصفى، ١/ ٦٩٨.

(٨٩) انظر: ابن حزم، الإحكام، ١/ ٤٧.

(٩٠) الباجي، إحكام الفصول، ٣٠٢.

(٩١) انظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٠م، ١/ ٧٦.

(٩٢) انظر: الجاحظ، البيان، ١/ ٧٧.

(٩٣) الجاحظ، البيان، ١/ ٧٨.

(٩٤) انظر: أولمان، دور الكلمة، ٣٠، وقد تحدث عن دلالات هز الرأس وإشارات الطرق والبحرية، وغير ذلك.

(٩٥) انظر: نهاد الموسى، الأعراف (أو نحو اللسانيات الاجتماعية في اللغة العربية)، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد ١، العدد١، معهد الخرطوم الدولي، ١٩٨٥م، ١١.

(٩٦) الغزالي، المستصفى، ١/ ٦٧٥- ٦٧٦.

(٩٧) انظر: الغزالي، المستصفى، ٢/ ٦٦.

(٩٨) الغزالي، المستصفى، ٢/ ٦٧.

(٩٩) الغزالي، المستصفى، ١/ ٤٠.

(١٠٠) انظر مستزيداً في هذا المبحث:

Mitchell, M. E., How to Read the Language of the face, Macmillan, New York, ١٩٦٨.

(١٠١) انظر:

Pease, A., Body Language: How to Read Others' Thoughts by Their Gestures, Camel Publishing Company, Australia, ١٩٨٧, P.١٧.

(١٠٢) انظر – على سبيل التمثيل – ما ورد في المرجع السابق من حديث عند «Pease» عن إشارات الكف ودلالاتها، ٤٠، والعين، ١٣٣، والوقفة والجلسة، ١٧٨– ١٨٨.

(١٠٣) انظر: الصفحة ٤ من البحث.

(١٠٤) انظر الصفحة ١٣ من البحث.

(١٠٥) انظر: أولمان، دور الكلمة، ٦٦.

* * *

المصادر والمراجع:

(١) أحمد الشرباصي، الغزالي، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.
(٢) أحمد شمس الدين، الغزالي: حياته، آثاره، فلسفته، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
(٣) أحمد عمر، علم الدلالة، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٤م.
(٤) أحمد فريد رفعي، الغزالي، دار المأمون، القاهرة، ١٩٣٦م.
(٥) أ. كوند راتوف، أصوات وإشارات: دراسة في علم اللغة، ترجمة إدور يوحنا، وزارة الإعلام، بغداد، (د.ت).
(٦) الآمدي، سيف الدين علي (٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ضبط إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
(٧) أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٦٢م.
(٨) الباجي، أبو الوليد سليمان (٤٧٤هـ)، إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق عبد المجيد تركي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
(٩) البارون كارادوفو، الغزالي، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.

(١٠) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د.ت).
(١١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ(، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٠م.
(١٢) الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز (٣٩٢هـ)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل، وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٦م.
(١٣) ابن حزم، علي بن أحمد (٤٥٦هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
(١٤) ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.
(١٥) السيد عبد الغفار، التصور اللغوي عند الأصوليين، مكتبات عكاظ، الرياض، ١٩٧٩م.
(١٦) الشاشي، أبو علي أحمد (٣٤٤)، أصول الشاشي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.
(١٧) الغزالي، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد (٥٠٥هـ)، المستصفى من علوم الأصول، تحقيق إبراهيم رمضان، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٤م.
(١٨) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، الصاحبيّ في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر الطباع، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٣م.
(١٩) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ط٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م.
(٢٠) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق محمد عضيمة، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٨م.
(٢١) مصطفى الزلمي، دلالات النصوص وطرق استنباط الأحكام في ضوء أصول الفقه الإسلامي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٨٣م.
(٢٢) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (٧١١هـ)- لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، (د.ت).
(٢٣) مهدي عرار، ظاهرة اللبس في العربية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٩م.
(٢٤) نهاد الموسى، الأعراف (أو نحو اللسانيات الاجتماعية في اللغة العربية)، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد ١، العدد١، معهد الخرطوم الدولي، ١٩٨٥م.
(٢٥) نهاد الموسى، الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، مجلة حضارة الإسلام، العدد١، دمشق، ١٩٧٤م.

(٢٦) Akmajian, Linguistics: An Introduction to Language and Communication, The MIT Press, Massachusetts, ١٩٧٩.

(٢٧) Downes, W., Language and Socity. ٢nd edition, Cambridge University, Cambridge, ١٩٩٨.

(٢٨) Firth, J., Papers in Linguistics, Oxford University Press, London, ١٩٦٤.

(٢٩) Gregory, M., & Carroll, S., Language and Situation, Routledge & Kegan paul, London, ١٩٧٨.

(٣٠) Halliday, M.A.k., Language as Social Semiotic, The Social Interpretation of Language and Meaning, Edward Arnold, London, ١٩٧٩.

(٣١) Hudson, R., A., Sociolinguistics, ٢nd edition, Cambridge University Press, Cambridge, ١٩٩٨.

(٣٢) Katamba, F., Morphology, The Macmillan Press, London, ١٩٩٣.

(٣٣) Kooij, J., Ambiguity in Natural Language: An Investigation of Certain Problems in its Linguistics Description, North Holand, Publishing Company, Amsterdam, ١٩٧١.

(٣٤) Leech, G., Semantics, Hazell Watson, & Viney Ltd. England, ١٩٧٧.

(٣٥) Lehiste, I., Suprasegmental, The MIT Press, Massachusetts, ١٩٧٧.

(٣٦) Lyons, In Memory of J., R., Firth, Firth Theory of Meaning, Longman, London, ١٩٦٦.

(٣٧) Lyons, Language, Meaning, & Context, The Chaucer Press, Britain, ١٩٨١.

(٣٨) Lyons, J., Semantics, Cambridge University Press, Cambridge, ٢nd edition, ١٩٧٩.

(٣٩) Malmberg, B., New Trends in Linguistics, Stockholm, ١٩٤٦.

(٤٠) Mitchell, M.E., How to Read the Language of the face, Macmillan, New York, ١٩٦٨.

(٤١) Palmer, F. R., Semantics: A New outline, Cambridge University Press, and and Cambridge, ١٩٧٦.

(٤٢) Pease, A., Body Language: How to Read Others' Thoughts by Their Gestures, Camel Publishing Company, Australia, ١٩٨٧.

(٤٣) Singh, S., Phonetics: Principles and Practice, University of Park Press, ١٩٨٢.

(٤٤) Soon, S., Lexical Ambiguity in poetry, Longman Publishing, New York, ١٩٩٤.

(٤٥) Ulman, S., The Principles of Semantics, Third Impression, London, ١٩٦٣.

(٤٦) Waldron, R.A., Sense and Sense Development, London, ١٩٦٧.

* * *

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

نظرات في كتاب

(معاني القرآن)

للفرّاء

الدكتور إبراهيم محمد عبد الله

(فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٨ الجزء ٢)

نظرات في كتاب (معاني القرآن)
للفراء

د. إبراهيم محمد عبد الله

المقدمة:

العلوم يتأثر بعضها ببعض في المقدمات والفرضيات والنتائج ومناهج البحث، وإذا كنّا نلحظ هذا التأثر في العلوم التجريبية جلياً فإننا نلمسه بوضوح في العلوم الإنسانية، ذلك لأن هذه العلوم تنصب في بحثها وموضوعها واهتماماتها وفرضياتها ونتائجها على الإنسان من حيث فكره وماضيه وواقعه ومستقبله وكونه فرداً في مجتمع إنساني، ولا غرابة في أن يكون تأثر العلوم الإنسانية بعضها ببعض أقوى منه في العلوم التجريبية لأن الغاية التي تتوخاها تلك العلوم هي الإنسان، والإنسان هو العنصر الفعال في المجتمع البشري، إذ بجهوده تقوم الحضارة الإنسانية وبمقدار تقدُّمه العقلي والفكري ترقى حياته وتزدهر، وبامتلاكه وسائل المعرفة الحقة تسعد البشرية وتهنأ.

وباعتبار هذا التأثر بين العلوم الإنسانية يتناول هذا البحث ظاهرة على غاية من الأهمية في الدرس النحوي، وهي مدى تأثر النحو العربي بالفلسفة والمنطق، فالنحو – بمعناه العام – والمنطق من العلوم الإنسانية المهمة في حياة الإنسان، والصلة بينهما وثيقة قوية، فالمنطق يتخذ من الفكر الإنساني مجالاً رحباً لبحثه وموضوعه، واللغة هي التي تعبر عن الفكر الإنساني وتنقله إلى الآخرين، فلابدَّ للمنطق من الاهتمام بالوسيلة التي تحمل إليه مادة بحثه، ألا وهي الفكر، وتشتد الآصرة قوة بين هذين العلمين من جهة أخرى، وهي أن الكلام يحمل الفكر والعقل، ولا يمكن للغة أن تنقل المعنى دون أن تؤثر فيه

لأنها مظهر وتعبير عما يجول في فكر الإنسان، وبسبب هذه الوشيجة بين المنطق واللغة رأى جماعة ممن أرخوا للفلسفة أن نشأة المنطق مرتبطة بالنحو، وأيدوا قولهم هذا بأن أرسطو اعتمد على اللغة والنحو للوصول إلى كثير من التصنيفات المنطقية(١).

وبناء على هذه العلاقة بين النحو والمنطق سيجري الكلام في الصفحات المقبلة على أثر المنطق في رأس من رؤوس النحويين العرب وشيخ من شيوخ مدرسة الكوفة هو يحيى بن زياد الفرّاء، لنرى مدى تأثره بالفلسفة والمنطق من خلال كتابه «معاني القرآن».

مدخل:

ما من سبيل إلى إنكار تأثر النحو العربي بالمنطق، إذ تبرز هذه الآثار في مصنفات جماعة من النحويين في القرن الهجري الرابع ومن بعدهم، كابن السراج (ت ٣١٦هـ) وأبي الحسن علي بن الحسن الرماني (ت ٣٨٤هـ) وابن جني (ت ٣٩٢هـ) والأنباري (ت ٥٧٧هـ) وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) وغيرهم.

وما نريد أن نقف عليه في هذا المدخل هو زمن تسرب تلك الآثار إلى النحو العربي وصاحب قصب السبق إليها، لذا لابد من العودة إلى بواكير وضع النحو واستقراء كتب التراجم وغيرها لنكون على بصيرة مما نقول.

إن أول عمل حررت به حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم كان على يد أبي الأسود الدؤلي نزيل البصرة، إذ هو الذي وضع نقطاً للمصحف، وكان حامله على هذا العمل أنه سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسولُه﴾(٢)،

(١) انظر المنطق الصوري والرياضي: ٣١- ٣٢.

(٢) التوبة: ٩/ ٣ .

بكسر اللام في «ورسوله» الثانية فما كان منه إلا أن استدعى كاتباً من عبد القيس وقال له: «خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنَّة فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره»[١]، وتابع تلامذة أبي الأسود[٢] عمل شيخهم و«نقطوا المصحف وأُخذ عنهم النقط والحفظ والضبط والقيد وعمل به واتبع فيه سننهم واقتدي فيه بمذاهبهم»[٣]، فنشأة النحو العربي إذاً عربية المهد والغاية لا يشوبها دخيل أجنبي.

ثم شهد النحو العربي بعد ذلك نقلة كبرى بظهور عبد الله بن أبي إسحاق، إذ شَقَّ أبوابه ووسَّع قياسه ووضَّح علله، ويُعَدُّ «أول مَنْ بعَجَ النحو ومدَّ القياس وشرح العلل»[٤].

فالنحو قبل عبد الله كان رتْقاً لا يعرف منه النحويون إلا ظواهر نحوية دون أن يقعوا على حقائقها والقوانين التي تنظمها، فجاء عبد الله وتخطى هذه الظواهر إلى ما وراءها واستنبط القوانين التي تضبط العربية مستنداً في ذلك إلى ما وصل إليه من كلامهم.

ولا نملك ما يدل على أن هذا النحوي كان له علاقة بالمنطق على الرغم من أن الفترة التي عاش فيها شهدت بدايات امتزاج الثقافة اليونانية بالثقافة

---

(١) المحكم في نقط المصاحف: ٤، ونزهة الألباء: ٩.

(٢) وجلهم من القراء كميمون الأقرن وعنبسة الفيل ويحيى بن يعمر، انظر طبقات النحويين واللغويين: ٢٧– ٣٠.

(٣) المحكم في نقط المصاحف: ٦.

(٤) طبقات فحول الشعراء: ١٤، وطبقات النحويين واللغويين: ٣١.

العربية، وشاع فيها علم الكلام على أيدي المعتزلة والقدرية، وذلك في حدود المئة من الهجرة[١]، وكان المنطق من أهم العلوم التي استند إليها المعتزلة في آرائهم ومناظراتهم.

وفي القرن الهجري الثاني لمع نجم الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي وضع لمدرسة البصرة أسسها ودعائمها، وقويت العلاقة بين الثقافة العربية والأجنبية، وغدت البصرة ميداناً للتفاعل الثقافي العربي الإغريقي وتأثرت به، إلا أن هذه الثقافات الواردة – ولاسيما المنطق– لم تترك أثراً على عقلية الخليل، فنراه يبحث في المسائل النحوية بعيداً عن التجريد العقلي والمحاكمة المنطقية معتمداً الذوق اللغوي والحس العربي السليم، ويعلل بالقبح، فمما ذكره عنه سيبويه أنه لم يستحسن أن يقال: «أيُّهم زيداً ضرب» وعدَّه قبيحاً[٢].

وأقام الخليل وتلميذه سيبويه عللهما على اعتبارات لغوية لسانية نابعة من طبيعة اللغة بائنة عن فرض اعتبارات عقلية عليها، يعرفها الحس اللغوي قبل أن يدركها الذهن، فقد استندا في تعليلهما غير قليل من الظواهر الصرفية على أسباب لسانية تقوم على طلب الخفة وطرح الثقل[٣]، وهذا ما يسميه اللغويون المعاصرون بالاقتصاد اللغوي، وقد شمل التعليل بالثقل والخفة الأحكام النحوية، فنرى الخليل يجنح إلى الخفة ويفرُّ من التنوين فيجيز أن يقال: «هو كائِنُ أخيك»[٤].

وممَّا علَّلا به ما يمكن أن نسميه التماس الوضوح وتجنب اللبس في

(١) انظر مفتاح السعادة: ٢/ ١٤٨، وتمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: ٢٨٨.

(٢) انظر الكتاب: ١/ ١٢٦، ٣/ ٥٩– ٦٠.

(٣) انظر الكتاب: ٤/ ٣٧٤، ٣٧٦، ٤٥٠، ٤٥٤...

(٤) انظر الكتاب: ١/ ١٦٦.

العبارة، كالذي نجده في تعليل مسألة العطف على ضمير الجر المتصل[١]، والعطف على ضمير الرفع المتصل والمستتر[٢]، ومنه أن الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو ليس لغيره مما هو مثله، كما جاء عنهما في تعليل حذف النون من فعل الكون المضارع المجزوم[٣]، ومنه أيضاً أن الكلام إذا طال جاز أو حسن فيه ما لايجوز أن يحسن فيه إذا قصر، وذلك على نحو ما نرى في تعليل حذف صدر الصلة إذا طالت[٤]، ومنه استغناؤهم بالشيء عن الشيء[٥]، ومنه تعليلهما بالكره[٦].

وقد يستعينان أحياناً بالعلل العقلية، وذلك إذا دار الأمر على معقولية الكلام، وتعلَّق الحكم بفهم المعنى المقصود[٧]، ولا ينبغي أن يحملنا هذا على القول بأنهما فرضا على النحو فرضيات عقلية غريبة عنه، لأن الغاية من هذا التعليل العقلي هي الوقوف على الغرض من الكلام وما يفيد السامع منه، فلم يخرجا إذاً عن بدائه الحس لأنهما يستندان إلى أسباب لسانية.

ثم نأتي على ذكر ذلك النحوي الكوفي الفراء فإنه أوثق صلة بهذا المضمار إذ يقول عنه المتقدمون: «كان يتفلسف في تآليفه وتصانيفه حتى يسلك في

(١) انظر الكتاب: ٢/ ٣٨١– ٣٨٤.

(٢) انظر الكتاب: ٢/ ٣٧٦– ٣٧٩.

(٣) انظر الكتاب: ٢/ ١٩٦، وانظر أيضاً: ٢/ ٢٠٤، ٢/ ٢٥٦.

(٤) انظر الكتاب: ٢/ ٤٠٤.

(٥) انظر الكتاب: ٢/ ١٩٧– ١٩٨، ٢/ ٣٦١.

(٦) انظر الكتاب: ٤/ ٣٨٢، ٣٧٤، ٤٢٢، ٤٢٣.

(٧) انظر الكتاب: ١/ ٤٠، ١٢٣، وانظر المقتضب ٢/ ٣٣٩، ٣/ ١١٣– ١١٤.

ألفاظه كلام الفلاسفة»[١]، ولا سبيل إلى الكلام على هذا العلم هنا لأن موضوع هذا البحث يقوم على تأثره بالمنطق، وسيأتي الكلام عليه مفصلاً.

فالنحويون الأوائل الذين مكنوا لهذا العلم دعائمه وأروا الناس أصوله وتفريعاته كانوا يديرون المسائل النحوية معتمدين الذوق اللغوي والحس العربي الصافي آخذين بعين الاعتبار الخصائص والاعتبارات اللغوية للنحو العربي[٢]، ويستنكر أبو حيان التوحيدي أن يخالط المنطق النحو فيقول: «ومتى عهد الناس أن النحو يمزج بالمنطق، وهذه مؤلفات الخليل وسيبويه ومعاصريهما ومن بعدهما بدهر لم يعهد فيه شيء من ذلك»[٣].

ويؤيد ما قاله أبو حيان أن أوائل النحويين لم يتطرقوا إلى موضوع الحدود،

---

(١) انظر ما سلف ص: ١ح: ١.

(٢) كان للباحثين في العصر الحديث مواقف من قضية تأثر النحويين الأوائل بالمنطق، فالدكتور مهدي المخزومي يرى أن تأثير علم الكلام ظهر في أواخر القرن الهجري الأول وأوائل القرن الثاني وأن ابن أبي إسحاق والخليل تأثرا به، انظر مدرسة الكوفة: ٤٠– ٤٢، ويرجح الدكتور محمد عيد أن ابن أبي إسحاق كان له صلة بالمنطق، انظر أصول النحو العربي: ٨٠– ٨١، وذهب (سارثون) إلى أن اجتهاد العرب في النحو قد تأثر بالمنطق اليوناني، انظر النحو العربي ومنطق أرسطو: ٦٩، عن المدخل إلى تاريخ العلم: ١/ ٥٠١، ومن أشدهم تحمساً في هذا المضمار (مركس) إذ حاول أن يثبت أن تقسيم العرب الكلام إلى ثلاثة أقسام يعود إلى أصل يوناني، انظر النحو العربي ومنطق أرسطو: ٨١، واتخذ الأستاذ (ليتمان) موقفاً معتدلاً حيث ذهب إلى أن العرب أبدعوا علم النحو في الابتداء وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه، وأن النحو العربي تأثر بالمنطق فيما بعد، انظر ضحى الإسلام: ٢/ ٢٩٢– ٢٩٣.

(٣) بغية الوعاة: ٢/ ١٨١.

وإنما كان مدار كلامهم على أنواع الكلام اعتبارَ خصائصها اللغوية، واضعين نصب أعينهم الغرض الذي من أجله وضعوا علم النحو، فسيبويه «لم يَحُدَّ الاسم حدَّاً يفصله من غيره، ولكنْ مثَّله فقال: «والاسم رجل وفرس، فقال أصحابه: ترك تحديده ظناً منه أنه غير مشكل، وحدَّ الفعل لأنه عنده أصعب»[(١)]، ولم يخرج الأخفش (ت ٢١٥هـ(في حدِّه للاسم عن طبيعة اللغة وصحيحها فقال: «الاسم ما جاز فيه: نفعني وضرَّني، يعني ما جاز أن يخبر عنه»[(٢)].

بيد أننا نرى فيما بعد أن بعض النحويين سارت على ألسنتهم ألفاظ المنطقيين في حدِّ الاسم، وذلك على نحو ما ذكره الزجاجي. من أن المنطقيين وبعض النحويين «قد حدُّوه حدَّاً خارجاً عن أوضاع النحو فقالوا: الاسم صوت موضوع دالٌّ باتفاق على معنى غير مقرون بزمان، وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم، وإنما هو من كلام المنطقيين ومذهبهم لأن غرضهم غير غرضنا ومغزاهم غير مغزانا.. »[(٣)].

وكان موضوع الحدود في النحو مظهراً من مظاهر تأثر القوم بالمنطق، ومن هنا كان لكتاب «الحدود» الذي صنفه الفراء أثر كبير في هذا المضمار، وسيأتي الكلام عليه وعلى تأثر صاحبه بالمنطق مفصلاً.

والذي أطمئن إليه هو أن ابن السراج يكاد يكون أول نحوي تأثر بالمنطق، فكتب التراجم تشير إلى أنه هجر النحو والتفت إلى المنطق والموسيقى، وأخذهما عن المعلم الثاني أبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩ هـ(كما أخذ عنه الفارابي النحو[(٤)]،

(١) الإيضاح في علل النحو: ٤٩، وانظر الكتاب: ١/ ١٢.

(٢) الإيضاح في علل النحو: ٤٩.

(٣) الإيضاح في علل النحو: ٤٨.

(٤) انظر إنباه الرواة: ٣/ ١٤٨– ١٤٩، ومفتاح السعادة: ١/ ١٥٦، والفهرست: ٦٢.

وصنف ابن السراج كتابه «أصول النحو»، وضمنه أصول علم العربية ومسائل كتاب سيبويه ورتبها ترتيباً حسناً، وقد تبوأ هذا الكتاب منزلة كبرى عند النحويين[١]، وخالطه آثار المنطق، فمما جاء عن المرزباني (ت ٣٨٤هـ(قوله: «صنف – أي ابن السراج – كتاباً في النحو سماه «الأصول» انتزعه من أبواب كتاب سيبويه، وجعل أصنافه بالتقاسيم على لفظ المنطقيين، فأعجب بهذا اللفظ الفلسفيون وإنما أدخل فيه لفظ التقاسيم، فأما المعنى فهو كله من كتاب سيبويه على ما قسَّمه ورتبه»[٢]، وفي هذا القول دليل على أن أثر المنطق لم يصل إلى لب المادة النحوية العلمية عند ابن السراج.

وقد تمكنت آثار المنطق في النحو وبلغت نماءها في القرن الرابع الهجري على يد أبي الحسن علي بن عيسى الرماني الذي أولع بالمنطق وأخذ به نحوه ومزجه به حتى غدا بعيداً عن طبيعة النحو الذي حمله إليه علماء هذا العلم، وفي هذا يقول الفارسي (ت ٣٧٧هـ(: «إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقول نحن فليس معه منه شيء»[٣]، وكان له منحى خاص في المنطق يختلف عن منحى أصحاب هذا العلم[٤].

واعتنى الرماني بالحدود وصنف فيهما كتابين هما كتاب «الحدود الأكبر» وكتاب «الحدود الأصغر»[٥]، وعدد الأسماء التي يُحتاج إليها في النحو فقال: «القياس والبرهان والبيان والحكم والعلة والاسم والفعل والحرف والإعراب والبناء

(١) انظر طبقات النحويين واللغويين: ١٢٢، ونزهة الألباء: ١٧٠، ومعجم الأدباء: ٨/ ٢٠٠.

(٢) إنباه الرواة: ٣/ ١٤٩.

(٣) بغية الوعاة: ٢/ ١٨١.

(٤) انظر الإمتاع والمؤانسة: ١/ ١٣٣.

(٥) مفتاح السعادة: ١/ ١٦٤، ومعجم الأدباء: ١٤/ ٧٥.

والتغيير والتعريف والفرض والسبب والمعرفة والنكرة والمفرد والجملة والتثنية والجمع والمرفوع والمنصوب والمجرور والتوابع والصفة والبدل والنسق والحال والتمييز والإضافة والمصدر والاشتقاق والمظهر والمضمر والفائدة والعامل والحذف والذكر والمركب والمقيد والمطلق والاستثناء والحقيقة والمجاز والجنس والنوع والقوة والضعف والتخفيف والترخيم والمقصور والممدود والمذكر والمؤنث والنظير والنقيض والتقدير والتحقيق والأصل والفرع والمطرد والنادر والخبر والاستفهام والجزاء والجواب والمستقيم والمحال والعارض واللازم والضرورة والمعنى واللفظ والكلام والداعي والصارف والاستعارة والمادة والمرتبة والمناسبة والخاصة والغني والمحتاج والعظيم والحقير والحادث، وثم حدود باب الموصولات»[(١)].

وأنت ترى أن غير قليل مما ذكره الرماني غير متداول في النحو، وإنما هو إلى طبيعة المنطق أقرب منه إلى طبيعة النحو كالحادث والعارض واللازم والمحال.

على أن تأثره بالمنطق تناول أقيسته وتعليلاته، وتجلَّى في ميله إلى الجدل والمناظرة [(٢)].

ولم يتوقف أثر المنطق في النحو عند الرماني وإنما استمرَّ بعده، ويظهر ذلك بوضوح عند ابن جني في كتابه «الخصائص»، وهو كتاب في أصول النحو، ووصفه صاحبه فقال: «وهو كتاب يتساهم ذوو النظر من المتكلمين والفقهاء والمتفلسفين والنحاة والكتاب والمتأدبين التأمل له والبحث عن مستودعه، فقد وجب أن يخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده ويأنس به ليكون لهم سهم منه

(١) الرماني النحوي: ٢٣٤– ٢٣٥، ورسالة في الحدود للرماني: ٦٥– ٦٦.

(٢)انظر نماذج من تعليلاته وأقيسته في «الرماني النحوي»: ٣٥١– ٣٥٢، ٤٠٠– ٤٠١، ٢٦٨– ٢٦٩، ٣٥٦– ٣٥٧، ٢٣٠، ٤١٢.

وحصة فيه»[١]، والأبواب التي عقد عليها كتابه تبرز أثر المنطق وعلم الكلام فيه، فقد خصَّص باباً في علل العربية أكلامية هي أم فقهية[٢]، ومما ذكره في هذا الباب أن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين[٣]، لكنه لم يشطط فذهب إلى أن العلل النحوية ليست في سمت العلل الكلامية[٤]، واعترف بأن بعض الظواهر اللغوية لا تظهر لها علة واضحة، فإذا حملت على وجه الخفة والثقل فإنها لا تعدم وجهاً تصيب به مشاكلة الحس[٥].

وأفاض ابن جني في الكلام على العلل الموجبة والمجوزة[٦]، والعلة القاصرة[٧] وعلة العلة[٨].

ثم تابع المنطق تأثيره على النحو وذلك كما نرى عند أبي البركات الأنباري[٩] (ت ٥٧٧هـ(وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ([١٠] وابن هشام الأنصاري (ت ٧٦٢هـ([١١].

وهكذا ترك المنطق أثره الواضح على النحو العربي فكانت المقولات العشر

(١) الخصائص: ١/ ٦٧.

(٢) انظر الخصائص: ١/ ٤٨- ٩٦.

(٣) انظر الخصائص: ١/ ٤٨.

(٤) انظر الخصائص: ١/ ٥٣- ٥٤.

(٥) انظر الخصائص: ١/ ٨٧- ٨٨.

(٦) انظر الخصائص: ١/ ١٦٤- ١٦٦.

(٧) انظر الخصائص: ١/ ١٦٩- ١٧٢.

(٨) انظر الخصائص: ١/ ١٧٣- ١٧٤.

(٩) انظر الإنصاف: ٥١- ٥٢، ٢١٥.

(١٠) انظر أمالي ابن الحاجب: ٣٣٠- ٣٣١، ٧٢٩.

(١١) انظر أوضح المسالك: ٢/ ٧٨- ٧٩، ٢/ ١٠٨- ١٠٩.

وهي الجوهر والكمُّ والكيف والأَيْن والمتى والملك والإضافة و«أن يفعل» و«أن ينفعل»[١]، وهذه المقولات «أسس تفهم الأشياء مبنية عليها، فللشيء جوهر وكم وكيف وهو في زمان ومكان، ثم هو يفهم بالإضافة إلى شيء آخر ويدرك في وضع معين، وقد يكون مالكاً أو مملوكاً أو فاعلاً أو قابلاً»[٢]، كل ذلك على الرغم من أن بعض النحويين دافع عن النحو وتصدى لمن حاول أن يضفي عليه صبغة منطقية، وذلك على نحو ما نرى في تلك المناظرة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ(ومتى بن يونس (ت ٣٢٨هـ([٣].

البحث:

بعد إذ رأينا امتداد يد المنطق إلى النحو العربي نقف لنفصل الكلام على أثره في علم من أعلام النحويين هو الفراء الذي وصفه المتقدمون بأنه «كان يتفلسف في تصانيفه ويسلك ألفاظ الفلاسفة»[٤]، ويقوم البحث على المحاور الآتية:

١- التعليل عند الفراء.

٢- منهج الفراء في عرض الظاهرة النحوية وتحرير أحكامها.

٣- المصطلحات التي سارت على لسانه.

٤- القياس عنده.

٥- مناقشة أقوال المعاصرين في قضية تأثره بالمنطق.

٦- كتابه «الحدود».

٧- علاقته بعلم الكلام.

---

(١) انظر مناهج البحث في اللغة: ٢٥- ٢٦، وضوابط المعرفة: ٣٢٨- ٣٣٣.

(٢) مناهج البحث في اللغة: ٢٦.

(٣) انظر معجم الأدباء: ٨/ ١٩١- ٢٢٧.

(٤) انظر ما سلف ص : ١، ص: ٥.

٨- نتائج البحث.

التعليل عند الفراء:

إن دراسة ظاهرة التعليل تقفنا على العقلية التي يدرس بها العالم مسائله التي يعرض لها، وثقافته وميوله الفكرية والمرتكزات التي يستند إليها في تعليلاته، وبذا نستطيع أن نحدد المسار الفكري الذي يسير على هديه، والعوامل التي تركت أثراً على بحثه، وبهذا تبدو دراسة التعليل عند الفراء ضرورة لإبراز تكوينه العقلي.

علّل الفراء غير قليل من المسائل النحوية في كتابه «معاني القرآن»، ولم يكن يتسقط تلك المسائل ليبسط فيها تعليله، ولكنه تناولها بالتعليل كلما وجد داعياً إليه وفائدة مرجوة منه، وقد علل بأشياء كثيرة لم يتنكب فيها مدار العربية وخصائص اللسان العربي والحس اللغوي.

وأهم ما علل به ما يلي:

١- التعليل بالكثرة في كلام العرب:

علل الفرّاء كثيراً من الظواهر النحوية والصرفية بكثرة استخدامها في كلام العرب، ومن ذلك تعليله حذف الياء من المنادى في «يا بن أُمَّ» بكثرة تداوله في كلامهم، ونبَّه على أن ما لا يستعمل عندهم لم يحذفوا منه شيئاً وقال: «وقوله تبارك وتعالى: ﴿قال: ابن أمَّ﴾[(١)]، يقرأ «ابن أمَّ» و«أمّ» بالنصب والخفض[(٢)]، وذلك بأنه كثر في الكلام فحذفت العرب منه الياء، ولا يكادون يحذفون الياء

(١) الأعراف: ٧/ ١٥٠.

(٢) قرأ الحرميان وأبو عمرو وحفص عن عاصم «ابن أمّ» بفتح الميم، وقرأ باقي السبعة بخفض الميم، انظر كتاب السبعة: ٢٩٥، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ١/ ٤٧٨، وحجة القراءات: ٢٩٧.

إلا من الاسم المنادى يضيفه المنادي إلى نفسه إلا قولهم: «يا بن عمّ ويا بن أمّ» وذلك أنه يكثر استعمالها في كلامهم، فإذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا الياء فقالوا: يا بن أبي ويا بن أخي ويا بن خالتي فأثبتوا الياء»(١).

ومنه تعليله قوله تعالى: ﴿لا جرم أَنَّهم﴾(٢)، وقوله في ذلك: «وقوله: ﴿لا جرم أنهم﴾ كلمة كانت في الأصل بمنزلة «لابدَّ أنك قائم» و«لا محالة أنك ذاهب»، فجرت على ذلك وكثر استعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة «حقاً»، ألا ترى أن العرب تقول:«لا جرم لآتينَّك»، «لا جرم قد أحسنت»(٣)، وكذلك فسرها المفسرون(٤)، وأصلها من «جَرَمْتُ» أي: كسبت الذنب وجرَّمته»(٥).

ومنه تعليله همز العرب «مصائب» في الجمع، والأصل ألاَّ تهمز ويقال: مصايب لأن الياء المنقلبة عن واو في «مصيبة» أصلية لا زائدة، إلا أن العرب همزتها في الجمع تشبيهاً لمصيبة بفَعيلة لكثرة دورانها في كلامهم، وذلك قوله: «وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة شُبهت بفَعيلة لكثرتها في الكلام»(٦).

وقد حمله كلفه بما فَشَا في كلامهم على أن يفضل قراءة على أخرى متعللاً بكثرة إحداهما في كلام العرب، قال: «... وحدثني محمد بن الفضل عن عطاء عن

(١) معاني القرآن: ١/ ٣٩٤.

(٢) هود: ١١/ ٢٢ .

(٣) نقل ابن منظور هذا القول في اللسان (جرم)، وانظر الصحاح (جرم).

(٤) انظر الكتاب: ٣/ ١٣٨، والمقتضب: ٢/ ٣٥١- ٣٥٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣/ ٤٥- ٤٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٩/ ٢٠، والكشاف: ٣/ ٣٧٣، والبحر المحيط: ٥/ ٢١٣.

(٥) معاني القرآن: ٢/ ٨- ٩.

(٦) معاني القرآن: ١/ ٣٧٤.

أبي عبد الرحمن يرفعه إلى عمر بن الخطاب رحمه الله أنه قرأ «جِمالات»[١]، وهو أحبُّ الوجهين إليَّ لأن الجمال أكثر من الجمالة في كلام العرب[٢]»[٣].

وتتابعت المواضع التي علل فيها الفراء بالكثرة في كلام العرب في معانيه[٤].

٢– التعليل بالقلة:

كما علل الفراء بالكثرة في كلامهم علَّل بالقلة في كلامهم أيضاً، وذلك قوله: «وقوله:﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾[٥]، أراد الأرض ﴿ومن لستم له برازقين﴾ فـ مَنْ في موضع نصب، يقول: جعلنا لكم فيها المعايش والعبيد والإماء، قد جاء أنهم الوحوش والبهائم، و«مَنْ» لا يفرد بها البهائم ولا ما سوى الناس، فإن يكن ذلك على ما روي فنُرى أنهم أُدخل فيهم المماليك على أنَّا ملكناكم العبيد والإبل والغنم وما أشبه ذلك، فجاز ذلك.

وقد يقال: إن «مَنْ» في موضع خفض، يقال: جعلنا لكم فيها معايش ولمن، وما أقلَّ ما تردُّ العرب مخفوضاً على مخفوض قد كني عنه»[٦].

٣– التعليل بالثقل:

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص ﴿كأنه جِمالة صفر﴾ [المرسلات: ٧٧/ ٣٣] بغير ألف جمع جمل وقرأ الباقون «جمالات» فهو جمع الجمع، تقول: جمل وجمال وجمالات، انظر كتاب السبعة: ٦٦٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/ ٣٥٨، وحجة القراءات: ٧٤٤– ٧٤٥.

(٢) نقل ابن منظور ما قاله الفراء، انظر اللسان (جمل).

(٣) معاني القرآن: ٣/ ٢٢٥.

(٤) انظر معاني القرآن: ١/ ٤، ٥، ٦، ٩٥، ١٢٤، ٢٠١، ٢/ ٥١، ٩٦، ١٠٢، ١٤٤، ٣٠٥، ٤١٣، ٣/ ٩٥، ١١٢، ١٧٩، ٢٤٣، ٢٥٦، ٢٧٤.

(٥) الحجر: ١٥/ ٢٠.

(٦) معاني القرآن: ٢/ ٨٦، وانظر: ٢/ ٤٤، ٤٥، ١٨٦.

وجد الفراء في هذه الظاهرة مجالاً رحباً لتعليلاته فأكثر من الاتكاء عليها، ومن ذلك تعليله حذف الواو في قوله تعالى: ﴿أَوْ هم قائلون﴾[١] إذ قال : «وقوله: ﴿أوْ هم قائلون﴾ واو مضمرة[٢]، المعنى أهلكناهم فجاءها بأسنا بياتاً أو وهم قائلون، فاستثقلوا نسقاً على نسق ولو قيل لكان جائزاً كما تقول في الكلام: أتيتني والياً أو وأنا معزول، وإن قلت: أو أنا معزول فأنت مضمر للواو»[٣].

ويراعي الفراء سبيل العرب في اختيار ما خَفَّ على اللسان نطقه ويعترض على القراء الذين يحذفون الهمزة ويضعون مكانها الياء أو الواو ويحركونهما بحركة تناسبهما ويصفهم بأنهم فروا من ثقيل إلى أثقل منه ويقول: «والقراء يقولون: «يَوُوْسا»[٤] و«يَوُوْده»[٥] فيحركون إلى الرفع و«بَيِيْسٍ»[٦] يحركون الياء الأولى إلى الخفض، ولم نجد ذلك في كلامهم لأن تحريك الياء والواو أثقل من ترك الهمز، فلم يكونوا ليخرجوا من ثقل إلى ما هو أثقل منه»[٧].

وهو في تعليله بالثقل يوافق الحس اللغوي العربي الذي يؤثر الخفة على الثقل، وذلك في تفضيله الإدغام على الإظهار إذا كان في الإظهار مشقة على اللسان، ويرسم للقارئ سبيلاً في الإدغام مفاده أن كل ما أجهد اللسان نطقه

(١) الأعراف: ٧/ ٤.

(٢) أي أن هناك واواً مضمرة قبل قوله: ﴿هم﴾.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٣٧٢.

(٤) الإسراء: ١٧/ ٨٣. وانظر البدور الزاهرة: ١٨٨.

(٥) البقرة: ٢/ ٢٥٥، وانظر البحر المحيط: ٢/ ٢٨٠، والبدور الزاهرة: ٥٣.

(٦) الأعراف: ٧/ ١٦٥، وانظر القراءات الشاذة (للشيخ القاضي): ٤٩.

(٧) معاني القرآن: ٢/ ١٣٠.

فليذهب به إلى الإدغام وكل ما سهل نطقه فليذهب به إلى الإظهار، وفي ذلك يقول: «وكذلك قوله: ﴿اتخذتم﴾[١] و﴿عذت بربي وربكم﴾[٢]، تظهر وتدغم[٣]، والإدغام أحب إليَّ لأنها متصلة بحرف لا يوقف على ما دونه، فأما قوله: ﴿بلْ ران على قلوبهم﴾[٤] فإن اللام تدخل في الراء دخولاً شديداً ويثقل على اللسان إظهارها فأدغمت، وكذلك فافعل بجميع الإدغام، فما ثقل على اللسان إظهاره فأدغم وما سهل فيه الإدغام فأظهر ولا تدغم»[٥].

٤– التعليل بالخفّة:

وعلل الفراء بالخفّة في النطق، وهي جنوح الناطق إلى بذل جهد عضلي أقلَّ في كلامه، وهذا ما يسمَّى اليوم بـ«نظرية الاقتصاد اللغوي»، والفراء في تعليله هذا يرصد ظاهرة أخرى من ظواهر العربية، وسمة أخرى من سمات اللسان العربي، فتراه يعلل بالخفة ويشترط مع ذلك أن يكون المعنى معلوماً، ويسوق كلام العرب شاهداً على ما يذهب إليه ويقول: «وقوله: ﴿فعُمِّيَتْ عليكم﴾[٦] قرأها يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة[٧]، وهي في قراءة أبيٍّ «فعمَّاها عليكم»[١]، وسمعت العرب تقول:

(١) البقرة: ٢/ ٥١.

(٢) غافر: ٤٠/ ٢٧.

(٣) قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم «عذت» مبينة الذال، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي «عذت» مدغمة، انظر كتاب السبعة: ١٥٥، ٥٧٠.

(٤) المطففين: ٨٣/ ١٤.

(٥) معاني القرآن: ٢/ ٣٥٤، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٤، ٦، ١٧٢، ٢٠١، ٢١٥، ٣٧٢، ٤٣١، ٢/ ١٦، ٣٤، ٣٣٠.

(٦) هود: ١١/ ٢٨.

(٧) قرأ حمزة والكسائي «فعميت» بضم العين وتشديد الميم وكذلك حفص عن عاصم، انظر كتاب السبعة: ٣٣٢، وحجة القراءات: ٣٣٨.

قد عُمِّي عليَّ الخبر وعَمِيَ عليَّ بمعنى واحد[٢]، وهذا ممَّا حوَّلت العرب الفعل إليه وليس له، وهو في الأصل لغيره، ألا ترى أن الرجل الذي يَعْمَى عن الخبر أو يُعَمَّى عنه، ولكنه في جوازه مثل قول العرب: دخل الخاتم في يدي والخفُّ في رجلي، وأنت تعلم أن الرجل التي تُدْخَل في الخُفِّ والأصبع في الخاتم، فاستخفوا بذلك إذا كان المعنى معروفاً لا يكون لذا في حال ولذا في حال، إنما هو لواحد فاستجازوا ذلك لهذا»[٣].

ويتتبع أساليب العرب في نطقها وإيثارها الخفة على الثقل، ويستنبط من كلامها أنها إذا استثقلت خففت ويقول: «وقوله:﴿أنلزمكموها﴾[٤]، العرب تسكن الميم التي من اللزوم فيقولون: أنلزمْكموها[٥]، وذلك أن الحركات قد توالت فسكنت الميم لحركتها وحركتين بعدها وأنها مرفوعة، فلو كانت منصوبة لم يستثقل فتخفف، إنما يستثقلون كسرة بعدها ضمة أو ضمة بعدها كسرة أو كسرتين متواليتين أو ضمَّتين متواليتين»[٦].

---

(١) انظر القراءات الشاذة لابن خالويه: ٥٩، وحجة القراءات: ٣٣٨.

(٢) قال الزبيدي: «وعمي عن رشده وحجته إذا لم يهتد وعمي عليه طريقه كذلك، وعمي عليه الأمر التبس، وكذلك عمي بالتشديد» التاج (عمى)، وانظر تهذيب اللغة: ٣/ ٢٤٣– ٢٤٥.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ١٦.

(٤) هود: ١١/ ٢٨، وسلفت الآية.

(٥) حكي عن أبي عمرو إسكان الميم، انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢/ ٢٨٠، والكشاف: ٢/ ٢١٣، والبحر المحيط: ٥/ ٢١٧، وانظر الكتاب: ٤/ ٢٠٤.

(٦) معاني القرآن: ٢/ ١٦، وانظر معاني القرآن أيضاً: ٢/ ٣٥٤، ٣/ ١١٠، ٢٢٥.

٥– التعليل بالقبح:

يرى الفراء أن الكلام ينبغي له أن يكون متفقاً والذوق اللغوي مستساغاً فيه، فإذا رأى ظاهرة تنبو عن الحس اللغوي اطَّرحها متعللاً بالقبح، ومن ذلك قوله: «وأما قوله: ﴿وأجدر ألاَّ يعلموا﴾[١]، فإن وضعك المصدر في موضع «أن» قبيح، لأن «أخلق» و«أجدر» يطلبن الاستقبال من الأفاعيل فكانت بـ«أن» تبين المستقبل، وإذا وضعت مكان «أن» مصدراً لم يتبين استقباله فلذلك قبح»[٢].

ومن تعليله بالقبح قوله: «ألا ترى أنك لا تقول: رجلٌ قام، إنما الكلام أن تقول: قام رجل، وقبح تقديم النكرة قبل خبرها أنها توصل[٣] ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة، فيقال: رجل يقوم أعجبُ إليَّ من رجل لا يقوم، فقبح إذ كنت كالمنتظر للخبر بعد الصلة»[٤].

٦– التعليل بالكره:

وتتبدى لنا عقلية الفراء في التعليل شيئاً فشيئاً، فقد رأينا أنه علل بما كثر في كلام العرب وقلَّ وما ثقل وخفَّ وما قبح، ونراه الآن يردُّ الوجه الإعرابي

(١) التوبة: ٩/ ٩٧.

(٢) معاني القرآن: ١/ ٤٤٩.

(٣) أي: توصف.

(٤) معاني القرآن: ٢/ ٢٤٣– ٢٤٤، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٢٩، ١٥٤، ٢٥٢، ٢/ ١٠، ٤٣، ٧١، ١٤٠، ٢١٨، ٢٤٤، ٤٢٠، ٣/ ٥٥، ١٢١.

مستنداً إلى أنه مستكره، ومن ذلك قوله: «وقوله: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه﴾[١]، «مَنْ» في موضع رفع وهي جزاء لأن العرب إذا أحدثت على الجزاء هذه اللام صيَّروا فعله على جهة «فعل»، ولا يكادون يجعلونه على «يفعل» كراهة أن يحدث على الجزاء حادث وهو مجزوم»[٢].

ومنه تعليله فتح العين في المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان المصوغات من فعل أجوف مضموم العين في المضارع أو مفتوحها بكراهة قلب الواو ياءً، وذلك قوله: «وإذا كان «يفعل» مفتوحاً من ذوات الياء والواو مثل «يخاف» و«يهاب» فالاسم والمصدر منه مفتوحان مثل المخَاف والمهاب، وما كان من الواو مضموماً مثل: يقول ويقوم ويعود ويقود وأشباهه فالاسم والمصدر فيه مفتوحان، وإنما فتحوه إذا نووا الاسم ولم يكسروه كما كسروا «المغرب» لأنهم كرهوا تحول الواو إلى الياء فتلتبس الواو بالياء»[٣].

٧– التعليل بالتوهم:

ومما استند إليه في تعليله «التوهم»، فمما أثر عن العرب أن الكلمتين إذا اتفقتا في اللفظ والمعنى لم يجز إضافة إحداهما إلى الأخرى، وإذا اختلفتا في اللفظ واتحدتا في المعنى جاز عقد الإضافة بينهما كقوله تعالى: ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾[٤]، وجاء الفراء ليعلل ذلك بتوهمهم اختلافهما في

(١) البقرة: ٢/ ١٠٢.

(٢) معاني القرآن: ١/ ٦٥.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ١٥٠، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٢٩، ٢٠١، ٣٠٤، ٢/ ١٠٣، ١٠٤، ١٥١، ٢٦٠، ٣٢٩– ٣٣٠، ٣/ ١٦، ٩٩، ١١٤، ٢٣٧.

(٤) الأعراف: ٧/ ١٦٩.

المعنى كما اختلفتا في اللفظ فقال: «قوله: ﴿ولَلدَّار الآخرةُ﴾[١]، ومثله مما يضاف إلى مثله في المعنى قوله: ﴿إنَّ هذا لهو حقُّ اليقين﴾[٢]، والحق هو اليقين كما أن الدار هي الآخرة، وكذلك «أتيتك بارحة الأولى» و«البارحة الأولى»، ومنه «يوم الخميس» و«ليلة الخميس»، يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، كما اختلف الحق واليقين والدار والآخرة واليوم والخميس، فإذا اتفقا لم تقل العرب: هذا حق الحق ولا يقين اليقين لأنهم يتوهمون إذا اختلفا في اللفظ أنهما مختلفان في المعنى»[٣].

ومن تعليله بالتوهم ما علل به جواز دخول الألف واللام على جزأي العدد المركبين في مثل «الخمسة العشر»، وذلك قوله: «فإذا أدخلت في «أحد عشر»[٤] الألف واللام أدخلتهما في أولهما فقلت: ما فعلت الخمسة عشر، ويجوز «ما فعلت الخمسة العشر»، فأدخلت عليهما الألف واللام مرتين[٥] لتوهمهم انفصال ذا من ذا في حالٍ»[٦].

٨– التعليل بالخِلْقة:

(١) الأنعام: ٦/ ٣٢.

(٢) الواقعة: ٥٦/ ٩٥.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٣٣٠– ٣٣١.

(٤) يوسف: ١٢/ ٤.

(٥) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ٣١٢– ٣٢٢ المسألة رقم (٤٣) والتبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: ٤٣٤– ٤٣٥.

(٦) معاني القرآن: ٢/ ٣٣، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٢٢٠، ٣٧٣، ٣٨٩– ٣٩٠، ٤٧١، ٢/ ٨٣، ٩٣، ٩٧، ١٤٣، ٣٤٧– ٣٤٨.

ومما يعرفنا تعلق الفراء بروح اللغة والتصاقه بها في تعليلاته أنه علَّل بما سماه «الخِلْقة» ويقصد بها الأصل في استخدام الحرف أو الكلمة في العربية، ومن ذلك تعليله رفع الاسم الواقع بعد «أمَّا» ونصبه، قال: «وكان الحسن يقرأ ﴿وأَما ثمود فهديناهم﴾[١] بنصبٍ، وهو وجه، والرفع أجود منه[٢]، لأَنَّ «أمَّا» تطلب الأسماء وتمتنع من الأفعال، فهي بمنزلة الصلة للاسم، ولو كانت «أَمَّا» حرفاً يلي[٣] الاسم إذا شئت والفعل إذا شئت كان الرفع والنصب معتدلين مثل قوله: ﴿والقمر قدَّرناه منازل﴾[٤]، ألا ترى أن الواو تكون مع الفعل ومع الاسم؟ فتقول: عبد الله ضربته وزيداً تركته، لأنك تقول: وتركت زيداً، فتصلح في الفعل الواو كما صلحت في الاسم، ولا تقول: أَمَّا ضربت فعبد الله، كما تقول: أما عبد الله فضربت، ومن أجاز النصب وهو يرى هذه العلة فإنه يقول: خِلْقة ما نصب الأسماء أن يسبقها لا أن تسبقه، وكل صواب»[٥].

ومن تعليله بالخِلْقة قوله: «فأما أصبح وأمسى ورأيت فإنَّ الواو فيهنَّ أسهل لأنهنَّ توامٌّ – يعني تامات– في حال، و«ليس» و«أظن» بنين على النقص، ويجوز أن تقول: ليس أحد إلا وله معاش، وإن ألقيت الواو فصواب

(١) فصلت: ٤١/ ١٧.

(٢) الجمهور على ضم الدال في «ثمود» وعن الحسن فتحها، وهي قراءة شاذة، انظر: الكتاب: ١/ ٨٢، والقراءات الشاذة لابن خالويه: ١٣٣، والبحر المحيط: ٧/ ٤٩١، والإتحاف: ٢/ ٤٤٢.

(٣) كذا في معاني القرآن، ولعل الصواب «يليه».

(٤) يس: ٣٦/ ٣٩.

(٥) معاني القرآن: ٣/ ١٤– ١٥.

لأنك تقول: ليس أحد، فتقف فيكون كلاماً، وكذلك «لا» في التبرئة وغيرها، تقول: لا رجل ولا من رجل، يجوز فيما يعود بذكره بعد «إلا» الواو وغير الواو في التمام، ولا يجوز ذلك في «أظن» من قبل أن الظن خِلْقته الإلغاء، ألا ترى أنك تقول: زيدٌ قائمٌ أظنُّ؟ فدخول «أظنّ» للشك، فكأنه مستغنى عنه، وليس بنفي ولا يكون عن النفي مستغنياً لأنك إنما تخبر بالخبر على أنه كائن أو غير كائن، فلا يقال للجحد: إنه فضل من الكلام كما يقال للظن»[(١)].

٩– التعليل بمشاكلة رؤوس الآيات:

حرص الفراء على التوافق بين رؤوس الآيات القرآنية ولذا مال إلى قراءة دون أخرى معللاً بمشاكلة رؤوس الآيات، قال:« ﴿والليل إذا يَسْرِ﴾[(٢)]، ذكروا أنها ليلة المزدلفة، وقد قرأ القراء «يَسْري» بإثبات الياء و«يَسْرِ» بحذفها[(٣)]، وحذفها أحبُّ إليَّ لمشاكلتها رؤوس الآيات، لأن العرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها»[(٤)].

(١) معاني القرآن: ٢/ ٨٤، وانظر معاني القرآن الكريم أيضاً: ١/ ٢٥٥، ٤٦٩، ٢/ ٨٤، ١٥١، ٣٩٦، ٤١٥.

(٢) الفجر: ٨٩/ ٤.

(٣) قرأ ابن كثير بالياء في الوصل والوقف، وقرأ نافع بالياء في الوصل وبغير ياء في الوقف، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بغير ياء في وصل ولا وقف، انظر كتاب السبعة: ٦٨٣، والتيسير: ٢٢٢.

(٤) معاني القرآن: ٣/ ٢٦٠، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٢٠١، ٣/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٩٧، ٣١٤، ٣٨٣.

١٠– التعليل بالمعنى:

أفاض الفراء في تعويله على المعنى في تعليله، حتى إن أكثر ما علل به في معانيه لا يتعدى مدار المعنى، فتراه يقلب النظر في معنى الآية ويحلله، ويعلل الحذف الواقع في القرآن بدلالة المعنى على المحذوف، ويجيز حذف ما دلَّ عليه المعنى ويمنع حذف ما لم يدلَّ عليه فيقول: «وقوله: ﴿فتُقُبل من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر﴾[١]، ولم يقل: قال الذي لم يتقبل منه: لأقتلنَّك لأن المعنى يدل على أن الذي لم يتقبل منه هو القائل لحسده لأخيه: لأقتلنَّك، ومثله في الكلام أن تقول: إذا اجتمع السفيه والحليم حُمِدَ، تنوي بالحمد الحليم، وإذا رأيت الظالم والمظلوم أعنْتَ وأنت تنوي: أعنت المظلوم للمعنى الذي لا يُشْكِل»[٢].

ويعلل بالمعنى ويختار الوجه الإعرابي الذي يحسن به، يقول: «وقوله: ﴿فذَرْنِي ومَنْ يكذِّب بهذا الحديث﴾[٣] معنى ﴿فذرني ومَنْ يكذِّب﴾ أي: كِلْهم إليَّ، وأنت تقول للرجل: لو تُركت ورأيك ما أفلحتَ، أي: لو وكلتك إلى رأيك لم تفلح، وكذلك قوله: ﴿ذَرْنِي ومَنْ خلقْتُ وحيدا﴾[٤]، و﴿مَنْ﴾ في موضع نصب، فإذا قلت: قد تُرِكْتَ ورأيك وخُلِّيت ورأيك؛ نصبت الرأي لأن المعنى لو تُرِكتَ إلى رأيك، فنصبت الثاني لحسن هذا المعنى فيه، ولأن الاسم قبله متصل

(١) المائدة: ٥/ ٢٧.

(٢) معاني القرآن: ١/ ٣٠٥.

(٣) القلم: ٦٨/ ٤٤.

(٤) المدثر: ٧٤/ ١١.

بفعل»[١].

وبذا وقفنا على أهم ما استند إليه الفراء في تعليله، وكثر تعويله عليه فيه، غير أنه علل بغير ما ذكر آنفاً، نحو تعليله بالاستحباب[٢] والحسن[٣] والاستيحاش[٤] وطباع الأعراب[٥].

فالشيخ في تعليله لم يخرج عن خصائص العربية ومدار الذوق والحس اللغويين، ولم يسلك سبلاً دخيلة على اللغة، فقد وجدناه يعلل بالكثرة – وهم إذا كثر الشيء في كلامهم أعطوه حكماً ليس لغيره – وبما قلَّ في كلام العرب، ورأيناه يحكم ذوقه العربي فيعلل بالقبح والكراهة والحسن والاستحباب والاستيحاش، وإذا عدم علة لكلامهم ركب متن التوهم فعلل به، واتخذ من الأصل في الاستخدام اللغوي مستنداً يعلل به، وهو ما سماه بالخِلْقة، وألفيناه يولي معقولية الكلام اهتماماً بالغاً فيعلل بصحة المعنى أو فساده.

إنه رصد في تعليله الخصائص اللسانية العربية وأبان عن علم أصيل بهذه اللغة وشفافية وفطرة لغويتين سليمتين وذوق عربي صافٍ، فجاءت علله موافقة لما تقتضيه الأسباب اللسانية المركوزة في الطبع اللغوي لا في العقل المجرد.

منهجه في عرض الظاهرة النحوية وتحرير أحكامها:

(١) معاني القرآن: ٣/ ١٧٧، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ١٦٣، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٤، ١٩١، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢٨، ٢/ ٧٣، ٨٥، ٢١٨، ٢٢٤، ٤١٨، ٣/ ٢٤، ٥٩، ٩٥، ١٧٧، ٢٥١.

(٢) انظر معاني القرآن: ٢/ ٣٨٦.

(٣) انظر معاني القرآن: ٢/ ٢١٨، ٢٤٤.

(٤) انظر معاني القرآن: ٣/ ٢١٤.

(٥) انظر معاني القرآن: ٢/ ٣٥٣.

تبدو عقلية العالم والمؤثرات الفكرية التي أثرت فيها في المنهج الذي يسلكه في شرحه للقضايا العلمية التي يتناولها والمناقشات التي يديرها والأفكار التي يثيرها، والسبل التي يتبعها في استنباط الأحكام العلمية، والمرتكزات التي يتكئ عليها في بسطه لأفكاره وشرحها، كل أولئك يرسم صورة واضحة عن تكوينه الفكري والعوامل التي أثرت فيه.

وبناء على هذا ينبغي لنا أن نقف على سنة الفراء في بحثه النحوي في كتابه «معاني القرآن» لنتعرف منهجه الذي اصطبغ به تفكيره النحوي ولنعلم مقدار أخذه بالفلسفة والمنطق فنقف على مدى ميله إلى الجدل والافتراض والاعتراض والتجريد العقلي والأسلوب المنطقي في التقسيم والنفي والإثبات وبناء المسائل بعضها على بعض، وخير ما ننتفع به للوصول إلى غايتنا أن نستعرض بضعة نصوص من كتابه «معاني القرآن»، قال: ﴿وإِنَّا أَوْ إِيَّاكم لعلى هدىً﴾[(١)]، قال المفسرون: معناه: وإنا لعلى هدى وأنتم في ضلال مبين[(٢)]، معنى «أو» معنى الواو عندهم، وكذلك هو في المعنى، غير أن العربية على غير ذلك، لا تكون «أو» بمنزلة الواو، ولكنها تكون في الأمر المفوَّض، كما تقول: إن شئت فخذ درهماً أو اثنين، فله أن يأخذ واحداً أو اثنين، وليس له أن يأخذ ثلاثة، وفي قول من لا يبصر العربية ويجعل «أو» بمنزلة الواو يجوز له أن يأخذ ثلاثة، لأنه في قولهم بمنزلة قولك: خذوا درهماً واثنين، والمعنى في قوله: ﴿وإنا أو إياكم﴾ إنَّا لضالُّون أو مهتدون، وإنكم أيضاً لضالون أو مهتدون، وهو يعلم أن رسوله المهتدي وأن غيره الضالُّ: الضالون.

---

(١) سبأ: ٣٤/ ٢٤.

(٢) هو مذهب أبي عبيدة، انظر مجاز القرآن: ٢/ ١٤٨، والبحر المحيط: ٧/ ٢٨٠، والتبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٣٩٤.

فأنت تقول في الكلام للرجل: إنَّ أحدنا لكاذب، فكذبته تكذيباً غير مكشوف، وهو في القرآن وفي كلام العرب كثير، أنْ يوجَّه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف كقولك: والله لقد قدم فلان، وهو كاذب، فيقول العالم: قل إن شاء الله أو قل فيما أظنُّ، فيكذبه بأحسن من تصريح الكذب، ومن كلام العرب أن يقولوا: قاتله الله، ثم يستقبحونها فيقولون: قاتعه وكاتعه[١]، ويقولون: جوعاً دعاءً على الرجل ثم يستقبحونها فيقولون: جوداً، وبعضهم: جَوْساً، ومن ذلك قولهم: ويحك وويسك، إنما هي ويلك، إلا أنها دونها بمنزلة ما مضى»[٢].

في ضوء هذا النص نرى أنه بدأ كلامه بذكر قول المفسرين في الآية ثم التفت إلى العربية ليحكّمها فيه فقال: «غير أن العربية على غير ذلك»، وذكر المعنى الذي تستخدم فيه «أو» واستثمر معناها الوظيفي، وذمَّ مَنْ ليس له دراية بالعربية فقال: «وفي قول مَنْ لا يبصر العربية»، واستند إلى معنى الآية في كلامه فقال: «والمعنى في قوله: ﴿وإنا أو إياكم...﴾، وعلَّل ما ذهب إليه بكثرته في القرآن وكلام العرب، ثم ساق أسلوب العرب في التكذيب، وعَوَّل في ذلك على ضرورة فهم كلامهم، ونبه على دور الذوق العربي في استبعاد بعض الكلمات وإحلال أفضل منها مكانها معللاً باستقباحهم، والتمس لكلامه دليلاً فلم يجده إلا في كلام العرب.

فالشيخ في هذا النص لم يتعَدَّ إطار العربية والمعاني المستفادة منها والذوق العربي والحس اللغوي ومناهج العرب في تعبيرها سواء أكان ذلك في تعليله أم في منهجه الذي تراوح بين المنهج الوصفي والمعياري.

وهذا هو دأبه في شرحه للظاهرة النحوية، يستلهم العربية ويتعلق بكلام

(١) قال الزبيدي: «والمقاتعة والمكاتعة المقاتلة يقال: قاتعه الله» التاج (قتع).

(٢) معاني القرآن: ٢/ ٣٦٢.

القوم وأساليبهم في تأليف التركيب اللغوي، وينبه على أغراضهم منه غير غافل عن الإشارة إلى عنايتهم بالمقام الذي يرسلون فيه كلامهم، وتعرف كلفه بهذا كله في النص التالي، قال: «وقوله: ﴿أَمَّنْ هو قانتٌ آناءَ الليل﴾[١]، قرأها يحيى بن وثَّاب بالتخفيف، وذكر ذلك عن نافع وحمزة[٢]، وفَسَّروها: يا مَنْ هو قانتٌ، وهو وجه حسن، العرب تدعو بألف كما يدعون بـ«يا» فيقولون: يا زيدُ أقبلْ وأَزيدُ أقبلْ، قال الشاعر[٣]:

أَبني لُبَيْبنى لستم بيدٍ إلا يدٍ ليست لها عَضُدُ

وقال الآخر[٤]:

أضمر بن ضمرةَ ماذا ذَكَرْ تَ من صِرْمةٍ أُخِذَتْ بالمرار

وهو كثير في الشعر، فيكون المعنى مردوداً بالدعاء كالمنسوق، لأنه ذكر الناسي الكافر[٥] ثم قَصَّ قصَّة الصالح بالنداء، كما تقول في الكلام: فلانٌ

(١) الزمر: ٣٩/ ٩.

(٢) قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر والكسائي «أَمَّن» بالميم المشددة وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة «أَمَنْ» بالميم المخففة، انظر كتاب السبعة في القراءات: ٥٦١، والتيسير: ١٨٩، والبحر المحيط: ٧/ ٤١٨– ٤١٩، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/ ٢٣٧.

(٣) ورد البيت في الكتاب: ٢/ ٣١٧ بلا نسبة ونسبة صاحب اللسان (خبل) إلى أوس، وهو في ديوانه: ٢١، وروايته فيه «.... لستم بيدٍ إلا يداً ...».

(٤) ورد البيت في نوادر أبي زيد: ٤٣٩ منسوباً إلى سبرة بن عمرو الفقعسي.

(٥) هذه إشارة إلى الآية التي تسبق الآية المذكورة سالفاً من سورة الزمر وهي: ﴿وإذا مَسَّ الإنسانَ ضُر دعا ربَّه مُنيباً إليه ثمَّ إذا خَوَّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل

يصلي ولا يصوم فيا مَنْ يصلي ويصوم فأَبْشِرْ، فهذا معناه والله أعلم.

وقد تكون الألف استفهاماً بتأويل «أم» لأن العرب قد تضع «أم» في موضع الألف إذا سبقها كلام، وقد وصفت من ذلك ما يُكتفى به، فيكون المعنى أَمَنْ هو قانت (خفيف) كالأول الذي ذكر بالنسيان والكفر؟

ومن قرأها بالتشديد فإنه يريد معنى الألف، وهو الوجه، أن تجعل «أم» إذا كانت مردودة على معنى قد سبق قلتها بأم، وقد قرأ بها الحسن وعاصم وأبو جعفر المدني، يريدون: أَمْ مَنْ، والعرب تقول: كان هذا حين قلت: أأخوك أم الذئب؟ تقال: هذه الكلمة بعد المغرب إذا رأيت الشخص فلم تَدْرِ ما هو؟ ومنه قولك: أفتلك أم وحشيَّةٌ؟ وقولك: أذلك أم جَأْبٌ[1] يطارِدُ أُتُناً؟

فإن قال قائل: فأين جواب «أَمَّنْ هو» فقد تبيَّن في الكلام أنه مضمر قد جرى معناه في أَوَّل الكلمة، إذ ذكر الضالَّ ثم ذكر المهتدي بالاستفهام، فهو دليلٌ على أنه يريد: أهذا مثل هذا أو أهذا أفضل أم هذا؟ ومَنْ لم يعرف مذاهب العرب ويتبيَّن له المعنى في هذا وشبهه لم يكتَفِ ولم يَشْتَفِ، ألا ترى قول الشاعر[2]:

فأُقسم لو شيءٌ أتانا رسوله سواكَ ولكنْ لم نجدْ له مَدْفَعا

أَنَّ معناه: لو أتانا رسولٌ غيرك لدفعناه، فعلم المعنى فلم يظهر»[3].

وهكذا يمضي الشيخ في تفسيره معتمداً المعطيات الذوقية للعربية فلا

وجعل لله أنداداً ليُضِلَّ عن سبيله قل تمتَّعْ بكفرك قليلاً إنَّك من أصحاب النار﴾ الزمر: ٣٩/ ٨.

(١) «الجَأْب: الحمار الغليظ مطلقاً». التاج (جأب).

(٢) هو امرؤ القيس، والبيت في ديوانه: ١٣٠، والخزانة: ٤/ ٢٢٧.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٤١٦– ٤١٧.

يجد لحكمه النحوي إلا أن يقول: «وهو وجه حسن»، وقد كان أشار إلى القبح في النص السابق، والحسن والقبح أمران ذوقيان، ويبحث في إعراب «أمن» على قراءة التخفيف والتثقيل ويرى لكل قراءة توجيهاً نحوياً نابعاً من روح العربية غير بائن عنها، ويعوّل على كلام العرب – كعادته – فيعلل به فيقول: «لأن العرب قد تضع..» ويحتج به فيقول: «والعرب تقول.. »، ويلتفت إلى أشعارهم ويسوقها شاهداً بين يدي بحثه، ويولي معنى المقام اهتمامه وينبه عليه، ويحرص على أن يربط كل وجه إعرابي بالمعنى الذي يفضي إليه، وإذا لم يجد بُدَّاً من الاعتراض والجواب عنه فإن ذلك لا يخرج به عن بدائه الحس اللغوي لأن مراده منه تبيان المعقولية المرجوة من الكلام، فتجده يبيِّن أن جواب «أمّن هو» جرى معناه في الآية السابقة، ثم يستحثُّ القارئ للوقوف على مسالك العرب في كلامها وتعقُّله وفهم معناه، فإن مَنْ غاب عنه مرامي العرب من كلامها لم يتزود منه بشيء وضاق صدره وكمد قلبه.

وما إن نتقدم في قراءة «معاني القرآن» حتى يتوضح لدينا تكوينه الفكري في الدرس النحوي وذهنه السيال بكلام العرب وتقاليبه وفهمه الدقيق لمعانيه وتذوقه لها، وهو في جماع بحثه يصدر عن أصالة عربية نقية بعيدة عن الدخيل، ويصطنع لنفسه منهجاً يتخذ من كلام العرب حقيقة مسلمة يرجع إليها على أنها ركن يأوي إليه ومَعين وافر يستقي منه أحكامه، فإذا ما بلغه شيء من كلامهم أخذه على أنه حجة دامغة وتوقف عن المناقشة والجدل، وجعل يبحث فيه غير ملتفت لغيره، ولا مسقطاً عليه ما ليس له تعلُّق به، وهذا ما يتجلى في قوله: «وقوله: ﴿الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ﴾[1]، معناه وقت الحج

(١) البقرة: ٢/ ١٩٧.

هذه الأشهر، فهي وإن كانت «في» تصلح فيها فلا يقال إلاَّ بالرفع، كذلك كلام العرب، يقولون: البرد شهران والحرُّ شهران، لا ينصبون، لأنه مقدار الحج، ومثله قوله: ﴿ولسليمانَ الريحَ غُدُوُّها شهرٌ ورَواحُها شهرٌ﴾[١]، ولو كانت الأشهر أو الشهر معروفة على هذا المعنى لصلح فيه النصب، ووجه الكلام الرفع، لأن الاسم إذا كان في معنى صفة أو محلٍّ[٢] قوي إذا أسند إلى شيء، ألا ترى أن العرب يقولون: هو رجلٌ دونك وهو رجلٌ دونٌ، فيرفعون إذا أفردوا وينصبون إذا أضافوا، ومن كلامهم «المسلمون جانبٌ والكفار جانبٌ»، فإذا قالوا: «المسلمون جانبَ صاحبهم» نصبوا، وذلك أن الصاحب يدل على محلٍّ، كما تقول: نحوَ صاحبهم وقُرْبَ صاحبهم، فإذا سقط الصاحب لم تجده محلاً تقيده قرب الشيء أو بعده، والأشهر المعلومات شَوَّال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، والأشهر الحرم المحرَّم ورجب وذو القعدة وذو الحجة، وإنما جاز أن يقال له: أشهر، وإنما هما شهران وعشر من ثالث لأن العرب إذا كان الوقت لشيء يكون فيه الحج وشبهه جعلوه في التسمية للثلاثة والاثنين، كما قال الله تبارك وتعالى:﴿واذكروا اللهَ في أيامٍ معدوداتٍ فمَنْ تعجَّلَ في يومَيْن﴾[٣]، وإنما يُتعجَّلُ في يوم ونصف، وكذلك هو في اليوم الثالث من أيام التشريق، وليس منها شيء تامٌّ، وكذلك تقول العرب: له اليومَ يومان منذ لم أره، وإنما هو يوم وبعض آخر، وهذا ليس بجائز في غير المواقيت لأن العرب قد تفعل الفعل في أقل من الساعة ثم يوقعونه على اليوم وعلى العام والليالي

(١) سبأ: ٣٤/ ١٢.

(٢) أي في معنى الظرف والجار والمجرور، والكوفيون يطلقون لفظ الصفة والمحل على الظرف والجار والمجرور، انظر مجالس ثعلب: ٨٠، وشرح المفصل لابن يعيش: ٨/ ٧.

(٣) البقرة: ٢/ ٢٠٣.

والأيام، فيقال: «زرته العامَ وأتيتك اليومَ»، و«قُتِل فلانٌ ليالِيَ الحجَّاج أميرٌ، لأنه يُراد أول الوقت وآخره، فلم يذهب به على معنى العدد كله، وإنما يراد به إذ ذاك الحين»(١).

فالشيخ يتناول بحثه تناولاً لغوياً صرفاً يرمي منه إلى التنبيه على المواضع التي تكون فيها الكلمة ظرفاً أو غير ظرف، ولا يقف عند صحة تقدير «في» للحكم على الكلمة بالظرفية، بل ينظر إلى المعنى المتوخى، فتقدير «في» في قوله تعالى:﴿الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ﴾ جائز ولكن المعنى ليس على الظرفية، فلا تراه يتسع في المناقشة ويسترسل فيها، وإنما يستوحي الحكم القاطع من العربية فيقول: «كذلك كلام العرب...»، ولا تجد في صدره إلا كلام العرب وفعلها في تنويع أساليب التعبير، فإذا علَّل تنكَّب سبيل المحاكمة العقلية وأقبل على مسالك القوم في لغتهم وأخذ منها، فقال: «لأن العرب..»، فلا نزعة فلسفية جدلية ولا صبغة منطقية ترمي إلى الخروج بنتيجة، ولا مصطلحات تنبو عنها العربية، ولكنْ فهم لها وتأسٍّ بها ورصد لاستخداماتها واستخلاص الأحكام النحوية منها بيسر وسهولة، واعتراض وجواب عنه منبثقان من صميمها، قال: «وقوله: ﴿وهو مُحَرَّمٌ عليكم إخراجُهم﴾(٢)، إن شئت جعلت «هو» كناية(٣) عن الإخراج ﴿وتُخْرجون فريقاً منكم من ديارِهم﴾، أي: وهو محرمٌ عليكم، يريد: إخراجهم محرَّم عليكم ثم أعاد الإخراج مرة أخرى تكريراً على «هو» لما حال بين الإخراج وبين «هو» كلام فكان رفع الإخراج بالتكرير على «هو»، وإن شئت

(١) معاني القرآن: ١/ ١١٩– ١٢٠.

(٢) البقرة: ٢/ ٨٥.

(٣) الكناية هو الضمير عند البصريين، انظر شرح المفصل لابن يعيش: ٣/ ٨٤.

جعلت «هو» عماداً[١] ورفعت الإخراج بمحرَّم، كما قال الله جل وعز: ﴿وما هو بمُزَحْزِحِه من العذاب أَنْ يُعَمَّر﴾[٢]، فالمعنى – والله أعلم – ليس بمزحزحه من العذاب التعمير.

فإن قلت: إن العرب إنما تجعل العماد في الظن لأنه ناصب وفي «كان» و«ليس» لأنهما يرفعان وفي «إنَّ» وأخواتها لأنهنَّ ينصبن، ولا ينبغي للواو وهي لا تنصب ولا ترفع ولا تخفض أن يكون لها عماد.

قلت: لم يوضع العماد على أن يكون لنصب أو لرفع أو لخفض، إنما وضع في كل موضع يبتدأ فيه الاسم قبل الفعل، فإذا رأيت الواو في موضع تطلب الاسم دون الفعل صلح في ذلك العماد، كقولك: أتيت زيداً وأبوه قائم، فقبيح أن تقول: أتيت زيداً وقائم أبوه، وأتيت زيداً ويقوم أبوه، لأن الواو تطلب الأب، فلما بدأتَ بالفعل وإنما تطلب الواو الاسم أدخلوا لها «هو» لأنه اسم، قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: كان مرة وهو ينفع الناس أحسابُهم»[٣].

فالعماد في نظر المعترض يصلح استخدامه في مواضع بعينها، نحو «ظننت زيداً هو القائم» و«كان زيد هو المتفوق» و«إن زيداً هو الناجح» و«ظن» و«كان» و«إن» كلٌّ له عمل، والواو ليس لها عمل، فلا ينبغي لضمير الفصل أن يأتي بعدها، فأجاب الفراء مستنداً إلى أصل وضع ضمير الفصل في اللغة ونبه على الموضع الذي يأتي فيه، وضمير الفصل له غاية معنوية في

(١) هو ضمير الفصل عند البصريين، انظر شرح المفصل لابن يعيش: ٣/ ١١٠، وشرح الكافية للرضي: ٢/ ٢٤.

(٢) البقرة: ٢/ ٩٦.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٥٠– ٥١.

الجملة العربية كما هو معلوم، فالاعتراض والجواب صادران عن طبع لغوي عربي ويرميان إلى تبيان الموضع الذي يستخدم فيه ضمير الفصل، ويستندان إلى الخصائص اللغوية للواو وضمير الفصل.

ويزداد منهجه في المناقشة وإثارة السؤال والجواب وضوحاً في قوله: «وقوله: ﴿فظلّت أعناقهم لها خاضعين﴾[١]، والفعل للأعناق، فيقول القائل: كيف لم يقل خاضعة؟ وفي ذلك وجوه كلها صواب:

أولها: أنَّ مجاهداً[٢] جعل الأعناق الرجال الكبراء[٣]، فكانت الأعناق ههنا بمنزلة قولك: ظلَّت رؤوسهم رؤوس القوم وكبراؤهم لها خاضعين للآية.

والوجه الآخر: أن تجعل الأعناق الطوائف، كما تقول: رأيت الناس إلى فلان عُنُقاً واحدة، فتجعل الأعناق الطوائف والعُصَب.

وأحَبُّ إليَّ من هذين الوجهين في العربية أن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، فجعلت الفعل أولاً للأعناق ثم جعلت «خاضعين» للرجال، كما قال الشاعر[٤]:

على قبضةٍ موجوءةٍ ظهرُ كفِّه فلا المرءُ مُسْتَحْيٍ ولا هو طاعِمُ

فأنث فعل الظهر لأن الكف تجمع الظهر وتكفي منه، كما أنك تكتفي بأن تقول: خضعت لك رقبتي، ألا ترى أن العرب تقول: كلُّ ذي عينين ناظرٌ وناظرة إليك، لأن قولك: نظرتْ إليك عيني، ونظرتُ بمعنى واحد، فترك «كلٌّ»

(١) الشعراء: ٢٦/ ٤.

(٢) هو مجاهد بن جبر، تابعي مفسر من أهل مكة، انظر شذرات الذهب: ٢/ ١٩– ٢٠.

(٣) انظر مجاز القرآن: ٢/ ٨٣– ٨٤، ومعاني القرآن للأخفش: ٢/ ٤٦٠، والبحر المحيط: ٧/ ٥.

(٤) ورد البيت في الخصائص: ٢/ ٤١٨ بلا نسبة.

وله الفعل ورُدَّ إلى العين، فلو قلت: أعناقهم لها خاضعة كان صواباً..»[١].

فقوله: «وأحب إليَّ من هذين الوجهيّن في العربية...» يصدر عن تكوين نحوي وعقلية لغوية خالصَين، وهو في هذا النص لا يسوق اعتراضه وجوابه عنه رغبة في الجدل والمناقشة ولكن لتفسير معنى الآية وتوجيه مسألة نحوية تبدو في ظاهرها مخالفة لأصول العربية، ويستعين في جوابه بقول إمام من أئمة القرّاء والمفسرين، وبأصل من أصول العربية هو «باب الحمل على المعنى»، وهو باب أفرد له ابن جني فصلاً ونبّه على أهميته في فهم العربية وتخريج كلامها[٢]، فلا يجافي طبيعة العربية لأنه يدير اعتراضه وجوابه عنه لإدراك مضمون الكلام وكشف معانيه الدقيقة[٣].

وهكذا تكتمل صورة المنهج الذي اتبعه الفراء في تحديد المسار النحوي وشرحه وتبدو المعالم المميزة له، وتتمثل بتلك الآصرة القوية بينه وبين العربية وكلام العرب، فلا يكاد يذكر وجهاً إعرابياً أو قراءة قرآنية إلا ويحيل عليهما محتكماً، فإذا وجد ما يتفق وأحكامهما نعته بقوله: «وهو وجه العربية»[٤] أو بقوله: «وهو أقوى الوجهين في العربية»[٥]، أو بقوله: «وهو وجه قوي في العربية»[٦]، أو بقوله: «كل هذا جائز في العربية»[٧]، أو بقوله: «وهذا جائز

(١) معاني القرآن: ٢/ ٢٧٦– ٢٧٧.
(٢) انظر الخصائص: ٢/ ٤١١– ٤٣٥.
(٣) انظر معاني القرآن: ١/ ٥٩– ٦٠، ٢/ ٢٤١...
(٤) معاني القرآن: ٢/ ٢٥٥.
(٥) معاني القرآن: ٢/ ٤٢.
(٦) معاني القرآن: ٢/ ٢١٧.
(٧) معاني القرآن: ٣/ ٢٦٣.

في العربية»[١]، أو بقوله: «وهو وجه جيد في العربية»[٢]، أو بقوله: «كلام العرب...»[٣]، أو بقوله: «والعرب تقول..»[٤]، أو بقوله: «والعرب تفعل ذلك..»[٥]، أو بقوله: «وهو من كلام العرب..»[٦]، ويرى أن المتكلم ينبغي له أن يتأسى بكلامهم فيقول: «فهذا سبيل كلام العرب»[٧].

وإذا وجد ما لا يتفق وأحكام العربية نبه عليه بقوله: «وهو ضعيف في العربية»[٨]، أو قوله: «ولا نجد ذلك مستقيماً في العربية»[٩]، أو قوله: «ولا تجد ذلك محتملاً في العربية»[١٠].

كما تتمثل تلك المعالم بأن الفراء نحوي أخذ في معانيه بدرس نحوي يقوم على النظر في العربية ورصد خصائصها ومقوماتها والأخذ بها، وسبر أعماقها لإبراز أساليب أصحابها في التعبير عن أفكارهم وللوقوف على طرائقهم في الخطاب، وأدار بحثه بأسلوب يتفق وطبيعتها، لذا لم يطلب لمنهجه أن يتخلله النفي والإثبات والتقسيم ولم يلتمس لحججه.. أن تكون مجردة

(١) معاني القرآن: ٣/ ٢٨٩.
(٢) معاني القرآن: ٢/ ٢١٤– ٢١٥.
(٣) معاني القرآن: ١/ ٩٤، ٢/ ١١٨، ٢٨٠...
(٤) معاني القرآن: ٢/ ٢٠، ٢٩، ٣٦، ٣٨، ٣/ ٤٥..
(٥) معاني القرآن: ٢/ ٧٢– ٧٣.
(٦) معاني القرآن: ٢/ ١٧٩.
(٧) معاني القرآن: ٣/ ٥٢.
(٨) معاني القرآن: ٢/ ٢٥٩.
(٩) معاني القرآن: ٢/ ٣٩٧.
(١٠) معاني القرآن: ٣/ ١٥٦.

عقلية، ونأى بنفسه عن التطويل في الجدل، ويمَّم وجهه شطر العربية واتخذها مداراً لبحثه، فجاء منهجه متفقاً وروحها وأضفى حسه اللغوي على مصطلحاته فجاءت لصيقة بذوقه اللغوي الرفيع معبرة عن ذهنيته النحوية، وتستبين ذلك في هذه المصطلحات التي سارت على لسانه وأراد لها أن تعبر عن تكوينه النحوي، وهذا ما تتكلم عليه الفقرة التالية.

المصطلحات التي سارت على لسان الفراء:

استخدم الفراء بعض التراكيب ليعبر عن رأيه في المسائل النحوية التي تعرض لها، ولما كثر استخدامه تلك التراكيب رأيت أن أسميها «مصطلحات» وأن أخصها بالدرس، لأنها تنبئ عن أصالة وذوق لغويين عند الشيخ، ويستشف منها حسُّه الفطري بمعاني العربية، وما كان عليه من علم عميق بمجاري التعبير فيها، فإذا عرض له مذهب نحوي وأراد أن يتخذ منه موقفاً اختار عبارة شفافة ترجع إلى الذوق نحو قوله: «ولست أشتهي ذلك»، قال: «وكان حمزة الزيات يهمز الأمر إذا كانت فيه الفاء أو الواو مثل قوله: ﴿واسأل القرية التي كنَّا فيها﴾[١]، ومثل قوله: ﴿فاسأل الذين يقرؤون الكتاب﴾[٢]، ولست أشتهي ذلك لأنها لو كانت مهموزة لكتبت فيها بالألف[٣] كما كتبوها في قوله: ﴿فاضرب لهم طريقاً﴾[٤] ﴿واضرب لهم مثلاً﴾[٥] بالألف»[٦].

(١) يوسف: ١٢/ ٨٢ .
(٢) يونس: ١٠/ ٩٤ .
(٣) الفعل «واسأل» كتب في المصحف «وسئل» وكذا الفعل «فاسئل» «فسئل».
(٤) طه: ٢٠/ ٧٧.
(٥) يس: ٣٦/ ١٣.
(٦) معاني القرآن: ١/ ١٢٥.

وقد كثر استخدامه لمثل قوله: «ولست أشتهي ذلك»[١] ومثل «ولست أشتهيه»[٢] ومثل «ولست أشتهيها»[٣] ومثل «ولا أشتهي الرفع»[٤].

وتبدو رقة طبعه اللغوي في عبارات لطيفة كان يطلقها كلما وجد ما لا يروق له ولا يريد ردَّه نحو قوله: «والرفع أحبُّ إليَّ» قال: «وقد قرأ بعض القراء ﴿لا يَحْزُنهم الفزعُ الأكبرُ﴾[٥] بالجزم وهو ينوون الرفع[٦]، وقد قرؤوا ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾[٧]، والرفع أحب إليَّ من الجزم»[٨].

(١) معاني القرآن: ١/ ٢٣٨، ٢/ ٣٢٤، ٣/ ١١١، ٢٢٥.
(٢) معاني القرآن: ١/ ٢٦٥، ٤٧٣، ٢/ ٣٢٤.
(٣) معاني القرآن: ١/ ٢٧١، ٢/ ٣٨٣، ٣/ ٧٤.
(٤) معاني القرآن: ٣/ ١٤٦.
(٥) الأنبياء: ٢١/ ١٠٣.
(٦) انظر إعراب القرآن للنحاس: ٣/ ٨٢.
(٧) انظر ما سلف ص ١٢، ح ٨.
(٨) معاني القرآن: ١/ ٨٨، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٣٧٥، ٢/ ٣٨٤، ٣/ ٢١.

وتردَّدت على لسانه عبارات قريبة من قوله: «والرفع أحبُّ إليَّ» كقوله: «والوجه الأول أحبُّ إليَّ»[١]، وقوله: «والنصب أحبُّ إليَّ»[٢]، وقوله: «وهو أحب الوجهين إليَّ»[٣]، وقوله: «ولست أستحبُّ ذلك»[٤]، وقوله: «وكأني أستحبُّ..»[٥]، وقوله: «وليس لها معنى أستحبُّه»[٦]، وقوله: «ولا أستحبُّ أن أقول..»[٧]، وقوله: «وهو أحبُّها إليَّ»[٨]، وقوله: «والكسر أحبُّ إليَّ»[٩]،

وقوله: «ولست أستحسنه»[١٠]، وقوله: «والنصب في العربية أَهيؤها»[١١].

واختار عبارة أخرى لإبراز موقفه النحوي وهي قوله: «ولا يعجبني ذلك» قال: ﴿إِلاَّ أَنْ يَخَافا أَلاَّ يقيما حدود الله ﴾[١٢]، وفي قراءة عبد الله ﴿إِلاَّ أن تخافوا﴾[١٣]، فقرأها حمزة على هذا المعنى ﴿إِلاَّ أَن يُخافا﴾[١]، ولا يعجبني

(١) معاني القرآن: ١/ ٤٣.

(٢) معاني القرآن: ١/ ٣٩٣.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٤٢٠.

(٤) معاني القرآن: ١/ ١٩.

(٥) معاني القرآن: ٣/ ٢٥.

(٦) معاني القرآن: ١/ ٤١٤.

(٧) معاني القرآن: ١/ ٣١١.

(٨) معاني القرآن: ١/ ٢٢، وانظر معاني القرآن أيضاً: ٢/ ٣٣٨.

(٩) معاني القرآن: ٢/ ٣٥١.

(١٠) معاني القرآن: ١/ ٢٠.

(١١) معاني القرآن: ١/ ٢٣٢، وأهيؤها: أحسنها.

(١٢) البقرة: ٢/ ٢٢٩.

(١٣) انظر إعراب القرآن للنحاس: ١/ ٣١٤، والجامع لأحكام القرآن: ٣/ ١٣٨.

ذلك»[٢]، وقريب من هذا قوله: «والأول أعجب إليَّ»[٣]، وقوله: «وكسر الواو في الولاية أعجب إليَّ من فتحها...»[٤]، وقوله: « ﴿نون والقلم﴾[٥]، تخفي النون وتظهرها، وإظهارها أعجب إليَّ»[٦]، وقوله: «... الرفع أعجب إليَّ»[٧]، وقوله: «وهذا أعجب الوجهين إليَّ»[٨].

(١) قراءة حمزة بضم الياء في «يخافا» انظر كتاب السبعة: ١٨٢، والتيسير: ٨٠، وحجة القراءات: ١٣٥، والنشر: ٢/ ٢٢٧.

(٢) معاني القرآن: ١/١٤٥.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٤٦١، وانظر: ٢/ ٧٨.

(٤) معاني القرآن: ١/ ٤١٨.

(٥) القلم: ٥٢/ ١.

(٦) معاني القرآن: ٣/ ١٧٢.

(٧) معاني القرآن: ٢/ ٣٧٨.

(٨) معاني القرآن: ٣/ ٨٥.

ومما استخدمه في ترجيحه وجهاً نحوياً على آخر قوله: «أجود في العربية»، قال: «وقوله: ﴿وهو قائم يصلي في المحراب أَنَّ الله...﴾ [١]، تقرأ بالكسر[٢]، والنصب أجود في العربية»[٣]، وقوله: «والمقام بفتح الميم أجود في العربية»[٤]، وقوله: «وإجراؤها أجود في العربية»[٥].

وكان يؤثر الكلمة التي تعبر عن قناعته الفكرية كقوله: «أكرهه» قال: «... وهو مما أكرهه..»[٦].

القياس عند الفرّاء:

ومما يتمم الفائدة من هذا البحث ويتصل به بصلة وثيقة أن نتناول قضية القياس عند الفرّاء لنقف على رأيه فيه ومذهبه في مجاريه وصوره، وقبل ذلك ينبغي لي أن أشير إلى أنه ليس مجرد القول بالقياس والأخذ به مظهراً من مظاهر التأثر بالمنطق، ذلك لأن القياس عملية فكرية يقوم بها العقل البشري مركوزة في طباع الإنسان، «وقد أرشد الله تعالى عباده إليه في غير موضع من كتابه، فقاس النشأة الثانية على النشأة الأولى في الإمكان، وجعل النشأة الأولى أصلاً والثانية فرعاً عليها، وقاس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بعد موتها

(١) آل عمران: ٣/ ٣٩.

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة ﴿إن الله﴾ بالكسر وقرأ الباقون ﴿أَنَّ الله﴾ بالفتح، انظر كتاب السبعة: ٢٠٥، والتيسير: ٨٧، وحجة القراءات: ١٦٢– ١٦٣.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٢١٠.

(٤) معاني القرآن: ٣/ ٤٤.

(٥) معاني القرآن: ٣/ ١٤.

(٦) معاني القرآن: ١/ ٢٤٥.

بالنبات»[١].

وقد عرف القياس عند العرب المسلمين في زمن مبكر، فمما أثر عن أبي بكر والصحابة رضي الله عنهم أنهم قاسوا خليفة رسول الله على الرسول، وذلك عندما امتنع بنو حنيفة من إيتاء الزكاة إلى الخليفة الأول، وتمسكوا بأن الصدقات كانت تدفع للنبي لأن صلاته سكن لدافعيها، واحتجوا بظاهر قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصَلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾[٢]، وصلاة أبي بكر ليست بسكن، فرفض أبو بكر قولهم وقاس هو والصحابة خليفة رسول الله على الرسول بجامع العلة بينهما، فالرسول يأخذ للفقراء لا لنفسه والخليفة نائب عنه في استيفاء الحقوق[٣]، ومما وصى به عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري قوله: «الفهمَ الفهمَ فيما أُدلي إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايِسْ بين الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق»[٤].

والقياس في النحو يقترن باسم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وهو ما نبه عليه ابن سلام إذ قال عنه «أول مَنْ بعج النحو ومدَّ القياس وشرح العلل»[٥]، وبلغ القياس على يد الخليل وتلميذه سيبويه مرحلة نضجه ونموه حتى

(١) أعلام الموقعين: ١/ ١٣٠.

(٢) التوبة: ٩/ ١٠٣.

(٣) انظر المستصفى من علم الأصول: ٢/ ٢٤٢ وما بعدها.

(٤) أعلام الموقعين: ١/ ٨٦.

(٥) انظر ما سلف ص: ٢ ج ١.

قال مترجمو الخليل عنه: «كان الغاية في تصحيح القياس»[١]، ثم اتسعت دائرة القياس في تفكير النحويين مما حدا بالكسائي (ت١٨٩هـ(أن يقول في أبيات له: « إنما النحو قياس يتبع»[٢]، وقريب من هذا ما قاله السيوطي (ت٩١١هـ(: «النحو هو العلم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب»[٣]، وذكر التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ(أن القياس عند النحويين له معنيان هما القياس اللغوي (النحوي) والقياس الصرفي، ثم ميز قياس أهل المنطق والكلام من قياس أهل اللغة فقال: «القياس بالكسر وتخفيف الياء هو في اللغة التقدير والمساواة، وفي عرف العلماء يطلق على معان منها: قانون مستنبط من تتبع لغة العرب أعني مفردات ألفاظهم الموضوعة وما في حكمها كقولنا: كل واو متحرك ما قبلها تقلب ألفاً، ويسمَّى قياساً صرفياً كما في المطول في بحث الفصاحة، ولا يخفى أنه من قبيل الاستقراء، فعلى هذا: القانون المستنبط من تراكيب العرب إعراباً وبناءً يسمى قياساً نحوياً، وربما يسمى ذلك قياساً لغوياً أيضاً حيث ذكر في «معدن الغرائب» أن القياس اللغوي هو قياس أهل النحو، والقياس العقلي هو قياس الحكمة والكلام والمنطق، ومنها القياس اللغوي وهو ما ثبت من الواضع لا ما جعله الصرفيون قاعدة...»[٤].

وقد سار الفرّاء على سنن من قبله في الأخذ بالقياس في درسه النحوي في معانيه وكان للقياس عنده صور منها:

١– القياس اللغوي أو النحوي:

(١) انظر أخبار النحويين البصريين: ٥٤، ومعجم الأدباء: ١١/ ٧٣، وبغية الوعاة: ١/ ٥٥٦.

(٢) معجم الأدباء: ٣/ ١٩١.

(٣) الاقتراح: ٣٨.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون: ١١٨٩– ١١٩٠.

أخذ الفرّاء بالأقوى قياساً في العربية في قياسه النحوي، ومن ذلك أنه رجّح رفع الاسمين بعد «ما» مع أن إعمالها عمل «ليس» أسير استعمالاً، وفي ذلك يقول: «وقوله: ﴿ما هذا بشراً﴾[١]، نصبت «بشراً» لأن الباء قد استعملت فيه، فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلما حذفوها أحبُّوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه فنصبوا على ذلك، ألا ترى أن كل ما في القرآن أتى بالباء إلا هذا وقوله: ﴿ما هُنَّ أُمَّهاتِهم﴾[٢]، وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وغير الباء، فإذا أسقطوها رفعوا، وهو أقوى الوجهين في العربية»[٣].

ومن قياسه اللغوي أنه قاس الكاف في «لولاك» على الضمير «نا»، فالضمير «نا» يبقى في لفظ واحد في حالة الرفع والنصب والجر، كما في قولنا: قمنا، وضربَنا، ومَرَّ بنا، ولا تظهر عليه علامات الإعراب، فكما جاز وقوع هذا الضمير في الحالات الثلاث جاز أن يأتي الضمير (ك) في موضع «أنت» بجامع يجمع بينه وبين الضمير (نا)، وهو أنهما لا تظهر عليهما علامة الإعراب، وإنما إعرابهما بالدلالات، وفي ذلك يقول: «وقد استعملت العرب (لولا) في الخبر، وكثر بها الكلام حتى استجازوا أن يقولوا: لولاك ولولاي، والمعنى فيهما كالمعنى في قولك: لولا أنا ولولا أنت، فقد توضع الكاف على أنها خفض والرفع فيها الصواب، وذلك أنا لم نجد حرفاً ظاهراً خُفِض، فلو كان مِمَّا يخفض لأوشكت أن ترى ذلك في الشعر، فإنه الذي يأتي بالمستجاز، وإنما دعاهم إلى أن يقولوا: لولاك في موضع الرفع لأنهم يجدون المكنّي يستوي لفظه في الخفض والنصب فيقال: ضربَنا ومرَّ بنا، فيكون الخفض والنصب بالنون، ثم يقال: قمنا ففعلنا فيكون الرفع بالنون، فلما

(١) يوسف: ١٢/ ٣١.

(٢) المجادلة: ٥٨/ ٢.

(٣) معاني القرآن: ٢/ ٤٢، وانظر الخصائص: ١/ ١٢٥، وشرح الكافية للرضي: ١/ ٢٦٦–٢٦٧.

كان ذلك استجازوا أن يكون الكاف في موضع «أنت» رفعاً إذ كان إعراب المكنِّي بالدلالات لا بالحركات»[١].

ومنه أيضاً قياسه قراءة من قرأ «صُمَّاً بُكْماً عُمياً» بالنصب على قولهم: «ويلاً له وثواباً له وبُعْداً وسَقْياً ورَعْياً»، قال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يرجعون﴾[٢]، وفي قراءة عبد الله ﴿صُمَّاً بُكماً عُمياً» بالنصب[٣]، ونصبه على جهتين:

إن شئت على معنى: تركهم صماً بكماً عمياً، وإن شئت اكتفيت بأن توقع الترك عليهم في الظلمات، ثم تستأنف «صماً» بالذم لهم، والعرب تنصب بالذم وبالمدح لأن فيه مع الأسماء مثل معنى قولهم: ويلاً له، وثواباً له وبُعْداً وسَقْياً ورَعْياً»[٤].

٢– القياس الصرفي:

ومنه قوله: «والعرب تقول: فعل ذلك في غُلوميَّته وفي غُلومته وفي غلاميَّته، وسمع الكسائي العرب تقول: فعل ذلك في وليديته يريد وهو وليد أي: مولود، فما جاءك من مصدر لاسم موضوع فلك فيه الفُعُولة والفُعُوليَّة وأن تجعله منسوباً على صورة الاسم، من ذلك تقول: عبد بيِّن العبودية والعبودة والعبدية، فقس على هذا»[٥].

(١) معاني القرآن: ٢/ ٨٤– ٨٥.

(٢) البقرة: ٢/ ١٨.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٢١٤.

(٤) معاني القرآن: ١/ ١٦.

(٥) معاني القرآن: ٣/ ١٣٧.

ومنه أيضاً قوله: «وقوله:﴿وقالوا مجنون وازْدُجِر﴾[١]، زُجِرَ بالشتم، وازْدُجِر افْتُعِل من زجَرْتُ، وإذا كان الحرف أوله زاي صارت تاء الافتعال فيه دالاً، من ذلك: زجر وازْدُجر ومُزْدَجَر، ومن ذلك المزْدَلَف ويزداد هي من الفعل يفتعل، فقس عليه كل ما ورد»[٢].

٣- وقد يطلق الفرّاء القياس على القاعدة التي تستنبط من استقراء كلام العرب ومن ذلك قوله: «وقول العوام: انقطع الكلام عند قوله: ﴿من كل أمر﴾[٣]، ثم استأنف فقال: ﴿سلامٌ هي حتى مطلع الفجر﴾[٤]، والمطلِع كسره يحيى بن وثاب وحده، وقرأه العوام بفتح اللام «مطلَع»[٥]، وقول العوام أقوى في قياس العربية لأن المطلع بالفتح هو الطلوع، والمطلع المشرق والموضع الذي تطلع منه إلا أن العرب يقولون: طلعت الشمس مطلعاً فيكسرون وهم يريدون المصدر، كما تقول: أكرمتك كرامةً فتجتزئ بالاسم من المصدر، وكذلك قولك: أعطيتك عطاءً اجتُزِئ فيه بالاسم من المصدر»[٦].

(١) القمر: ٥٤/ ٩.

(٢) معاني القرآن: ٣/ ١٠٦.

(٣) القدر: ٩٧/ ٤.

(٤) القدر: ٩٧/ ٥.

(٥) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/ ٣٨٥، وحجة القراءات: ٧٦٨.

(٦) معاني القرآن: ٢/ ٢٨٠- ٢٨١، وانظر معاني القرآن أيضاً: ٢/ ٢٠٣- ٢٠٤.

٤– ومما يتصل بصور القياس قضية التوجيه والتخريج لأن تأوُّل وجه نحوي لابدَّ أن يستند إلى القوانين المستنبطة من كلام العرب، وهنا نجد النحويين يختلفون في التأويل، وهذا يتيح لنا الوقوف على أنفذهم في التوجيه النحوي، فقد أجاز الفرّاء الرفع والنصب في قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾[١]، ووجه الرفع على أن «السارق» مبتدأ دخله معنى الجزاء لاتصاله بأل الموصولة ولذلك دخلت الفاء في «فاقطعوا»، ووجه النصب على أنه من باب الاشتغال ثم علل اختيار العرب لوجه الرفع، قال:«وقوله:﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما..﴾ مرفوعان بما عاد من ذكرهما، والنصب فيهما جائز كما يجوز «أزيد ضربته» و«أزيداً ضربته»، وإنما تختار العرب الرفع في ﴿السارق والسارقة﴾ لأنهما غير موقَّتين فوُجِّها توجيه الجزاء، كقولك: من سرق فاقطعوا يده، فـ«مَنْ» لا يكون إلا رفعاً، ولو أردت سارقاً بعينه أو سارقة بعينها كان النصب وجه الكلام، ومثله ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾[٢]، وفي قراءة عبد الله ﴿والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهما﴾[٣] ... »[٤].

وتأول سيبويه وجه الرفع في الآية على تقدير «وفيما فرض الله عليكم السارق والسارقة أو السارق والسارقة فيما فرض الله عليكم»[٥].

ولم يستغن الفرّاء بالقياس عن السماع، بل اطرح القياس وأهمله إذا

(١) المائدة: ٥/ ٣٨.

(٢) النساء: ٤/ ١٦.

(٣) انظر القراءات الشاذة لابن خالويه: ٣٣، والجامع لأحكام القرآن: ٦/ ١٦٧.

(٤) معاني القرآن: ١/ ٣٠٦.

(٥) الكتاب: ١/ ١٤٣، وانظر إعراب القرآن للنحاس: ١/ ٤٩٥، وأمالي ابن الشجري: ١/ ١٣٦، والبحر المحيط: ٣/ ٤٧٦.

تعارض مع السماع ووصفه بالقبح، ومن ذلك قوله: «وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في «كلا الرجلين» في الرفع والنصب والخفض وهما اثنان إلا بني كنانة، فإنهم يقولون: رأيت كِلَيِ الرجلين، ومررت بكلي الرجلين، وهي قبيحة قليلة، مضوا على القياس»[١].

وتوقف عند المسموع ولم يتجاوزه، ومن ذلك قوله: «وقوله: ﴿لا يكلِّفُ الله نفسًا إلا وُسْعَها﴾[٢] الوُسع: اسم في مثل معنى الوُجْد والجُهْد، ومن قال في مثل الوُجْد: الوَجْد وفي مثل الجُهْد: الجَهْد، قال في مثله من الكلام: لا يكلف الله نفسًا إلا وَسْعَها لكان جائزاً، ولم نسمعه»[٣].

وقد احتفى الفرّاء بالسماع وعَوَّل عليه في تعليلاته، قال: « ﴿وأَذِنت لربها وحُقَّتْ﴾[٤] سمعت «وحق لها ذلك»، وقال بعض المفسرين: جواب: ﴿إذا السماء انشقت﴾ قوله: «وأذِنت»[٥]، ونرى أنه رأي ارتآه المفسر وشبهه بقول الله تبارك وتعالى: ﴿حتى إذا جاؤوها وفُتحت أبوابها﴾[٦]، لأنا لم نسمع جواباً بالواو في «إذا» مبتدأ ولا قبلها كلام ولا في «إذا» إذا ابتدئت[٧]، وإنما تجيب العرب

(١) معاني القرآن: ٢/ ١٨٤، وانظر همع الهوامع: ١/ ١٣٦.

(٢) البقرة: ٢/ ٢٨٦.

(٣) معاني القرآن: ١/ ١٨٨.

(٤) الانشقاق: ٨٤/ ٢.

(٥) ذكر المبرد في جواب «إذا» في الآية ثلاثة آراء، انظر المقتضب: ٢/ ٧٧، والبحر المحيط: ٨/ ٤٤٦.

(٦) الزمر: ٣٩/ ٧٣.

(٧) انظر الكتاب: ٣/ ١٠٣، والإنصاف: ٢٦٨- ٢٧٢، والبحر المحيط: ٧/ ٤٤٣.

بالواو في قوله: «حتى إذا كان» و«فلما أن كان»، لم يجاوزوا ذلك»[١].

فالفرّاء في قياسه يستلهم طبيعة العربية ويستوحي خصائصها ويولي السماع اهتمامه ويبني عليه ويقدمه على القياس.

وإذ وقفنا في الصفحات السالفات على أربعة الأشياء التي يظهر فيها التكوين الفكري للفرّاء، وهي تعليله وعرضه للمادة العلمية وتحريره للأحكام النحوية والمصطلحات التي سارت على لسانه والقياس عنده نرى أن القاعدة الفكرية التي انطلق منها هي خصائص العربية وطبيعتها والعادات اللسانية للناطقين بها، فلم يتنكب مدار الذوق العربي والحس اللغوي، فقد وجدناه يعلل معتمداً على الأسباب اللسانية كالثقل والخفة وكثرة الدوران في الكلام، ورأيناه آخذاً بمعطيات الذوق فيعلل بالقبح والحسن والكره والاستيحاش، وألفيناه يرجع في تعليله إلى الأصل اللغوي فيعلل بما سماه «الخلقة»، ويطيل في تعليله بصحة المعنى وفساده.

وتجلَّى تكوينه الفكري أيضاً في سنته التي اختطها لعرض مادته، فكان جُلُّ اهتمامه مناقشة النص من حيث معناه وتركيبه اللغوي وموافقته لمجاري العربية التي جعلها مرجعاً له في أقواله كلها، وتوخى من مناقشته إظهار جمال النص والمعقولية المستفادة منه، لذا أكثر من التنبيه على وجوب فهم كلام العرب ومعرفة أساليبها في كلامها، واعتمد في تحرير أحكامه النحوية على رصد واسع لقوانين العربية وفهمها فهمًا ثاقباً وأسعفه في ذلك ذهنه السيال بلغة القوم ومعرفة عميقة في الأصول التي تضبطها.

---

(١) معاني القرآن: ٣/ ٢٤٩، وانظر معاني القرآن أيضاً: ١/ ٢١٥– ٢١٦، ٣٨٢، ٤٦٩، ٢/ ٣٣– ٤٤، ٧٨، ١٠٢، ١١٧، ١٧٣، ٢٢٦.

ولم يكن الفرّاء يميل إلى الجدل والافتراض، وإذا اعترض بصيغة السؤال والجواب عنه، فإن غايته توضيح معنى أو تنبيه على وجوب الالتزام بالاستعمال اللغوي الصحيح أو توضيح ظاهرة نحوية، ولا تقع عنده على محاكمة عقلية مجردة جافة بعيدة عن العربية وحيويتها.

ويبدو حسه اللغوي في هذه المصطلحات التي اختارها ليعبر بها عن رأيه النحوي، نحو قوله:«ولست أشتهي ذلك» و«الرفع أحب إلي» و«لست أستحسنه» و«الأول أعجَبُ إليّ» و«والنصب أجود في العربية».

ولم يكن القياس عنده إلا مظهراً من مظاهر الصبغة العربية التي اصطبغت بها عقليته فجاء مستوحى من روح العربية وصفاتها آخذاً بمقوماتها وسبل العمل فيها نابعاً من آلية العمل فيها.

مناقشة أقوال المعاصرين في قضية تأثره بالفلسفة والمنطق:

كان للباحثين المعاصرين الذين تصدوا للفرّاء بالدرس مواقف من قضية تأثره بالفلسفة، فمنهم من لم يتطرق لها[١]، ومنهم من رأى أن كتاب «معاني القرآن» خلا من التفلسف والمنطق[٢]، ومنهم من وجد أن علة الفرّاء أقرب إلى التفلسف والفكر المجرد منها إلى واقع الاستعمال[٣]، ومنهم من اكتفى بالإشارة

(١) كالدكتور أحمد المختار ديرة في كتابه «دراسة النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفرّاء» انظر: ١١٥– ١٣٠، ١٣٦– ١٩٦، ٣١٩.

(٢) كالدكتور عبد الفتاح شلبي، انظر أبو علي الفارسي: ٢٦٦.

(٣) كالأستاذ موفق السراج، ولكنه سرعان ما تدارك ما ذهب إليه فقال: «ولكن مثل هذه العلة قليل في الكتاب، فالطابع العام لعلل الفرّاء هو العلل التعليمية والقياسية الواضحة...»، انظر منهج الفرّاء في معاني القرآن: ١٨٠– ١٨١.

إلى أن أثبت للفرّاء التفلسف[١]، ومنهم من أخذ هذه القضية على أنها حقيقة مسلمة لا تقبل البحث[٢].

أما ما ذهب إليه الأستاذ السراج فإن ما مرَّ بنا من تعليلات الفرّاء ومقدار اعتمادها الحس والذوق اللغويين ومدى اصطباغها بالصبغة اللغوية العربية دليل على أن هذه التعليلات نابعة من روح العربية بعيدة عن التفكير العقلي المجرد[٣].

وأما الدكتور الأنصاري فقد هبَّ لإثبات امتداد يد الفلسفة والمنطق إلى عقلية الفرّاء وساق بضعة نصوص من «معاني القرآن» ورأى أنها تصلح شاهداً على أن فكر الرجل وقع تحت تأثير الفلسفة، ومن ذلك قوله: «رأيت الفرّاء يوجه كلام العرب ويعلل له ويتفلسف على لسانهم كأنه يقول: لو سئلوا عن تعليل ذلك لقالوا: كذا وكذا، استمع إليه يقول: وأما أهل البدو فمنهم من يقول: الحمدَ لَلَّه، ومنهم من يقول: الحمدِ لِلَّه، ومنهم من يقول: الحمدُ لُلَّه فيرفع الدال واللام.

فأما مَنْ نصب فإنه يقول: «الحمدَ» ليس باسم إنما هو مصدر، يجوز لقائله أن يقول: أحمدُ الله، فإذا صلح مكان المصدر «فَعَل» أو «يَفْعَل» جاز فيه النصب من ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضَربَ الرِّقاب﴾[٤]، يصلح مكانها في مثله من الكلام أن يقول: فاضربوا الرقاب، ومن

(١) كالأستاذ أحمد أمين، انظر ضحى الإسلام: ٢/ ٣٠٧.

(٢) كالدكتور أحمد مكي الأنصاري وسيأتي الكلام عليه مفصلاً.

(٣) انظر ما سلف «التعليل عند الفرّاء».

(٤) محمد: ٤٧/ ٤.

ذلك قوله: ﴿معاذ الله أن نأخذ إلا مَنْ وجَدْنا مَتَاعنا عنده﴾[١]، يصلح أن تقول في مثله من الكلام: نعوذ بالله، ومنه قول العرب: سَقْيًا لك ورَعيًا لك، يجوز مكانه: سقاك الله ورعاك الله.

وأما مَنْ خفض الدال من «الحمد» فإنه قال: هذه كلمة[٢] كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل إِبِل، فكسر الدال ليكون على المثال من أسمائهم.

وأما الذين رفعوا اللام فإنهم أرادوا المثال الأكثر من أسماء العرب الذي يجتمع فيه الضمَّتان مثل الحُلُم والعُقُب»[٣].

ثم يعقب الدكتور الأنصاري فيقول: «فأنت تراه يفصل ويمثل ويعلل، وكل ذلك من ألوان الفلسفة والمنطق، ثم هو إلى جانب ذلك يسند هذه التعليلات إلى أهل البدو، وغني عن البيان أن تقول: إن البدو كانوا ينطقون على سجيتهم ولا يلتفتون إلى شيء من هذه العلل التي وضعها النحاة فيما بعد»[٤].

بهذه السرعة وهذا النص الذي وجده الدكتور في الصفحة الأولى من «معاني القرآن» يجزم بتأثر الفرّاء بالفلسفة والمنطق، وما الأمر كما جزم.

إن هذا النص من كلام الفرّاء ليدل دلالة واضحة على أن الرجل ليس من الفلسفة والمنطق في شيء، فهو يحكي اللغات في «الحمد لله» ويناقشها ويوجهها توجيهاً نابعاً من خصائص العربية وطرق أدائها، وكل لغة منها قراءة

(١) يوسف: ١٢/ ٧٩.

(٢) أي: الحمد لله.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٣– ٤.

(٤) أبو زكريا الفرّاء: ٣٤٢.

قرئ بها، فـ«الحمدَ» بالنصب مفعول مطلق[١]، ثم ينتهي إلى قاعدة نحوية مفادها أنه إذا صحَّ أن يحلَّ الفعل محلَّ المصدر جاز نصبه على المصدرية ويستشهد لذلك بالقرآن وقول العرب.

ثم يمضي ويوجه كسر الدال واللام الأولى في «الحمد لله» [٢]، توجيهاً نحوياً خالصاً مستوحى من روح العربية وخصائصها، ذلك أن الشيء إذا كثر في كلامهم عمدوا إلى تخفيفه، فـ«الحمد لله» كثر تداوله في كلام العرب حتى صار كأنه كلمة واحدة، فكما ثقل أن يجتمع في اسم واحد ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة ثقل عليهم أن يجتمع في «الحمد لله» ضم الدال وكسر اللام، فكسروا الدال فاجتمع كسرتان لأن الكسرتين اجتمعتا في اسم واحد كإبل، ويعلل ما قاله بالكثرة في الكلام وبالثقل على اللسان، والتعليل بهذين من صميم العربية ليس بخارج عن طبيعتها.

ثم يوجه ضم الدال واللام في «الحمد لله»[٣]، بأنهم لجؤوا في هذا إلى ما كثر في الأسماء التي توالى فيها حرفان مضمومان كالحُلُم والعُقُب.

فالشيخ يستلهم الخصائص اللسانية العربية في تعليله ودراسته للظاهرة

---

(١) ينصب الدال من «الحمد لله» عامة بني تميم وناس من العرب، انظر الكتاب: ١/ ٣٢٩ والمقتضب: ٣/ ٢٢١، وإملاء ما من به الرحمن: ١/ ٥، والبحر المحيط: ١/ ١٨.

(٢) قرأ بهذا الوجه الحسن البصري وزيد بن علي، انظر المحتسب: ١/ ٣٧، والبحر المحيط: ١/ ١٨، والإتحاف: ١/ ٣٦٣، وفي كسر الدال من «الحمد» إتباع حركة الإعراب لحركة البناء، انظر أمالي ابن الشجري: ٢/ ٣٦٨.

(٣) قرأ بهذا الوجه أهل البادية وإبراهيم بن أبي عبلة، انظر المحتسب: ١/ ٣٧، والبحر المحيط: ١/ ١٨، وفي ضم اللام من «لله» إتباع حركة البناء لحركة الإعراب، انظر أمالي ابن الشجري: ٢/ ٣٦٨.

اللغوية وما رأيت من تفصيل وتمثيل وتعليل فرضته طبيعة البحث، إذ هو يحصي اللغات في «الحمد لله»، وأما إسناد هذه التعليلات إلى أهل البدو فهو من دأب النحويين، ألا تراهم يقولون: استقبحوا أن يقولوا... وكرهوا أن يقولوا...

ويتابع الدكتور الأنصاري كلامه فيقول: «وفي موطن آخر يتفلسف ولكن بصورة أخرى، فلا يكاد يذكر التقسيم والتفصيل كما رأيت في المثال السابق[١]، وإنما تحس أثر الفلسفة في التكوين الداخلي لتفكير الرجل، فهو لا يقف عند توضيح المعنى فحسب كما فعل غيره من المفسرين حين قالوا: ﴿وكان وراءَهم مَلِكٌ﴾[٢]: «وراء» بمعنى أمام، وإنما يتفلسف فيه فيقول: «وقوله: ﴿وكان وراءهم ملك﴾ يقول: أمامهم ملك، وهو كقوله: ﴿من ورائه جهنم﴾[٣]، أي أنَّها بين يديه، ولا يجوز أن تقول لرجل وراءَك: هو بين يديك، ولا لرجل هو بين يديك: هو وراءك...»[٤]، ثم يقول الدكتور جازماً: «من أجل هذا قالوا: كان يتفلسف في تصانيفه، وكانوا على حق فيما قالوا»[٥].

وأيُّ أثر من آثار المنطق والفلسفة فيما قاله الفرّاء في الآية؟ إنه فسر الوراء بالأمام، كما فعل الذين فسروا الآية[٦]، ثم ساق قوله تعالى: ﴿من ورائه جهنَّم﴾ وفسره بأنه «بين يديه»، ثم أبان الموضع الذي يجوز فيه أن يقول القائل: ورائي وبين يديَّ، وهو يبتغي من هذا بيان الاستخدام اللغوي لـ«وراء» و«بين يدي»،

(١) هو النص الذي يتكلم فيه الفرّاء على «الحمد لله».

(٢) الكهف: ١٨/ ٧٩.

(٣) إبراهيم: ١٤/ ١٦.

(٤) أبو زكريا الفرّاء: ٣٤٢، وانظر معاني القرآن: ٢/ ١٥٧.

(٥) أبو زكريا الفرّاء: ٣٤٢.

(٦) انظر مجاز القرآن: ١/ ٤١٢، والجامع لأحكام القرآن: ١١/ ٣٤.

وكذا يفعل اللغويون فلم يقحم الفرّاء على العربية ما ليس منها بل كان يرمي إلى تنمية الحس اللغوي.

ويستطرد الدكتور الأنصاري ويقول: «ثم هناك دليل آخر على أنه سلك سبيل المتكلمين في إرجاع الظواهر اللغوية إلى عللها وأسبابها مثلما كان في ظاهرتي النحت والتركيب مما يدل على أن تفلسف الفرّاء يتصل بالتكوين الداخلي لمنهجه حتى إنه أحياناً كان يسبق البصريين في تفلسفهم فقال بالنحت في كلمة (لهنَّك) وفلسف ذلك»[(١)].

فالدكتور يرى أن قول الفرّاء بالنحت في قولهم: «لهنَّك» دليل على تأثر عقليته بمسالك المتكلمين في البحث، وليس كذلك.

فمما أثر عن الفرّاء أنه قال: «هذه – أي لَهِنَّك– من كلمتين كانتا تجتمعان، كانوا يقولون: «والله إنك لعاقل»، فخلطتا فصار فيهما اللام والهاء من «الله» والنون من «إنَّ» المشددة»[(٢)]. فهو يقول بالنحت في «لهِنَّك»، والنحت ظاهرة لغوية معروفة عند عرب الجاهلية، وهو أن نأخذ من كلمتين متتاليتين كلمة واحدة كما قال الخليل: «تعبشم الرجل وتعبقس، ورجل عبشميّ إذا كان من عبد شمس أو عبقسي إذا كان من عبد قيس، فأخذوا من كلمتين متعاقبتين

(١) أبو زكريا الفرّاء: ٣٤٦– ٣٤٧، وانظر أيضاً: ٤٨٠– ٤٨١.

(٢) من كلام السيرافي المنقول في حاشية الكتاب: ٢/ ١٥٠، وانظر مذهب سيبويه في الكتاب: ٢/ ١٥٠، ومذهب المفضل بن سلمة في حاشية الكتاب: ٢/ ١٥٠، وانظر شرح الكافية للرضي: ٢/ ٣٥٧، على أن الفرّاء صرح بأن «لهنك» هي «إنَّ» وصل بها لام وهاء، انظر معاني القرآن: ١/ ٤٦٦.

كلمة واشتقوا فعلاً، قال[١]:

وتضحك منِّي شيخة عبشميةٌ كأَنْ لم ترَ قبلي أسيراً يمانيا

نسبها إلى عبد شمس فأخذ العين والباء من عبد وأخذ الشين والميم من شمس، وأسقط الدال والسين فبنى من الكلمتين كلمة، فهذا هو النحت»[٢].

وفيما قاله الخليل بُلْغَة وكفاية مؤونة في أن النحت سمة لغوية من سمات العربية مألوفة في لغة الجاهليين، وهي ضرب من ضروب الاشتقاق.

ثم إن تفسير الفرّاء قولهم: «لهنَّك» بأنه من قبيل النحت ليس بدعاً، فقد سبقه إليه أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ(إذ ذهب إلى «أن أصل «لهنَّك» لاهِ إنك، فحذفت همزة إنَّ وألف لاه فبقي لهنَّك»[٣]، واختار أبو علي الفارسي هذا القول وقوَّاه[٤]، فهل نقول: إن عرب الجاهلية وأبا زيد كانوا على دراية بسبل المتكلمين؟ وهل إرجاع قولهم: «لهنَّك» إلى أنه منحوت من كلمتين ظاهرة فلسفية وافدة على العربية؟

وقول الفرّاء بالتركيب في «إلاَّ» وأنها مؤلفة من «إنَّ» و«لا»[٥]، لا يقوم دليلاً على تأثره بالفلسفة والمنطق، لأن تفسير بعض الكلمات بأنها مركبة مألوف عند النحويين، فالخليل يذهب إلى أن «مهما» «هي ما أدخلت معها مالغوًا»[٦]، وسيبويه

(١) هو عبد يغوث الحارثي، انظر المفضليات: ١٥٨.

(٢) مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد: ١/ ٦٠– ٦١.

(٣) الخزانة: ٤/ ٣٣٦، وانظر نوادر أبي زيد: ٢٠١– ٢٠٢.

(٤) انظر الخزانة: ٤/ ٣٣٦.

(٥) انظر الإنصاف: ٢٦٤.

(٦) الكتاب: ٣/ ٥٩– ٦٠.

يذهب إلى أنها يجوز أن تكون «مَهْ كإذا ضُمَّ إليها ما»[١]، ويرى أن «إذما» مركبة من إذْ وما[٢]، وأَنَّ «لما» مركبة من «لم» و«ما»[٣]، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك فيرى أن «لا» تركب مع الاسم الذي بعدها فيصبحان بمنزلة اسم واحد[٤].

كتاب الحدود للفرّاء:

تذكر كتب التراجم أن الفرّاء صنّف كتاباً يسمى «الحدود» بأمر من أمير المؤمنين المأمون يجمع فيه أصول النحو وما سمع عن العرب، وتشير أيضاً إلى أن جماعة من أصحاب الكسائي سألوه أن يملَّ عليهم أبواب النحو فأجابهم وصنف هذا الكتاب[٥].

واختلف المترجمون في عدد الحدود التي ضمنها الفرّاء كتابه، فقد ذكر الزبيدي (ت ٣٧٦هـ(والقفطي (ت٦٤٦هـ(أنها ستون حداً[٦]، وذكر السيوطي (ت٩١١هـ(أنها ستة وأربعون[٧].

وأيّاً كان عددها فإن موضوعها في النحو، وإلى ذلك أشار الزبيدي بقوله:

(١) الكتاب: ٣/ ٥٩– ٦٠.

(٢) انظر الكتاب: ٣/ ٥٦– ٥٧.

(٣) انظر الكتاب: ٤/ ٢٢٣.

(٤) انظر الكتاب: ٢/ ٢٧٤– ٢٧٥.

(٥) انظر: نزهة الألباء: ٩٩، وإنباه الرواة: ٤/ ٦، ١٠، ومعجم الأدباء: ٢٠/ ١٢، وتاريخ بغداد: ١٤/ ١٥٠.

(٦) انظر طبقات النحويين واللغويين: ١٣٧، وإنباه الرواة: ٤/ ٤.

(٧) انظر بغية الوعاة: ٢/ ٣٣٣.

«والحدود في النحو ستون»[١] والقفطي بقوله: «والحدود في النحو للفرّاء ستون»[٢]، والسيوطي بقوله: «الحدود مشتملة على ستة وأربعين حداً في الإعراب»[٣].

وتناقلت كتب التراجم أسماء هذه الحدود وهي على ما ذكره ابن النديم (ت٤٣٨هـ(والقفطي: «حد الإعراب في أصول العربية، حد النصب المتولد من الفعل، حد المعرفة والنكرة، حد «من» و«رب»، حد العدد، حد ملازمة «دخل»، حد العماد، حد الفعل الواقع، حد «إن» وأخواتها، حد «كي» و«كيلا»، حد «حتى»، حد «الإغراء»، حد الدعاء، حد النون الشديدة والخفيفة، حد الاستفهام، حد الجزاء، حد الجواب، حد «الذي» و«من» و«ما»، حد «ربّ» و«كم»، حد القسم، حد الثنوية والمثنى[٤]، حد النداء، حد الندبة، حد الترخيم، حد «أن» المفتوحة، حد «إذ» و«إذا» و«إذاً» حد ما لم يسمَّ فاعله[٥]، حد الحكاية، حد التصغير، حد النسبة، حد الهجاء، حد راجع الذكر، حد الفعل الرباعي، حد الفعل الثلاثي، حد المعرب من مكانين، حد الإدغام، حد الهمز، حد الأبنية، حد الجمع، حد المقصور والممدود، حد المذكر والمؤنث، حد «فعل وأفعل»، حد النهي، حد الابتداء والتقطيع، حد ما يُجْرى وما لا يُجْرى»[٦].

ولا نستطيع أن نعتمد على هذه القائمة في إطلاق حكم في تأثر الفرّاء بالمنطق لأنها لا تدل على شيء واضح محدد، ولأن كتاب الحدود نفسه في عداد

(١) انظر الحاشية: ٢.

(٢) انظر الحاشية: ٢.

(٣) انظر الحاشية: ٣.

(٤) في إنباه الرواة: ٤/ ١٦– ١٧ «حد التنزيه والتمني».

(٥) جاء بعده في إنباه الرواة: ٤/ ١٦– ١٧ «حد «لو تركت وراءك».

(٦) الفهرست: ١٠٦، وإنباه الرواة: ٤/ ١٦– ١٧.

كتب الفرّاء المفقودة، وقد وردت في بعض المظان إشارات إلى هذا الكتاب يستشف منها أن الفرّاء بحث فيه قضايا وأحكامًا نحوية [١].

علاقة الفرّاء بعلم الكلام:

ومما يتعلق بهذا البحث بصلة الإشارة إلى اتصال الفرّاء بعلم الكلام وبيان مدى اطلاعه عليه، فمما ذكره السيوطي في ترجمته قوله: «وكان يحب الكلام ويميل إلى الاعتزال» [٢]، ومما قاله ابن خلكان (ت ٦٨١هـ(في ترجمته: «وكان الفرّاء لا يميل إلى الاعتزال»[٣]، إلا أن محقق الوفيات أشار في الحاشية إلى أن «لا» في العبارة السالفة سقطت من بعض النسخ، وإذا سلمنا بسقوطها فإن مفاد هذين الخبرين أن الفرّاء له ميل إلى الاعتزال، وبه حب لعلم الكلام، وينبغي لنا أن نميز حبه لهذا العلم من استعداده لتلقيه وتعاطيه له وخوضه فيه وتمثله في عقله، وهذا ما توضحه الأخبار التالية:

مما ذكره المتقدمون في ترجمته الخبر التالي: «قال الجاحظ: دخلت إلى بغداد حين قدمها المأمون سنة أربع ومئتين، وكان بها الفرّاء فاشتهى أن يتعلم الكلام ولم يكن له طبع فيه»[٤].

فالشيخ لديه رغبة لتلقي علم الكلام ولكن طبعه لم يستسغه، ويؤيد هذا ما حكاه عن نفسه إذ قال: «كنت أنا وبشر المريسي في بيت واحد عشرين سنة ما

---

(١) انظر همع الهوامع: ١/ ١١٢، والأشباه والنظائر: ٨/ ٧– ٨، واستدل الأستاذ أحمد أمين باسم كتاب الحدود على أن الفرّاء تأثر بالمنطق، انظر ضحى الإسلام: ٢/ ٣٠٨.

(٢) بغية الوعاة: ٢/ ٣٣٣.

(٣) وفيات الأعيان: ٦/ ١٨٠.

(٤) إنباه الرواة: ٤/ ٨، ووفيات الأعيان: ٦/ ١٨٠.

تعلم مني شيئاً ولا تعلمت منه شيئاً»[١]، وبشر المريسي[٢]، هذا فقيه حنفي اشتغل بعلم الكلام وجرد القول بخلق القرآن وكان مرجئاً، وكان يصعب عليه تعلم النحو فلم يتعلمه من الفرّاء، كما أن الفرّاء لم يتعلم منه علم الكلام[٣].

وعرف الفرّاء بعلوم شتى في الوسط العلمي في وقته، وطبيعي ألا يكون بينها علم الكلام، لأنه لا قبل له فيه، لذا لم يباحثه فيه النميري المعتزلي عندما التقيا على باب المأمون، قال الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ): «ولما عزم الفرّاء على الاتصال بالمأمون وكان يتردد إلى الباب، فبينما هو ذات يوم على الباب إذ جاء أبو بشر ثمامة بن الأشرس النميري المعتزلي وكان خصيصاً بالمأمون، قال ثمامة: فرأيت أبهة أديب فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحراً وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم وبالنجوم ماهراً وبالطب خبيراً وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً، فقلت له: من تكون؟ وما أظنك إلا الفرّاء، فقال: أنا هو، فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين المأمون فأمر بإحضاره لوقته وكان سبب اتصاله به»[٤].

ثم إن الفرّاء نفسه ينتقد أصحاب علم الكلام ويظهر عوارهم في فهمهم للعربية وكتاب الله، فيقول: «وأهل الكلام إذا اجتمع لهم أحمق وعاقل لم يستجيزوا أن يقولوا: هذا أحمق الرجلين ولا أعقل الرجلين، ويقولون: لا نقول: هذا أعقل الرجلين إلا لعاقلين نفضل أحدهما على صاحبه، وقد سمعت قول الله: ﴿خيرٌ

(١) إنباه الرواة: ٤/ ٨، ووفيات الأعيان: ٦/ ١٨٠.

(٢) بفتح الميم وكسر الراء وسكون الياء نسبة إلى مريس وهي قرية بمصر، انظر وفيات الأعيان: ١/ ٢٧٧– ٢٧٨.

(٣) انظر وفيات الأعيان: ١/ ٢٧٧– ٢٧٨.

(٤) تاريخ بغداد: ١٤/ ١٥١، ومعجم الأدباء: ٢/ ١١– ١٢، ووفيات الأعيان: ٦/ ١٧٧.

مُسْتقراً﴾[١]، فجعل أهل الجنة خيراً مستقراً من أهل النار، وليس في مستقر أهل النار من الخير، فاعرف ذلك من خطائهم»[٢].

فالتكوين العقلي الداخلي الذي كان عليه الشيخ لا يتفق وطبيعة علم الكلام ولا يتقبله، فلم يتعلمه ولم يكن له حظ منه، ولم تعجبه عقلية المتكلمين في فهم العربية وتخريج ظواهرها، لأنهم يبحثون في الظاهرة اللغوية بحثاً عقلياً مجرداً بعيداً عن روح اللغة ومجاري العمل فيها.

وربما وجدنا في التفكير الداخلي عند الشيخ ما يتفق ومعطيات المنطق، نحو تفسيره بعض الظواهر النحوية بما يسمى عند المنطقيين بالدور، وهو توقف كل واحد من الشيئين على الآخر[٣]، وذلك قوله: «وأما قوله: ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾[٤]، فإنها حروف لا تجرى، وذلك أنهنَّ مصروفات [أي معدولات] عن جهاتهنّ، ألا ترى أنهنَّ للثلاث والثلاثة وأنهنَّ لا يضفن إلى ما يضاف إليه الثلاثة والثلاث، فكان لامتناعه من الإضافة كأنَّ فيه الألف واللام، وامتنع من الألف واللام لأن فيه تأويل الإضافة كما كان بناء الثلاثة أن تضاف إلى جنسها، فيقال: ثلاث نسوة وثلاثة رجال»[٥].

وهذا من آلية عمل الفكر البشري، إذ الفكر يهتدي إلى بعض القوانين بطبعه وعمله الآلي.

---

(١) الفرقان: ٢٥/ ٢٤.

(٢) معاني القرآن: ٢/ ٢٦٦– ٢٦٧.

(٣) انظر كتاب النجاة في المنطق والإلهيات: ١/ ٧١– ٧٢، ١٠٦، والمعجم الفلسفي: ١/ ٥٦٧.

(٤) فاطر: ٤٥/ ١.

(٥) معاني القرآن: ١/ ٢٥٤.

نتائج البحث:

أقمت هذا البحث على قراءة واعية لكتاب «معاني القرآن» للفرّاء، وتعقبته في تعليلاته والأمور التي استند عليها فيها، وفي منهجه في عرض المادة العلمية وتحرير أحكامها وفي المصطلحات التي استخدمها والتي يستشف منها تأثره بالمنطق، ثم تتبعت القياس وصوره عنده، ثم ناقشت موقف المعاصرين من قضية تأثره بالمنطق، وتكلمت على كتابه «الحدود» ومدى دلالته على تأثر صاحبه بعلم المنطق، ثم ختمت بالكلام على علاقته بعلم الكلام، وسبق هذا كله مدخل حددت فيه الفترة الزمنية التي بدأ فيها المنطق يلقي بظلاله على النحو العربي، وانتهيت إلى النتائج التالية:

١– إن النحويين الأوائل كابن أبي إسحاق والخليل وسيبويه لم تتأثر عقليتهم بالمنطق، وجاءت أبحاثهم أبحاثاً لغوية لا يشوبها دخيل.

٢– بدت آثار المنطق على النحو العربي في القرن الرابع الهجري على يد ابن السراج والرماني، واستمر بعدهما أثره على يد من خلفهما من النحويين.

٣– إن التكوين الفكري الداخلي للفرّاء تكوين لغوي محض لم تتسرب إليه مؤثرات غريبة عن العربية، لذا جاء بحثه في معانيه بحثاً لغوياً لم يتعدَّ دائرة العربية ولم يسقط عليها ما ليس منها.

٤– إن المنهج الذي سلكه الفرّاء في معانيه منهج يعتمد الخصائص اللغوية ويعول على الأسباب اللسانية للعربية، كما رأينا في تعليله وقياسه وتفسيره للظاهرتين النحوية والصرفية، فمما علل به فساد المعنى واستقامته والثقل والخفة والحسن والقبح والاستيحاش، فلم يخرج عن مدار الذوق اللغوي والمعقولية المستفادة من الكلام، وهذه كلها تتصل بروح اللغة، ولم ينأ في قياسه عن طبيعة العربية وما تحتمله وتتسع له ويعود عليها بالنفع، ولم تسر على لسانه مصطلحات بائنة عن اللغة.

٥– وضع الفرّاء يده على لغة العرب وتمثلها في عقله ونثر دررها في معانيه، فكان بحق يعلم أساليب العربية وحقائقها التعبيرية خالصة صافية، ويدير درسه النحوي بأسلوب وأداة لغويين عربيين.

٦– لم يكن للفرّاء علاقة بعلم الكلام، بل لم يتعلمه لأنه لم يكن له فيه طبع.

٧– لم يكن للمنطق أثر في التكوين العقلي للفرّاء.

٨– إن المقولة التي تداولها الأقدمون وهي أن الفرّاء «كان يتفلسف في تصانيفه ويسلك ألفاظ الفلاسفة» لا تصدق على كتابه «معاني القرآن».

إن ما ألفيناه في هذا البحث من ذهنية سيالة بالعربية وأساليبها، وبحث عميق في صحيحها، وتعليل منبثق من روحها وقياس نحوي وصرفي يصب في مجراها ومصطلحات شفافة تنم عن ذوق لغوي رفيع ومنهج يمخر عباب العربية يستقي منها مادته ويتكئ عليها وحدها يقودنا إلى القول بأن الفرّاء نحوي عربي تمثل العربية واتخذها مضماراً لدرسه دون أن يلتفت إلى غيرها.

* * *

المصادر والمراجع

١– القرآن الكريم.

٢– أبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة: د. أحمد مكي الأنصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة ١٩٦٤.

٣– أبو علي الفارسي: د. عبد الفتاح شلبي، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧.

٤- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر: أحمد بن محمد البنا، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١ ١٩٨٧.
٥- أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض: أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط١ ١٩٨٥.
٦- الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٩٨٥.
٧- إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٢ ١٩٨٥.
٨- أعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.
٩- الأمالي النحوية: ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن الحاجب، تحقيق د. فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت.
١٠ - أمالي ابن الشجري، ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة، تحقيق د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١/١٩٩٢.
١١- الإمتاع والمؤانسة: التوحيدي أبو حيان، علي بن محمد، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٣.
١٢- إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.
١٣- إنباه الرواة على أنباه النحاة: الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٤- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
١٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري عبد الله جمال الدين بن يوسف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

١٦- الإيضاح في علل النحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق د. مازن مبارك، ط٢، دار النفائس ١٩٧٣.
١٧- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، ط٢ دار الفكر للطباعة والنشر.
١٨- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي- بيروت- ط١ ١٩٨١.
١٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١.
٢٠- تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي محمد مرتضى، الطبعة الأولى بالمطبعة المنيرية ١٣٠٦هـ.
٢١- تاريخ بغداد: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٢- التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، دار إحياء التراث العربي.
٢٣- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: العكبري، عبد الله بن الحسين، أبو البقاء، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، ط١.
٢٤- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: مصطفى عبد الرازق، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٤٤.
٢٥- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، راجعه محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٢٦- التيسير في القراءات السبع: الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، صححه اوتويرتزل، إستانبول مطبعة الدولة ١٩٣٠.
٢٧- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٥.

٢٨- حجة القراءات: الإمام أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة.
٢٩- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، عبد القادر بن عمر، دار صادر.
٣٠- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار- دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.
٣١- دراسة النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء: د. المختار أحمد ديرة، دار قتيبة للطباعة والنشر ١٩٩١.
٣٢- ديوان أوس بن حجر: تحقيق د. محمد يوسف نجم – دار صادر- ط٣.
٣٣- ديوان امرئ القيس: دار صادر.
٣٤- رسالة في الحدود: الرماني، علي بن عيسى، تحقيق د. إبراهيم السامرائي – دار الفكر – عمان – ١٩٨٤.
٣٥- الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: د. مازن مبارك، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٤.
٣٦- شرح الكافية في النحو: الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٧- شرح المفصل: ابن يعيش موفق الدين يعيش بن علي، إدارة المطبعة المنيرية.
٣٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الإمام شهاب الدين عبد الحي ابن أحمد، تحقيق محمود أرناؤوط – دار ابن كثير- دمشق – بيروت.
٣٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.
٤٠- ضحى الإسلام: أحمد أمين، مطبعة الاعتماد، ط١ ١٩٣٣.
٤١- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال: الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني- دار القلم – دمشق – ط٤ ١٩٩٣.

٤٢– طبقات فحول الشعراء: الجمحي، محمد بن سلام، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة الميداني.
٤٣– طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.
٤٤– الفهرست: ابن النديم، محمد بن إسحاق، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.
٤٥– القراءات الشاذة: ابن خالويه، الحسين بن أحمد، نشره ج. برجشتراسر، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤.
٤٦– القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: الشيخ عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ ١٩٨١.
٤٧– الكتاب: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتاب.
٤٨– كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣.
٤٩– كتاب العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، قم، ط١ ١٤٠٥.
٥٠– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، محمود بن عمر، دار المعرفة– بيروت.
٥١– كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي، محمد أعلى بن علي التهانوي، دار صادر.
٥٢– الكشف عن وجوه القراءات السبع: القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق ١٩٧٤.
٥٣– لسان العرب: ابن منظور الإفريقي، جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت.
٥٤– مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، علق عليه د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي – القاهرة.

٥٥- مجالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف.

٥٦- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ابن جني، عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصيف وزميليه، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٩٦٦.

٥٧- المحكم في نقط المصاحف: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر ط٢ ١٩٨٦.

٥٨- المستصفى من علم الأصول: الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المطبعة المنيرية ببولاق.

٥٩- معاني القرآن: الأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق د. هدى قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١ ١٩٩٠.

٦٠- معاني القرآن: الفراء، يحيى بن زياد، تحقيق محمد علي النجار – وأحمد يوسف نجاتي – عالم الكتب.

٦١- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، تحقيق د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب.

٦٢- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت، ط٣ ١٩٨٠.

٦٣- المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني.

٦٤- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ١٩٨٥.

٦٥- المفضليات: المفضل بن يعلى الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٧.

٦٦- المقتضب: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٣٩٩هـ.

٦٧- مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ١٩٨٦.

٦٨- المنطق الصوري والرياضي: د. عبد الرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، ط٤ ١٩٧٧.

٦٩- منهج الفراء في معاني القرآن: موفق السراج.

٧٠- النجاة في المنطق والإلهيات: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة ١٩٩٢.
٧١- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
٧٢- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، صححه وراجعه علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى بمصر.
٧٣- النوادر في اللغة: أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد، ط١ ١٩٨١.
٧٤- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي، جلال الدين، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط٢ ١٩٨٧.
٧٥- وفيات الأعيان: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

(التعريف والنقد)

ديوان مجير الدين ابن تميم

قراءة ومستدرك

الأستاذ عباس هاني الجراخ

(فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٨ الجزء ٢)

(التعريف والنقد)
ديوان مجير الدين ابن تميم
قراءة.. ومستدرك

عباس هاني الجراخ

مجير الدين ابن تميم؛ محمد بن يعقوب بن علي (ت٦٨٤هـ(، واحد من شعراء العصر الأيوبي، عاصر الملك المنصور محمد بن محمود، صاحب حماة، واشْتهر بوصف مظاهر الطبيعة والتّشبيهِ، فَضْلاً عن تضمينِهِ شعر الآخرين، وهذا ما دعا القُدماء إلى أنْ يوردوا نصوصاً من شعره في مُصَنَّفاتهم.

وفي بيروت، عالم الكتب، صدر (ديوان مجير الدين ابن تميم)، تحقيق الأُستاذ هلال ناجي والأُستاذ الدكتور ناظم رشيد، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ووقع في ١٥١ صحيفة، بِضِمنها الفهارس التي صنعها الأستاذ حسن عريبي الخالديّ، في حلَّة قَشيبة وإخراج بديع.

وكان الأُستاذ الدكتور ناظم رشيد – المختصّ بالأدب الأيوبيّ- قد جمع شعر مجير الدين ابن تميم من المظان المتنوعة، وأباح للأستاذ هلال بالأمر، فأخبره الأخير أنّه يمتلك صورةً من منتخب الصَّفدي (ت٧٦٤هـ(لشعر الشاعر، وهكذا اتّفقا على تقاسم العمل بينهما وتحقيقه ليظهر كاملاً، وأن يقوما -أيضاً- بكتابة مقدمتهِ.

وكنتُ قد اطّلعتُ على نسخةِ د. ناظم رشيد الخاصّة من (الديوان) في تموز ٢٠٠٠م، أيْ بعد صدورهِ بنحو عامٍ واحد، وعلّقتُ عليها بعض الملاحظات، وقدّمتُها إليهِ هديةً، ريثما تصل نسخٌ من النّاشر، وفعلاً تَمَّ ذلك في نهاية شباط ٢٠٠١م، وقد أهداني الأُستاذ هلال ناجي نُسْخَة مِنَ الدِّيوان

بعد شهرٍ واحدٍ.

وكان منْ حُسن حظّ الدّيوان أنْ يقومَ الناقدُ الكبيرُ الأُستاذ عبد الحميد الرشوديّ بإبداء (نظرات) نقديّة وتعليقات عليه، بلغت (٥٦) ملاحظة، بتسلسل أبيات الديوان[١].

وإذا كانتْ بعضُ تلك النّظرات مهمَّة، أسهمتْ في سدّ الخلل في بعض المواضع، وإقامة الوزن، فإنَّ بعضها لم يكنْ دقيقاً، وبعضها الآخر مجرّد أخطاء مطبعية. ثم إنه لم يكنْ يعلم بتفاصيل (تقاسم) العمل بين المحققَّين الفاضِلَيْن،، فَضْلاً عن أشياءَ أُخرى ليس هذا مجال بسطها[٢].

لقد كانت نظراتُ الأُستاذ الرّشودي حافزاً لي كي أعود إلى ما كنتُ قد علّقتُهُ من مَلاحِظ وتنبيهات على الديوان، وَأَضَفْتُ إلى ذلك كثيراً من القضايا، بعد رجوعي إلى المصادر المثبتة في هوامش التحقيق، فرأيتُ أنهما قد فاتتهما بعض الروايات المهمة والتخريجات، وكذلك الأخطاء في النقل منها، كما فات التحقيق نسبة أبيات مضمّنة لعدد من الشعراء، لم تُعْزَ إلى أصحابها، علاوة على إخلال الديوان بأبيات وَرَدَتْ في تلك المصادر، وهذا ما دعاني إلى البحث والتنقير، حتى عثرتُ على أبيات جديدة، صَنَعْتُ منها مستدركاً، ضمّ ما لم يردْ فيه بعد الاطلاع على مصادر أخرى.

وكنت قد ذكرتُ للأُستاذ هلال بعض ملاحظاتي هذه، فَرَغِبَ إِليَّ في نشرها. وها أنذا أفعل هذا، في ضوءِ هذه المباحث المتسلسلة الآتية:

مخطوطة الديوان:

صنع الصفديُّ منتخباً من شعر مجير الدين ابن تميم، تَخَيَّرَهُ من قصائد للشاعر، بناءً على ذوقه الأدبيّ ومزاج عصره. وهذا ما فعله أيضاً في ما وصل إلينا من منتخبات أشعار: يحيى بن عبد العظيم الجزّار (ت ٦٧٩هـ(وسراج الدين عمر بن محمد بن الحسن الورّاق المصري (ت٦٩٥هـ(، وشهاب الدين أحمد بن عبد الملك العزازي (ت٧١٠هـ([٣]، وكذلك منتخبه لشعر محمد بن دانيال الموصلي (ت ٧١١هـ([٤].

هذا عدا ما كان ينثرُهُ في كتبهِ الأخرى، عند ترجمته للشعراء. وما وجدتُهُ عند تحقيقي ديوان سيف الدين المشِدّ (ت ٦٥٦هـ(، على أربع نُسخٍ خطيّة من بريطانيا وألمانيا وإسبانيا ومصر، في رسالتي للماجستير من جامعة بابل[٥]، إذْ كان يقتطع القصائد الطويلة، فيختار منها أبياتاً قليلة جداً.

أعودُ فأقول: إنَّ مُنتخب الصّفدي لشعر ابن تميم وصلتْ إلينا مخطوطةٌ فريدةٌ منه؛ بخطّهِ، محفوظة في مكتبة أيا صوفيا برقم ٣٩٤٨. ويشغل شعره الأوراق ١٠٧– ١٤٧ منها.

وتوجد صورة منه في معهد المخطوطات العربية برقم ٨١٧– أدب.

قال عبّاس الجرّاخ:

بعد البحث والاستقصاء ثَبتَ لنا أَنَّ للشاعرِ (ديواناً) جَمَعَهُ بخطّهِ، ودليلنا على ذلك:

الأول: إنَّ الصّفديّ في كتابه (الغَيْث المسجم) نَقَل منه عدّةَ قطعٍ، وكان في كلّ مرّة يسبق ذلك بقوله: «نقلتُ مِنْ خطّ مُجير الدين محمّد بن تميم»[٦]، ثم في كتابه (أعيان العصر)[٧].

ومن المؤكد أنَّ هذا الكلام يعني أنه إنما يَنْقل من ديوانٍ له بخطّه.

الثاني: إنَّ الخفاجيَّ في: (ريحانة الألبّا) أورد له بيتَيْن، ذكر أنهما وردا في «ديوانه»[٨].

أقول: إنَّ هذه القضية مهمةٌ جداً، وجديرةٌ بالتأمل، لم يبحثْ فيها المحققان الكريمان ولا أشارا إليها، لاسيما أنهما وَسَمَا عملهما بـ «ديوان».

وعلى هذا فإنّ مخطوطة الصفديّ لشعرِه، لا تعدو أنْ تكونَ مُنتخباً مِنْ ذلك (الديوان)، الذي لم يصل إلينا، للأسف الشَّديد.

نَسَخَ الأُستاذ هلال هذا (المنتخب)، وبذل خبرتَهُ الطويلة وجهدَهُ في تَقَرِّي الحروف المتلاشية في المخطوطة، وهذا هو عملهُ في تحقيق الديوان، وحصّتُهُ فيه.

ولم يستطع قراءة بضع كلماتٍ وردتْ في ثلاثة أبيات منها، أشار إليها[٩].

كما سقطتْ من المخطوطة كلمتان، في بيتين – اجتهد الأُستاذ هلال في وضعهما داخل عضادتين[١٠]. وكنّا نفضّل أنْ يُتْرَكَ الأَصل على ما هو عليه، ويكون الهامش مجالاً رحباً لذلك.

وذكر الأُستاذ هلال – في مقدمتهِ – ص١٠ – أنَّ مخطوطةَ الصَّفدي تحتجنُ (٦٦٨) بيتاً.

أَقولُ: بعد دراستها وَفَحْصها تَبَيَّنَ لنا سقوط البيت الأوّل، على قافية الهمزة، من القطعة(٢) ص١٣. وهو ثابت في المخطوطة – ووارد في الورقة الأولى منها– وترتيبهُ الرابع فيها. وقد أوردناهُ في (المستدرك) في بحثنا هذا، برقم (١).

كما لم يتم ترقيم البيت الوارد على قافية العين، بعد البيت رقم ٣٤٠ – ص٥٤، وكذلك البيت الوارد على قافية القاف، [بعد البيت] رقم ٣٨٠– ص ٥٩.

هذا إذا اسْتَثْنينا البيت المرقّم ٣٦٠، وترقيمُهُ غير صحيح، لأنّهُ ليس للشاعر، بل تضمينُ بيت للمتنبي.

وعلى هذا فإنَّ مخطوطة الصّفديّ تقع في (٦٧٠) بيتاً فقط.

وتبدو أهمية منتخب الصفدي لشعر ابن تميم أَنَّهُ أضاف (١١٩) قطعةً إلى عمل د. ناظم رشيد، لو قُدّر له أن يَنْشُرَ (الدّيوان) بالاعتماد على المظان المختلفة دونَهُ، وهذا واضح من تخريجاته التي أثبتَها أسفل قِطع الأصل المخطوط؛ وترك ما لم يَعْثُرْ عليه في المصادر، وانفردت به المخطوطة.

ولابدّ أنْ أشير إلى خطأ واضح وَقَعَ فيه الصّفديُّ — وتابعَهُ الأُستاذ هلال–، في اسم الشاعر، إذْ وَرَدَ: (مجير الدين محمد بن علي بن يعقوب)[١١]، والصواب– كما هو معروف–: محمد بن يعقوب بن عليّ.

إهمال روايات المصادر:

في حواشي التحقيق تم إثبات اختلاف الروايات بين المصادر، وهو منهج سديد، إلاّ أننا لاحظنا – في الوقت نفسه– إهمال واضح لروايات أخرى وردتْ في تلك المصادر التي رجع إليها المحققان. وهذا بيانٌ بها:

– ص ١٤– البيت ٧:

ناعورة مُذْ غابَ عنها قلبُها دارتْ عليه بأَنَّةٍ وبكاءِ

أقول: وقد ورد في خزانة الأدب ٢٦٠، وهو أحد مصادر التخريج برواية أخرى هي:

ناعورة مُذْ ضاعَ عنها قلبُها فاضَتْ عليهِ بأَنَّةٍ وبُكاءِ

– ص ١٨– البيت ٤٥:

إنْ تاهَ ثَغْرُ الأَقاحي في تَشَبُّهِهِ بِثغر حِبِّكَ واسْتولى به الطربُ

وفي: أنوار الربيع ٦/ ٨٠: (إذْ تشبهه)، وهذا الكتاب من مصادر التخريج.

– ص ٣١– القطعة ٧٢، ورد بيتان خَرَّجهما د. ناظم على مصادر كثيرة، منها: عيون التواريخ ٢١/ ٣٦١، لكنه أهمل روايتَهُ لصدر البيت الأول، وهو: تَأَمَّل ترى الدّولابَ...

ورواية صدر الثاني:

وضاعَ النسيمُ الرَّطْب في الدَّوحِ مِنهما

– ص ٤٢– البيت ٢٤٦:

بطاووسِ بستانٍ يدورُ وينجلي وينفضُ على أرياشهِ بَلَلَ القطرِ(I)

وفي: عيون التواريخ ٢١/ ٣٦٤ (عن) بدلاً من: على. وسقطت منه الكلمة بعده. ولم يُشِرْ د. ناظم إلى ذلك، وهو من مصادره.

– ص ٥٦ – البيت ٣٥٩:

طوبى لمرآةِ الحبيبِ فإنَّها حُملتْ براحة غُصن بانٍ أينعا

والبيت في: أنوار الرَّبيع ٦/ ٧٩– وهو من مصادر التخريج – برواية مختلفة، هي:

سُقياً لمرآة الحبيب فإنّها حُلِيَتْ بكفّ مثل غصنٍ أينعا

– ص ٦٩ – البيت ٤٧٠

ولي حبيبٌ سبحانَ خالقِهِ ترتعُ في رَوْضِ وجههِ مُقلي

وأثبت د. ناظم عيون التواريخ ٢١/ ٣٦٥ مَصْدراً له، ولم يذكرْ روايتَهُ

(I)[رواية (وينفض على) تخلّ بالوزن، والرواية الصحيحة هي رواية عيون التواريخ (وينفض عن)/ المجلة].

فيه: «روضِ حُسْنهِ مقلي».

– ص ٧٤– البيت ٥٠٧:

سبقتْ إليكَ مِنَ الحديقةِ وردةٌ وَأَتَتْكَ قبل أوانها تطفيلا

وفي أنوار الربيع ٥/ ٢٥٦ «... من الحدائق».

– وورد البيت ٥١١ في الصحيفة ٧٤ نفسها:

إذا هَجَرَتْني الصهباءُ يوماً ترى للهمّ في كبدي اشْتعالا

وفي أنوار الربيع ٦/ ٧٩ وَرَدَ العجز:

ألاقي النار في كبدي اشتعالا

– ص ٩٧ – البيت ٢٥ [الملحق]:

تركتُ شرب الحُميا غيرَ مكترثٍ بها وفي شربها الراحاتُ والطَّرَبُ

وفي: خِزانة الأدب للحمويّ – وهو من مصادرِ المهمّة–: «غير مفتكر».

– ص ١٠٤ – البيت ٨٤:

دمٌ جَرَى منْ فواخت ذبّحَتْ مِنْ فوقها ريشهنّ منثورُ

وورد البيت في: أنوار الربيع ٥/ ٢٥٧ هكذا:

شبه دم من فواخت ذبحتْ وفوقهُ ريشهنّ منثورُ

– ص ١٠٧ – البيت ١١٧:

أُضَمِّنُ كلَّ بيتٍ فيه مَعْنى فَشعري نصفُهُ مِنْ شعر غَيْري

أقولُ: وَرَدَتْ روايةُ الصدر في: عيون التواريخ ٢١/ ٣٥١، شذرات الذّهب ٥/ ٣٨٩، وهما من مصادر تخريج الكتاب:

أُضَمِّنُ كلَّ بيتٍ نصف بيتٍ

– ص ١٢٦ – البيت ٢٨٠:

أَجْرَيْتُ واقفَ مَدمعي مِنْ بعدهِ وَجَعَلْته وَقْفَاً عليه جارياً

وفي أنوار الربيع ٥/ ٣٠: «واقفَ أدمعي».

أقول:

وهناك روايات أخرى، خاصةً في (خزانة الأدب)، لابن حجة الحمويّ، لم تُذْكر في التخريجات، ضربنا صفحاً عن إثباتها، خشية الإطالة.

تخريجات جديدةٌ:

كانت المصادر التي رجع إليها د. ناظم رشيد في تخريج قطع الديوان قليلة، وأُثْبتُ هنا تخريجات جديدة لمصادر أخرى لم يرجع إليها، ومعها رواياتها.

أولاً: متن الديوان:

– القطعة (١) وردت في: الكشف والتنبيه للصفدي ٤١٨.

– القطعة (٨) في : «السماح في أخبار الرماح» للسيوطي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٣٧، ١٩٨٩، ص ٢٥٤.

وهما في الكتاب نفسه بتحقيق د. نوري القيسي[١٢]، مجلة (المورد)، مج١٢، العدد٤، ١٩٨٣م، ص ٩٠، وفي: الكشف والتنبيه، وفيها: «تلهو...».

– القطعة (١٠): البيتان ٢٠– ٢١ في: حلبة الكميت ٢٠٧.

– القطعة (١٥) في: شفاء الغليل ٢٣٧.

– القطعة (١٨): البيتان ٤٨– ٤٩ في: فضّ الختام عن التورية والاستخدام ٩٠.

– القطعة (٢١) في: شفاء الغليل ٢٠٣.

– القطعة (٢٥) في: حلبة الكميت. وقافية الأول: «والحبائب».

– القطعة (٣٠) في: اتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء، مجلة عالم الكتب،

مج٤، العدد الأول، ١٩٨٣م، ص ٩٢.

– القطعة (٣٦) في: الكشف والتنبيه ٣٠٣، ورواية صدر الأول: «يا حسنها دوحة..».

– القطعة (٥٣) في: ريحانة الألبّا ١/ ٤١٤، ورواية صدر الأول: سقى الله.. روضاً تبدى لناظري.

– القطعة (٥٥) في: تشنيف السمع ١٢٣، ورواية صدر الثاني: «تطايرتها»، خَطأ.

– القطعة (٦٤) في: جوهر الكنز ١٤٦، ورواية صدر الأول: لمن أفوه بشعري حين أذكره.

– القطعة (٧٢) في: شفاء الغليل ١٢٩.

– القطعة (٧٣) في: حلبة الكميت ٢٤٤.

– القطعة (٧٤) في: حلبة الكميت ٢٠٦– ٢٠٧.

– القطعة (٧٧) في: الكشف والتنبيه ٣٢٠، ورواية الأول: «... فإنها تدعو بقلبٍ...».

– القطعة (٧٨) في: مطالع البدور ١/ ٣٧، نفحة الريحانة ١/ ٤٤٠، نفحات الأزهار ٨٣.

– القطعة (٨٤) في: الكشف والتنبيه ٢٩١.

– القطعة (٨٧) في: حلبة الكميت ٢٨٨.

– القطعة (٨٨) في: فضّ الختام ١٩٠.

– القطعة (٩٥) في: الكشف والتنبيه ٢٧٢ وفي صدر الثاني: «تحسبُ أنها..».

– القطعة (١٠٨)، الأبيات ١، ٢، ٤ في: حلبة الكميت ٢١٥.

ورواية الأول: «رعى الله...»، ورواية الثاني: «فمدّ لتلقائي»، ورواية الأخير: «فحيثما ذهبتُ...».

– القطعة (١١٧) في: الكشف والتنبيه ٢٧٣. وفيه: «حسداً».

– القطعة (١١٨) في: حلبة الكميت ٢٩٠، وريحانة الألبا ٢/ ٢٠٣، شفاء الغليل ١٢٩. ورواية عجز الأول في الحلبة: «فلما مزقتُهُ»، وفي الريحانة: «فلما فَرَّقتها»، وعجز الثاني: «أيام عهد الصبا».

– القطعة (١٢٢) في: حلبة الكميت ١٦٠.

– القطعة (١٢٥)، البيتان ٢، ٣ في: الكشف والتنبيه ٢٣٣، ورواية صدر الأول فيه: «ويومنا»، والعجز: «مَنْ بات صاحياً هازي»، وهو تصحيح لما ورد خطأ في الديوان، ولم يستطع الأستاذ الرشودي – في نقده للعمل – ملاحظة ذلك التصحيح.

– القطعة (١٣١) في: الكشف والتنبيه ١١٦ والعجز فيه: «... نامت عيون الحرس»، وفي: أنوار الربيع ١/ ٢٧٩، وهو أحد مصادر الكتاب! وعجز الثاني فيه: «وترمقنا...».

– القطعة (١٣٥) في: الكشف والتنبيه ٣٠٨، وعجز الثاني: «لُبْس الحداد...».

– القطعة (١٣٧) في: الكشف والتنبيه ٢٨٢.

– القطعة (١٤١) في: الكشف والتنبيه ٣٠٤.

–القطعة (١٤٧) في: الكشف والتنبيه ٣٠٤ وقافية الثاني: «الرياض»، وورد في المصدر نفسه بلا عزو ص ٢٦٥.

– القطعة (١٥٢) في: رحلة ابن معصوم المدني، مجلة المورد ١: مج٩، ١٩٨٠م، ص ٢١٤.

– القطعة (١٥٧) في: الكشف والتنبيه ٢١٤.

–القطعة (١٥٨) في: شفاء الغليل ٤٢، ورواية صدر الأول «أسرع بنا» وصدر الثاني «وجيادنا».

– القطعة (١٦٢) في: الكشف والتنبيه ٣١٩.

– القطعة (١٦٣) في: إنسان العيون ١١٨.

– القطعة (١٧٠) في: فضّ الختام عن التورية والاستخدام ١٣٥.

– القطعة (١٧١) في: الكشف والتنبيه ٣١٢ وفيه: «ولينوفر».

– القطعة (١٧٢) في: الكشف والتنبيه ٣١٩، وعجز الأول: «فلقد قراهُ».

– القطعة (١٨٠) في: حلبة الكميت ٢٣١.

– القطعة (١٨٣) في: الكشف والتنبيه ٢٣٢.

– القطعة (١٨٤) في: الكشف والتنبيه، ورواية الأول: «...وحسنُها وأظلّ منها...».

وفي: حلبة الكميت ٢٥٧، ورواية صدر الأول: «... وطيبها وأظلّ منها...». وصدر الثاني: «والزهر يلحظني..».

– القطعة (١٨٧) في: الكشف والتنبيه ٣١٩.

– القطعة (٢٠١) في: الكشف والتنبيه ٢١٣، نفحة الريحانة ٢/ ٤١٩.

– القطعة (٢١٠) في: الكشف والتنبيه ٣٧٢، ورواية صدر الثاني: «ما بين منثور أقام ونرجسٍ».

– القطعة (٢١٤) في: ريحانة الألبا ٢/ ٤٧٦.

– القطعة (٢١٦) في: حلبة الكميت ٢٠٢، ورواية الأول: «وفتاة.... ذلولُ»: ديوان الصبابة ٢٨٠.

– القطعة (٢٢٧) في: نفحة الريحانة ٤/ ٢٢٤، ديوان الصبابة ٢٦٢ وفيه: «وقفت وللظى» وهو خطأ.

– القطعة (٢٣٠) في: الكشف والتنبيه ٤١٧ وفي عجز الأول: «فتطربني».

– القطعة (٢٣٧) في: الكشف والتنبيه ٢٨٩ وفيه: «من الحدائق وردةٌ» وكذلك في ريحانة الألبا ٢/ ٤٦٣. ونفحة الريحانة ١/ ١٢٨. وبلا عزو في: نصرة الثائر ٢٣٠.

– القطعة (٢٤٠) في: حلبة الكميت ٣٣٣.

– القطعة (٢٤٤) في الكشف والتنبيه ١٩٩.

– القطعة (٢٤٧) في: أنوار الربيع ٥/ ٣٠، خزانة الأدب ٢/ ٧٤–٧٥ ورواية البيتين مختلفة جداً عن الديوان:

أيا حسنها سجادة سندسية يرى للتقى والزهد منها توسّمُ
إذا ما رآها الناسكون ذوو الحجى أمامَهُمُ صَلُّوا عليها وسلّموا

– القطعة (٢٥٣) في: نصرة الثائر ٣٣٤.

– القطعة (٢٥٤) في: فضّ الختام ١٦٦، كشف اللثام ١٦٢.

– القطعة (٢٥٧) في: الكشف والتنبيه ٣٠٣.

– القطعة (٢٦٣) في: الكشف والتنبيه ١١٦.

– القطعة (٢٧٣) في: الكشف والتنبيه ٣٠٠.

– القطعة (٢٧٧) في: الكشف والتنبيه ٢٧١.

– القطعة (٢٩٠) في: الكشف والتنبيه ٢٧٣.

– القطعة (٣٠٠) في: الكشف والتنبيه ٤٠٨.

– القطعة (٣٠٤) في: فضّ الختام عن التورية والاستخدام ١٣٤– ١٣٥.

– القطعة (٣٠٩) في: الكشف والتنبيه ٤٠٨.

ثانياً– ملحق الديوان ص ٩٥– ١٢٧:

– القطعة (١) في: فضّ الختام ١٩٠.

– القطعة (٢)، البيتان ٣، ٤ في: الكشف والتنبيه ٢٦٦، وفي صدر الأول: «بلحظِ عينك».

– القطعة (٦) في: حلبة الكميت ١٦٨، وقافية الثاني: «تشربُ».

– القطعة (١٠) في: الكشف والتنبيه٣١٩.

– القطعة (١٧) في: الغيث المسجم ٢/ ٢٧١، ديوان الصبابة ١٧٢، نصرة الثائر ١٠٧: بلا عزو

– القطعة (١٦) في: الكشف والتنبيه ٣٩٧، وفيه (لبن) بدلاً من (لبأ).

– القطعة (٢٢) في: الشفاء في بديع الاكتفاء: ٧٢ وورد فيه صدر الثاني: «شقا ريق بدر الدجى» وهو وهم من الناشر.

– القطعة (٣٤) في: خِزانةُ الأدب ١/ ٣٨٩: بلا عزو.

– القطعة (٣٨) في: الكشف والتنبيه ٢٣٢– ٢٣٣ وورد أيضاً ص ٩٨.

ورواية الأول: «إذا الغيث فيها أرسل». ورواية صدر الثاني: (عين ناضره...».

– القطعة (٤١) في: الكشف والتنبيه٣٠٤، ورواية صدر الثاني: «فَظِلْتُ يومي...».

– القطعة (٤٨) في: حلبة الكميت ١٥٩.

– القطعة (٥٥) وردت في: خطط المقريزي ٢/ ١٩، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ٢/ ٦١، ٣/ ١٤٩: بلا عزو. وله في: عيون التواريخ ٢٢/ ١٨٧.

– القطعة (٥٩) في: شفاء الغليل ٢١٢: بلا عزو.

– القطعة (٦٣) وردتْ في: عيون التواريخ ٢١/ ٣٦٠، وفيه (عاتبتُ) وهو تصحيف. وفي: حلبة الكميت ٢٤٧ وفيه: «ولقد رأيتُ الوردَ».

– القطعة (٧٢) في: ريحانة الألبّا ٢/ ٦٥.

– القطعة (٧٥) في: ريحانة الألبّا ١/ ١٦٠.

– القطعة (٧٦) في: الكشف والتنبيه ٣٩٦ ووردتْ قافيةُ الثاني: «الباقلي».

– القطعة (٨٣) في: ريحانة الألبّا ٢/ ١٢٧.

– القطعة (٩٧) في: الكشف والتنبيه ٣٢٠ مع بيت آخر، أوردناه في: (المستدرك)، برقم ٢٤.

– القطعة (١٠٤) في: تشنيف السمع بانسكاب الدمع ٣٩– ٤٠.

– القطعة (١١٠) في: تشنيف السمع ١٩.

– القطعة (١١٣) في: الكشف والتّنبيه ٣١١، وفيه: غدا اللّينوفرُ.

– القطعة (١١٥) في: الكشف والتّنبيه ٣١٨.

– القطعة (١١٦) في: شفاء الغليل ٦٦ ورواية صدر الأول: «وعيت وكلّ أكلي...».

التضمين والاقتباس

عدم نسبة الأبيات المضمّنة إلى أصحابها.

ولع مُجيرُ الدين ابن تميم بتضمينهِ أبيات عدد من الشعراء أو أشطراً منها، حتى غدا نصف شعره من شعر غيره، كما أكد هو ذلك[١٣].

وفي حواشي التحقيق استطاع د. ناظم أنْ يعثر على (١٤) تضميناً، معظمها أشطار، نصفها للمتنبي[١٤]، وبعضها لشعراء آخرين مشهورين[١٥].

وقد وجدتُ أَنَّ الشاعر كان يحرص على تضمين أبيات المتنبي في شعره، ولكن لم يُشَرْ إلى ذلك، أو تُخَرَّج على ديوانه، على الرُّغمّ من أنَّ ديوانَهُ

كان بين مصادر التحقيق! كما عثرتُ على أبيات أخرى لم تُنْسَبْ إلى أصحابها، على الرغم من شهرتها.

١– وأُثبت أولاً أبيات المتنبي التي ضَمَّنَها الشاعر، ولم تُنْسَب إليه أو تخرَّج على ديوانه:

– ص ١٥– البيت ١٤:

لرأيتَ أعجبَ ما ترى في بركةٍ سال النُّضار بها وقامَ الماءُ

والعجز للمتنبي في شرح ديوانه ١/ ١٤٧، وهو العجز نفسه الذي كرّرهُ الشاعرُ في الملحق ص ٩٥– البيت ٢، وصدره: (وكذا الكريم إذا أقام ببلدةٍ).

– ص ١٨– البيت ٤٩:

وإنْ قطّبتْ شمسُ المدام فَحَقُّها لأنك كنتَ الشّرقَ للشمس والغَرْبا

وهو للمتنبي، وصدره: فديناك من رَبْعٍ وإنْ زدتنا كربا. شرح ديوانه ١/ ١٨٢.

– ص ٢١– البيت ٧٤:

رأيتُك مَخْصياً فملتُ إلى الذي له فضلةٌ من جسمهِ مِنْ إهابهِ

والعجز هو صدر بيت للمتنبيّ، في شرح ديوانه ١/ ٣٠٣، وفيه: «في إهابه»، وعجزه: (تجيء على صدرٍ رحيبٍ وتذهبُ).

– ص ٢٩، البيت ١٤٢:

وأُقسم لو داومتَ ما عشتَ لُبْسَهُ لَهُنِّئتِ الدنيا بأَنَّكَ خالدُ

والعجز للمتنبي، وصدره: (نهبتَ مِنَ الأعمار ما لو حويتَهُ). شرح ديوان المتنبي ١/ ٣٩٩.

– ص ٣٣– البيت ١٧٥:

حتى إذا خافتْ هجومَ صباحها نشرتْ ثلاثَ ذوائبٍ من شعرها

والعجز هو صدر بيت للمتنبي، وعجزه: (فأرتني القمرين في وقتٍ معا). والشطر المضمَّن هذا كرّرهُ الشاعر ص ٥٤ في عجز البيت ٣٤١، وإنْ لم يُرَقَّمْ. وص ٥٦– البيت ٣٦٠.

– ص ١١٥– البيت ١٨٦:

فقلتُ: سَدُّ طريقِ الشَّعر يعجزُهُ ومَنْ يسدُّ طريقَ العارضِ الهَطِلِ(II)

والعجز للمتنبي، وصدره: (وما ثناك كلامُ الناس عن كرمٍ). شرح ديوانه ٣/ ٢١١.

(II)[وضع محققا الديوان عجز البيت ضمن قوسين، ويبدو أنهما يريدان الإشارة إلى ذلك فسقطت الحاشية سهواً/ المجلة].

– ص ٧٣– البيت ٤٩٨:

وقد تعجّبتُ إني بعد فرقتكم أحيا، وَأَيْسَرُ ما قاسيتُ ما قتلا

والعجز صدر بيت للمتنبي، وعجزه: (والبين جار على ضَعْفي وما عدلا). شرح ديوانه ٣/ ٢٨٢.

– ص ٧٥– البيت ٥٢٠:

فلو حجينا بها في السّلم ما وجدتْ لها المنايا إلى أرواحنا سُبُلا

والعجز للمتنبي وصدره: (لولا مفارقة الأحباب ما وجدتْ) شرح ديوانه ٣/ ٢٨٢.

– ص ٨١– البيت ٥٧٣:

فلو زُرتَهُم لم تعرفِ الراحَ منهم ثيابُهُمُ مِنْ مثلها والعمائمُ

والعجز للمتنبي، وصدره: (إذا برقوا لم تُعرف البيض منهمُ)، شرح ديوان المتنبي ٤/ ٩٩.

– ص ١١٢– البيت ١٥٦:

تراهُ إذا حللتَ به لوردٍ كأَنَّ عليه من حدقٍ نطاقا

والعجز للمتنبي، وصدره: (وخصرٍ تثبتُ الأبصارُ فيه). شرح ديوان المتنبي ٢/ ٤١.

– ص ١٢٢– البيت ٢٤٩

أثاروا عيسَهُمْ فجرتْ دموعي كأَنَّ العيس كانتْ فوقَ جَفْني

والعجز هو صدر بيت للمتنبي، وعجزه: (مُناخاةٍ فلما ثُرْنَ سالا). شرح ديوانه ٣/ ٣٣٨.

٢– أما الأبيات المضمنة للشعراء الآخرين، فهي:

– ص ٣٤، البيت ١٨٣:

ترفّقْ فما هذي دموعي التي ترى ولكنّها نفسٌ تذوبُ فَتَقْطرُ

أقول: عجز البيت مضمّن، وصدره: (وليس الذي يجري من العين دمعها)، وهو لمجنون ليلى في ديوانه المجموع ١٣٤، ويُنسِبَ إلى: عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثيّ في: شعره ٦٢، وإلى: أبي حيّة النُّميري في: شعره (المورد، ١: ١٩٧٥، ص ١٤٧– المنسوب)، ونُسب كذلك إلى: سوار بن عبد الله القاضي في: شعره، ضمن كتاب: مع الفقهاء الشعراء وأخبارهم ص ٢٢٤– ٢٢٥، الزقازيق، ١٩٩٣م. [وينسب إلى بشار وهو في ديوانه ص ٥٢٤ / المجلة].

– ص ١١٣– البيت ١٦٣:

أدخلتَهُ وأولئك الأقوام قد شدّوا المآزر فوقَ كثبانِ النَّقَا

والعجز هو مطلع قصيدة للشواء الحلبي (ت ٦٣٥هـ(، وعجزه: (خفراً فحلّوا عقد نسكي والتقى). عقود الجمان ١٠/ ١٣٠– مخطوط .

– ص ٢٤– البيت ٩٨:

رأى خَطَّهُ ذا عِلَّةٍ فأعادَهُ ومَنْ يشتري ذا علَّةٍ بصحيحِ

والعجز للحسن بن مطير الأسدي في شعره ٤٣، وصدره: (أبيع ويأبى الناس لا يشترونها). وينسب إلى مجنون ليلى، في ديوانه ٩٥.

– ص ٤٦ – البيت ٢٧٧:

وما أنا إلاّ راجلٌ فوقَ ظهرِهِ ولكنَّني فيما تَرَى العينُ فارسُ[III]

والعجز لأبي صعترة البَوْلانيّ، من شعراء الحماسة، وصدره: (بأطيبَ مِنْ

(III)[انظر تعليق المجلة السابق رقم (II)/ المجلة].

فيها وما ذُقْتُ طعمَهُ). الحماسة (عسيلان) ٢/ ٣٨، شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري ٢/ ٨٥٨.

– ص ٧٣ – البيت ٥٠١:

وهو الذي ترك النَّسيمَ وقد جرى معهُ يجرُّ مِنَ الحياءِ ذيولا

والعجز للأَرّجاني، والبيت كاملاً في ديوانه ٣/ ١٠٠٠:

ورأى لحبك أنني قد خانني فمضى يَجُرُّ من الحياءِ ذيولا

– ص ١٠٣ – البيت ٨٠، [الملحق] :

وها أنا قد فارقتُها غيْرَ نادمٍ وكم مثلها فارقتُها وهي تَصْفِرُ

والعجز لتأبّط شراً. وصدرُهُ. (فأبتُ إلى فَهْمٍ وما كدتُ آئباً)(IV). يُنْظر: ديوانه ٨٩.

– ص ١٠٤ – البيت ٨٢:

نَبِّهْ عليها أبا بكر فَقَدْ قُضِيَتْ وما عليك إذا لم يَنْتَبِهْ عُمَرُ

والعجزُ متأثر بقول بشار بن برد، في ديوانه ٤/ ١٦٠:

إذا أيقظتْكَ حروبُ العِدَى فَنَبِّهْ لها عُمراً ثُمَّ نَمْ

ص ١١٦– البيت ١٩١:

مُؤَخَّرُها والعنقُ قد أَوْقعا قلبَ الأعادي في العريضِ الطّويلْ

والبيت من قول ابن سناء الملك (٦٠٨هـ(، في ديوانه ٢/ ٨٤٣:

تلاعُبُ الشَّعرِ على ردفهِ أَوْقَعَ قلبي في العريضِ الطويلْ

– ص ١١٧– البيت ٢٠٠:

سكتْنا وقالتْ للقلوب فَأَطْرَبَتْ ونحنُ سكوتٌ والهَوَى يتكلّمُ

(IV)[رواية الديوان: ولم أك آيباً/ المجلة].

والعَجز لأبي الشّيص الخزاعي، وصدرُهُ: (حواجبُنا تقضي الحوائج بيننا). وقد كرّره الشاعرُ أيضاً في ص ١١٨- البيت ٢٠٩.

- ص ٢٩- البيت ١١٤:

وقد نَضَحَتْ خدّاه من ماءِ وردها (وكلُّ إناء بالذي فيه يَنْضَحُ)

وخرَّج العجز على مجمع الأمثال ٢/ ٧٣. والصحيح أنه عجز بيتٍ للحَيْص بيص، وصدره: (فحسبكم هذا التفاوت بيننا)، ديوانه ٣/ ٤٠٤.

- ص ٥٥- البيت ٣٤٦، ورد عجزه في: نفح الطيب ٣/ ١٦٢، لشاعر لمْ يُسَمَّ.

الاستفادة من الأمثال والقرآن الكريم:

وفي الديوان استفاد الشاعرُ من الأمثال فَضَمَّنها شعره، ومن المؤسف أننا لم نَرَ إشارةً إلى هذه الأمثال. وهي:

- ص ٦٤ – البيت ٤٢٣:

لا تعجلوا في أخذ روحي واصبروا فإليكُم هذا الحديثُ يساقُ

أقول: والعجز مثل، وأصله: (إليك يُساق الحديث). وهو في: مجمع الأمثال ١/ ٧٩، فرائد الخرائد ٤٨، فصل المقال ٥٠، المستقصى ١/ ٣٥٧.

- ص ٧٨ – البيت ٥٤٤:

أنْبَهْتَني حتى هجوتُك والقطا لو كان يُتركُ أنْ ينامَ لناما

وهو مثل، وأصله: (لو ترك القطا لنام). وهو في: المستقصى ٢/ ٢٩٦، فَصْل المقال ٣٨٤.

- ص ٩٢ – البيت ٦٦٨:

وما بعثتُ به تمراً إلى هجرٍ لكنْ بعثتُ إلى الفردوسِ رَيْحانا

وعرَّف د. ناظم بـ (هجر)، ولم يلتفتْ إلى أَنَّ صَدْر البيت يُشير إلى

المثل: (كَمُسْتَبْضِعِ التَّمْرِ إلى هَجَر). وهو في: المستقصى ٢/ ٢٣٣.

ولابدَّ من الإشارة إلى اقْتباس الشاعر من القرآن الكريم في مواضع أخرى:

– ص ٥١– البيت ٣١٤:

قضى لي اللهُ بها مرةً يا ليتها كانتْ هي القاضيهْ

والعجز اقتباسٌ من قوله تعالى: ﴿يا ليتها كانتِ القاضية﴾ – الحاقة ٢٧

ص ١٢١– البيت ٢٤٣:

قطعنا الشريعةَ في حربهمْ وَخُضْنا إليهم مع الخائضينا

والعجز – أيضاً – اقتباس من قوله تعالى: ﴿وكنّا نخوضُ مع الخائضين﴾ المدثر ٤٥.

الشعر المنسوب:

في الديوان أبيات متنازعة مع عدد من الشعراء، لكننا لم نر اهتماماً بهذا الأمر العلمي المهم، والمرة الوحيدة كانت إشارة يتيمة إلى أنّ القطعة (١٨٤)، الواردة في ص ٦١، وهما بيتان فائيان نسبا إلى يوسف بن لؤلؤ الذهبي، في: فوات الوفيات، وكان يفضَّل الرجوع إلى مجموع شعره، الذي جمعه د. حسين علي محفوظ في مجلة كلية الآداب – بغداد، العدد .، ١٩٦٨م ثم إن البيتين نفسهما نسبا إلى محيي الدين بن قرناص في خزانة الأدب.

وأُدرج هنا الأبيات المنسوبة إلى بعضِ الشّعراء ممّا فات المحققَيْن. وابتدئ – هنا – بما ورد في (الملحق):

– ص ٩٦– القطعة ٥ بيتان بائيان.

أقول: هما لمحيي الدين بن قرناص (ت ٦٧١هـ(في: الكشف والتنبيه ٤١٦.

– ص ١١٦– ١١٧ – القطعة ٨٢ بيتان ميميان في الريحان

ومجلس راق من واشٍ يكدرهُ ومِنْ رقيبٍ له باللوم إيلامُ
ما فيه ساعٍ سوى الساقي، وليس بهِ بين الندامى سوى الريحان نمامُ

ورجع د. ناظم في تثبيتهِ لمجير الدين بن تميم إلى: مطالع البدور ١/ ١٠٧. وهو مصدر متأخر.

أقول: الصواب أنهما لسيف الدين المشِدّ (ت ٦٥٦هـ(: وهو ثابت النسبة له في ديوانه الذي حَقَّقْتُهُ على مخطوطةِ الإسكوريال (ثان: ٢٤٢)، الورقة ١٣٠ ب ومخطوطة غوطا الألمانية (رقم ٥٤٥/ د. س ٢٩٠)، الورقة ٣٩/ أ، في الديوان – القطعة ١٩٧ – ص ٢٤٦ (مخطوط).

ووردا أيضاً في: الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٦٢، تمام المتون ٢٣٦، فضّ الختام ١٣٩، خزانة الأدب ٢/ ١٠٦، إنسان العيون ٣٣٨، أنوار الربيع ٥/ ٣٩، تحفة الناصرية (غير مُرَقَّم).

ورواية: عجز الثاني في الديوان: على الندامى...

– ص ١١٧– القطعة ٨٥. هي ثلاثة أبيات،

ولم أنسَ إذ زار الحبيبُ بروضةٍ وقد غفلتْ عنّا وشاةٌ ولوّامُ
أقول وطرف النرجس الغض شاخص إلينا وللنمَّام حولي إلمام
أيا ربّ حتى في الحدائق أعينٌ علينا، وحتى في الرياحين نمامُ

أقول: الأبيات لصفي الدين الحلّيّ في ديوانه ٣٦٤ (النجف، ١٩٥٦م)، مع بيتٍ رابع يكون ثانياً.

وأكاد أجزم أنّ الصفيّ تأثَّرَ ببيتي سيف الدين المشد. ويُنْظر: تمام المتون ٢٣٦.

– ص ١١٧ – القطعة (٨٣) بيتان ميميان، قالهما في الشبابة، من الطويل.

أقول: هما لمحيي الدين بن عبد الظاهر، وفي: فوات الوفيات ٢/ ١٨٥، عيون التواريخ ٢٢/ ١٤٢، خزانة الأدب ٧٢، ٣٨٨.

– ص ١١٨– القطعة ٩٠، بيتان ميميان من الكامل بالاعتماد على خزانة الأدب ١/ ٣٨٧.

أقول نُسبا في المصدر نفسه ١/ ٢٨٨ إلى ابن حجة الحموي نفسه، في باب (الاكتفاء) وفي الشفاء في بديع الاكتفاء ٦٤.

– ص ١٢٢– القطعة (١٠٣)، وهما بيتان من الخفيف. أقول: نُسبا إلى محيي الدين بن قرناص في أنوار الربيع ١/ ٢٦٨.

هذا بخصوص نسبة الشعر المتدافع في (الملحق) الذي صنعهُ د. ناظم رشيد، وكنّا نأمل أنْ يتمّ فَرْزَ هذه القطع تحت باب هو (المنسوب) يثبت بعد الملحق.

وعلاوة على ذلك توجد قطع منسوبة وردتْ في أصل مخطوطة منتخب الصفدي، نذكرها للأمانة العلمية.

– ص ٣٠ — القطعة ٦٩، بيتان داليّان في: الثقيل.

أقول الثاني لناصر الدين بن النقيب (ت ٦٧٨هـ(في كتاب: إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء للسّيوطيّ (ت ٩١١هـ(، مجلة «عالم الكتب»، مج ٤، العدد الأول، ١٩٨٣م، ص ٩٣.

– ص ٨٢، القطعة ٢٧٠ بيتان ميميان في الناعورة: من الطويل.

أَقول: نُسِبا إلى ابن نباتة: في خِزانة الأدب ٢٥٩. ولم أجدهما في ديوان ابن نباتة المصري:

ووردا في حلبة الكميت ٢٨٨، مطالع البدور ١/ ٤٢، نزهة الأنام ٦٦، ورواية صدر الأول في الحلبة: وقد حال لونها. وفي النزهة: وقد ضاع

لونها. وهما في: ديوان ابن نُباتة السَّعدي (المنسوب) ٢/ ٦٢٦.

ص ٩١– القطعة (٣٠٦)، بيتان على قافية الهاء، في الدولاب.

أقول: وردا في خزانة الأدب ٢٥٩ منسوبَيْن إلى شاعر آخر لم يُسَمَّ(٧).

ص ٣٦– القطعة (٨٩)، بيتان رائيان في روضة.

أقول: نُسِبَت إلى ابن منير الطرابلسي (ت ٥٤٨هـ(في: ديوانه ١٣٣، عن مخطوطة التذكرة للنواجي (ت ٨٥٩هـ(، الورقة ٧٢ب.

عدم إثبات القراءة الصحيحة للأبيات

– ص ١٣– القطعة ٢. وتضم بيتاً واحداً فقط. وهذا أمر غريب، والصحيح أنها تقع في بيتين سقط أولهما من الأستاذ هلال ناجي، وأوردناه في (المستدرك). أما الثاني ورقمه ٤، فقد ورد:

كلفنَ تكرار الحروف فجمجمتْ فيها ولم تَفْصَحْ بغير الراءِ

وصواب الصدر: (كلفتْ بتكرارِ الحروف...)، كما هو واضح في صورة الورقة الأولى من منتخب الصفدي!

– ص ١٤– البيت ١٣:

لو كنتَ إذْ أبصرتَها فوّارةً كالشَّمس في أمواهِها لألاءُ

أقول: صواب العجز: للشمس في أمواهها لألاء. ويعضد ذلك صورة: الورقة الأولى من منتخب الصفدي، ومصادر التخريج المثبتة أسفل القطعة.

– ص ١٤– البيت ٦:

(٧) [بما أن الشاعر لم يسمَّ فلا تنازع في نسبة الأبيات، ويحسن ذكر هذه الفقرة تحت عنوان «تخريجات جديدة» الآنف الذكر / المجلة].

إنَّ الغزالةَ مع جلالِ قدرها أضحتْ ومِنْ عُشّاقها الحِرباءُ

وصواب الصدر: (إنَّ الغزالة مَعْ جلالةِ قدرها)، كما هو واضح في مخطوطة منتخب الصفدي.

– ص ٦٠ البيت ٣٨٩:

ما زاره أيامَ نرجسهِ فَتًى إلاّ وأجلسَهُ في أحداقهِ

ورواية العجز مختلة، والصواب: (... على أحداقهِ)، وعلى ما ورد في مصادر التخريج نفسها.

الملحق:

وفي ١٠٤– البيت ٨٤ أثبت د. ناظم رشيد البيت:

دم جرى من فواختَ ذُبّحَتْ من فوقها ريشهنَّ منثورُ

وصواب الصّدر: (... من فواختٍ ذبحتْ) ويؤكد ذلك كتاب معاهد التنصيص ٢/ ١٠٢، وهو من مصادر تخريج القطعة.

– ص ١٢١– القطعة ٩٩، رجع د. ناظم إلى مصدر وحيد في إثباتها هو: عيون التواريخ ٢١/ ٣٥٩، وورد البيتان الأخيران عنده:

يا دهرُ حسبكَ ما أبقيتَ لي رمقاً مِنْ بعد بُعْدٍ ولا روحاً ولا بدنا

أخذتَ عنه أيام الوصالِ نوىً فلا تزدنا على هذا فتظلمنا

وقد رجعتُ إلى: (عيون التواريخ) نفسه، فوجدتُ تغييراً في النقل منه، إذْ ورد عجز البيت الأول: (بعد البعاد ولا روحاً ولا بدنا).

أما صدر الثاني فهو مختل وفيه ينكسر الوزن، وسببه عدم دقة النقل. وصوابه: (أخذتَ عدَّةَ أيامِ الوصالِ نوىً).

إنَّ إثبات القراءة الصحيحة للمخطوطة والنّقل الدّقيق من المصادر أَمرٌ

ضروريٌّ وواجبٌ.

أوهام وفوات الأعلام والمواضع والمفردات

خدم د. ناظم رشيد الدّيوان بتعريفه ما ورد فيه مِنْ أعلام ومواضع ومفردات.

أوّلاً: عرَّف ثمانية (أعلام) فقط، أوردهم في حواشي الديوان، ويلاحظ:

١- ترجم لنور الدين الإسعردي (ت ٦٥٦هـ(ص ١٧، وكان من مصادره في الترجمة فوات الوفيات ٣/ ٢٦٧، ثم أعاد الترجمة ثانية [ص ٧٨] وذكر أنه في: فوات الوفيات ٤/ ٢٧١ وهكذا نرى تكراراً لا داعي له لشاعر واحد، واختلافاً في الجزء والصحيفة لكتاب واحد أيضاً والصواب ١/ ٢٧١- ٢٧٦ وأضيفُ إلى مصادر ترجمتِهِ: عيون التواريخ ٢٠/ ١٨٩- ١٩٣، السّلوك للمقريزي ١- ق٢/ ٤١٤، شذرات الذهب ٥/ ٢٨٤.

٢- عرّف في الصحيفة ٣١ ابنَ سعيد المغربيّ، وذكر أَنَّ وفاته كانتْ سنة ٦٧٣هـ، بالاعتماد على كتاب فوات الوفيات ٣/ ١٠٣.

أقول: وما ورد في (الفوات) غير صحيح، لأَنَّهُ مشرقيّ، والصواب أنَّ ابنَ سعيد توفيّ سنة ٦٨٥هـ، وأكد ذلك مؤرخو المغرب، وَهُمْ أَوْثَقُ في تأريخهم لأعلام المغرب، كالمقَّرِيّ (ت ١٠٤١هـ(في: نفح الطيب ٣/ ٤٠، وأيّدهم مِنَ المشارقة السيوطي (ت ٩١١هـ(، ويؤكد ذلك أنَّ ابن سعيد نفسه ذكر في كتابه: القدح المعلّى ١١٧ حادثةً وَقَعَتْ سنة ٦٨١هـ. مما ينفي أنْ يكون قد توفي سنة ٦٧٣هـ تماماً[١٦].

ثانياً: عَرَّفَ د. ناظم خمسة (مواضع) فقط وردتْ في الديوان، ومعظمها مشهورة، مثل: جبل أُحُدُ (جبل بالمدينة ٣٠) وصنعاء (عاصمة اليمن ٩٥)...

وفي الوقت نفسه أهمل مواضع أخرى أوردها الشاعر على سبيل التورية، مثل: (ثَوْرا) ص ١٠٦– البيت ١٠٠ و(الغَوْر)[١٧] ص ١٢١– البيت ٢٤٢[VI].

٢– عرّف (نهر يزيد) ص ٢٧ بالرجوع إلى معجم البلدان ٥/ ٤٣٦، ثم أعاد التعريف نفسه ص ٤٩ (الهامش ٤)، ورجع إلى المصدر نفسه ٥/ ٣٢٤. والغريب في هذا التكرار أنه كرّر في الصحيفة الأخيرة نفسها – في الهامش (٣) التعريف نفسه، أما ما وَرَدَ من صفحات الجزء الخامس من (معجم البلدان) فهو مخطوءٌ في الموضعين، والصواب ٥/ ٤٣٦.

٣– عرّف (النيربين) [ص٤١] وهي: قرية بدمشق في البساتين.

والصواب: ... في وسط البساتين.

ثالثاً: عرّف عشر (مفردات) وَرَدَتْ في أبيات الدِّيوان، ويُلاحظ أَنَّ ثمانٍ منها لم يُوْرِدْ معها مصدراً لها، وهي: (الأطلس ٣٨، الحياصة ٤٠، البحرة ٥٣، الدسكرة ٨١، الشبابة ١٠٣، الأذريون ١٠٩، البيذق والفرزان ١٢٣).

ولاحظنا أنه ذكر في تفسيره (الفرزان) ١٢٣: «الملكة في لعب الشطرنج». أقول: وهذا خطأ. والصواب أَنَّ (الفرزان) هو: الوزير، وإلاّ كيف يتفرزن الجندي ويغدو (ملكة)؟. بل إنّ مصطلح (الملكة) مصطلح أوربي، لا عهد للعربية والشرق

(VI) [البيتان هما:

لي بستان كبير نجده أصبح غورا

دارت الأيام حتى كبشه [قد] صار ثورا

ثورا، غورا: تطابق في البيتين كلمتي (نجده، كبشه) وليس ثمة قرينة تدل على أنهما موضعان/ المجلة].

به. ومكانه: الملك [١٨].

وفي الديوان كلماتٌ أخرى بحاجةٍ إلى تَفْسير، لم تُسَلَّط عليها الأضواء أو تُفَسَّر!

العروض والأوزان

إنَّ ظهور الديوان سالماً من العيوب في الأوزان أَمرٌ اهْتَمَّ به المحققان الكريمان، على أنني وَدِدْتُ أن أقِفَ قليلاً أمام بعض ما شابَهُ من هناتٍ في الأوزان والعروض:

– ص ٨٨، البيت ٦٣٢:

وبحقِّكَ ناحَتْ عليك لأنها فَقَدَتْ قوامك في غصون البانِ

وواضح أنّ البيت من الكامل، لكنَّ صدره مختل الوزن.

– ص ٨٨، البيت ٦٣٤:

خصّوا جفونيَ السهادَ فلم أزلْ أرعى النجوم وليلُها يرعاني

والصدر مكسور الوزن، وصوابه: خَصُّوا جفوني بالسهادِ...

– ص ١٠٨، البيت ١٢٠ من الوافر: ص ١١٠، البيت ١٤٤ من البسيط، وردا هكذا:

– وسنشكر يوم لهوٍ قد تقضّى بساقيةٍ تقابلنا بنهرِ

– وكأنه، ودروع الماء تشملهُ تحت الشعاع، أكاليلُ الطواويسِ

وصوابهما: حذف الواو من أولهما، ليستقيم وزنا البيتين.

– ثمة تدوير في الأبيات – على الشطرين – لم يكنْ دقيقاً، في موضعين:

– ص ٨٤، البيت ٥٩٨:

بدأتْ بإخراج الضّمـ ير وبعده عقد اللسانِ

والصواب: أن تكون الياء من (الضمير) في الصدر.

– ص ٧٩، البيت ٥٥٠:

فخاف على أزهاره أنْ تصيبَها العيونُ فَأَضْحَى بالضّبابِ مُلَثَّما

والصواب: أنْ تكون (أل) من (العيون) في صدر البيت.

ملحق الديوان:

صنع د. ناظم رشيد ملحقاً (ذيلاً) للديوان ضَمَّ (١٢١) قطعة في ٢٨٤ بيتاً، بترقيمهِ، من مختلف المصادر التي رجع إليها، مما لم يردْ في أصل منتخب الصفدي. ويلاحظ على هذا الملحق:

أولاً: التكرار:

من المؤسف تكرار مقطوعتين فيه كانتا قد وردتا سابقاً في مَتْن الديوان، ولا أدري كيف لم يُنْتَبَه إلى ذلك؟

الأولى: القطعة (٧٨) [ص١١٥]، وهي ثلاثة أبيات لامية من (السريع) نظمها الشاعرُ في وكيل بدار القاضي بدمشق يدعى بالعِزّ، وخرَّجها على: خزانة الأدب ومعاهد التنصيص وأنوار الربيع. وقد فاتَهُ أنَّ هذه القطعة جاءتْ في أصل الديوان ص ٧٢، القطعة ٢٣١. فكان عليه أنْ يحذفَ القطعةَ المكرّرة –الثانية – وينقل تخريجها. إلى المرّة الأولى، مع ملاحظة أنه ورد تخريج الآية المقتبسة – في قطعة الأصل – إنها: آل عمران ١٧٨، والصواب هو ما ورد في المرة الثانية: ١٧٣. كما أنه أهمل رواية: (أنوار الربيع) للبيتين الأول والثالث منها.

الثانية: القطعة (٩١) ص ١١٩، وهما بيتان من (الكامل) خرَّجهما على : نزهة الأنام.

وإثباتها في الملحق خطأ، لأنها سبق أنْ وردتْ في أصل الدّيوان ص ٨١؛ القطعة (٢٦٥)، وقد خرَّجها هناك على المصدر نفسه، ولم ينتبه إلى تكرارها.

وعلى هذا يكونُ العدد الحقيقي لأبيات الملحق (٢٧٩) بيتاً، في (١١٩) قطعة.

ثانياً: الرجوع إلى مصادر حديثة:

لا يجوز في تحقيق النصوص القديمة تخريجها على مراجع حديثة، والصحيح الرجوع إلى الأصل المخطوط – أو المطبوع – المنقول عنه، لِما في ذلك من محاذير، لعل أبرزها الخطأ في النقل، أو الإسقاط المتعمّد لبعضها ..، ولكننا نجد في الملحق المجموع ما يخالف هذا الشرط.

فقد وردتْ القطعة (٣) – ص ٩٦، وهي ستة أبيات همزية، مخرَّجة على مرجع حديث وهو كتاب (عصر سلاطين المماليك) للدكتور محمود رزق سليم.

وقد وجدتُ البيتين الرابع والسادس منها في: الكشف والتنبيه ٤١٧ بلا عزو، وعجز السادس: ومعهما بيت آخر، هو:

ورقى خطيبُ العندليب منابر الـ أغصان لابسَ خلعةَ الخلفاءِ

ولم أثبتْهُ في (المستدرك) – هنا – لأنَّ الصفدي لم ينصّ على أنه لمجير الدين.

وفي ص ١١٣ (القطعة ٧٠) وهما بيتان قافيان، رجع في تخريجها إلى كتاب: الأدب في العصر المملوكي للدكتور محمد زغلول سلام، وهذا لا يجوز علمياً.

الأخطاء المطبعية:

على الرُّغم من الجهد الذي بُذِلَ في تنقيح الديوان من أخطاء الطباعة، فثمة أخطاء أخرى مازالت عالقة به كالشوائب، أثّرتْ سلباً في معنى أبياتِه وكسرتْ أوزانه. وهي على نوعين:

الأول: أخطاءٌ مطبعية واضحة في تغيير بِنْيَة الكلمة، وهذا جدول بها:

الصحيفة	رقم البيت	الخطأ	الصواب	الصحيفة	رقم البيت	الخطأ	الصواب
٨	٣	أهدى	أهوى				
٢٠	٥٩	فقط	فقد	١٠٨	رقم البيت	١٩٠	١١٩
٣٠	الهامش	أَحَد	أُحُد	١١٥	١٨٤	حطّ	خطّ
٣١	١٥٧	الدّلاب	الدّولاب	١٤٦	٣٤	نادنا	نارنا
٤١	٢٣٢	لإقدامي	لأقدامي	١٥١	(المحتوى)	امراجع	المراجع
٤١	(الهامش)	عيوان	عيون	١٣١	مصدر ٣٤	خليل من	خليل بن
١٠٣/٤٥	٧٨/٢٦٣	صغار	صفار	٤٥	٢٧٠	صباحاً	صاحباً
٤٦	(الهامش)	لا تحتقرن	لا تحقرنْ	١٢٢	٢٤٥	غضون	غصون
٨٠	٥٦٥	كنتُ	كنتَ	٤٤	(الهامش)	أيام الصبا	أيام عهد الصبا
١٠٥	٩١	الجمالَ	الجمالُ				
١٠٦	١٠٦	تحلّ	تملّ				
١٠٠	(التخريج)	٢١/ ٣٢١	٢١/ ٣٦١				

الثاني: أخطاءٌ مطبعيةٌ أَخَلَّت بوزن الأبيات، عن طريق تحريفها، أَو سقوطها، رجعنا في تصحيحها إلى مظان ورودها:

– ص ٢١– البيت ٧٦

لقد قام عذرُ النار عندي **إذا** خَبَتْ لأنَّ بها من مسِّ بردِ الشتا ما بي

وص ٦٢– البيت ٤٠٣

وما احْمَرَّ خدّ الورد إلاّ **إذا** غدا الـ ـمنثور يلطمُ خَدَّهُ بكفوفهِ

وصواب الموضعين: (إذْ) بدلاً من (إذا)[VII].

– ص ٤٩ – البيت ٢٩٦:

وأصبحَ يخطرُ بيننا وذاك النِّثارُ على رأسِهِ

(VII) [و(ما احمرّ) بحذف الواو/ المجلة].

وسقطتْ (ما) من الصدر. وصحيحُهُ: وأصبح يخطر ما بيننا

ص ١٠٦- البيت ١٠٠:

دارت الأيام حتى كبشُهُ صار ثورا

إذْ سقطت (قد) من العجز، فيكون الصواب: كبشهُ قد صار ثورا

- ص ١٠٨ – البيت ١٢١:

وطِرْفٌ يفوقُ البرق لوناً وسرعةً فكالصخر إذْ يهوي وكالماء يجري

فالواضح سقوط (إذ) من العجز، فيكون الصواب:... وكالماء إذْ يجري.

* * *

المصادر والفهارس

وضِعَت في نهاية الديوان قائمة المصادر والمراجع، التي رجع إليها د. ناظم في تحقيق الديوان وتخريج نصوصه، منها كتابان مخطوطان – وبلغت ٣٧ كتاباً، بترقيمهِ.

ويلاحظ ما يأتي:

١– السهو عن إثبات خمسة كتب وردت في هوامش العمل، وهي:

(الإفادة والاعتبار)–ورد ص ٤٦، (ديوان ابن المعتز) – ورد ص ١٠٧، (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) – ورد ص ٤٨، (المعجم الوسيط) ورد ص ٨٣، (نزهة الجليس) ورد ص ٧٩.

٢– الاعتماد على طبعات غير علمية، من ذلك: أنه اعتمد على طبعة القاهرة ١٣٠٤هـ من (خزانة الأدب) لابن حجة الحمويّ، وأهمل نشرة عصام شعيتو الصادرة في بيروت ١٩٨٧م، بجزأين، ورجع إلى كتاب (نزهة الأنام) للبدري بطبعة القاهرة ١٣٤١هـ، وترك النشرة التي صدرت في بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٦م.

٣– جاء اسم كتاب (نفحة الريحانة) على أنه رجع إليه ونهل منه، والصحيح أنه لم يرجع إليه على الإطلاق، وإلاّ لما فاته بعض قطع الشعر التي وردت فيه، فضلاً عن تخريجات أخرى لشعره، فالصواب أَنَّه رَجَعَ إلى (ريحانة الألبّا) للخفاجي!!

* * *

الفهارس العامة

صنع فهارس الديوان الأستاذ حسن عريبي الخالدي، وتضمّ: فهرس قوافي الديوان، قوافي ملحق الديوان، الأعلام، البلدان والأماكن.

ويلاحظ عليها:

١- كنت أحبّذ عدم الفصل بين قوافي الديوان وملحقه، فهما واحد، وكان بإمكانهِ أنْ يَضَعَ نجماً، أو أيَّة علامة، أمام كل قطعة من قطع (الملحق) لتمييزها عن قِطع (الأصل)، ولو وحّدهما في فهرس واحد لاكتشف القطعتين المكرّرتين في (الملحق).

ثم إنّ الترتيب لم يكن على وَفْق المراعاة بالساكن ثم المفتوح ثم المضموم ثم المكسور، ثم المنتهي بالهاء. بل سار على ترتيب الصفدي، وهو مضطرب.

٢- سقط من فهرس الأعلام – على صغره -: أبو تمام ٩١.

٣- لم يثبت رقم الصحيفة ٤٩ الخاصة بـ (نهر يزيد) في فهرس البلدان والأمكنة، كما لمْ يُذكر: ثورا ١٠٦، الغور ١٢١[VIII].

٤- الديوان يعجُّ بالأوصاف والتشبيهات، مثل النجوم، النهر، الليل، السجادة، الشمعة، الساقية، وأنواع الأشجار والورود... لكننا لم نر فهرساً خاصاً بتلك (الأوصاف)، وهو فهرس مهم جداً، لا غِنى عنه في هذا الديوان.

المستدرك

إنّ عدم وصول مخطوطة ديوان الشاعر إلينا، بل مختارات منه.. يجعل العمل عرضة للنقص، ومن ثَمَّ يكون الاستدراك عليه ضرورياً، ليكون ذيلاً له وصلة وتتمَّة.

(VIII) [انظر تعليق المجلة السالف رقم VI].

لذا، فبعد البحث والتقصّي والتنقير، استطعنا الظفر بـ (٢٦) قطعة للشاعر، مجموعها (٥٠) بيتاً، أخل بها (ديوان مجير الدين ابن تميم)، وردت في مظان مختلفة، لعل أهمها: (حلبة الكميت) للنواجي (ت ٨٥٩هـ)، وهو كتاب مطبوع ومشهور، ضمَّ (١٦) بيتاً، انفرد بها.

وعثرنا على (٦) أبيات في: (الكشف والتنبيه) (١٩) للصفدي، فَضْلاً عن ٤ أبيات وردتْ في: (خزانة الأدب) وأخرى في (نفحة الريحانة) و(أعيان العصر)، و(الطراز الموشى) و(ديوان الصبابة) و(نفحات الأزهار).

والغريب أنّ الديوان لم ترد فيه (٦) أبيات من ثلاث قطع للشاعر، ضمّها كتاب (أنوار الربيع) لابن معصوم المدني، على الرغم من أنّه مُثبت في قائمة المصادر والمراجع!!

وفي أدناه (المستدرك) على الديوان، وقد رَتَّبناه على وفق القوافي، مع ذكر بحور الشعر، والتخريجات العلمية لكل قطعة منه، علاوة على نسبة الأشعار المضمّنة إلى أصحابها، وهو أمر فات محققي وناشري الكتب التي وردت فيها، وكذلك القطع المنسوبة إلى الشعراء الآخرين.

[١]

ومما يستدرك على القطعة (٢) – ص ١٣، البيت الآتي، ويكون ثالثاً: (الكامل)

وُرْقٌ مطوقة كأنَّ هديلَها ( ) تَرَدُّدُهُ خرير الماءِ

التخريج: مخطوطة الصفدي لشعر مجير الدين، الورقة الأولى.

[٢]

مما يُستدرك على القطعة (٢) من الملحق، البيت الآتي ويكون ثالثاً: (الكامل)

انْظرْ إلى الروضِ النّضيرِ كأنّما نُشِرَتْ عليه مُلاءةٌ خضراءُ

التخريج: الكشف والتنبيه ٢٦٦.

[٣]

وقال: (الوافر)

أتَحْسبني أتوبُ عن الحُمَيّا وللمنثور في شُربي نصيبُ
وكيف أتوبُ عَنْهُ وكلُّ كفٍّ له تدعو بأَني لا أتوبُ؟

التخريج: الكشف والتنبيه ٣١٩.

[٤]

وقال: (مجزوء الرمل)

أنا للطائر سجنٌ أَقْتني كلَ مليحِ
قُضُبُ البان ضُلُوعي وحمامُ الأَيكِ روحي

التخريج: حلبة الكميت ٣٦٦.

ونُسبا إلى سيف الدين المشد في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٩٠، مطالع البدور ١/ ٧٣، سلوك السنن ٣٢ب، ديوانه ٤٧٣ – الذيل.

[٥]

وقال مجير الدين بن تميم: (الوافر)

جعلتُ وقد علوتُ على البرايا وَصَار إلى الجميل لك ارتياحُ
أُردّدُ منك طرفي في سماءٍ كواكبها خصائلك الملاحُ

التخريج: الكشف والتنبيه ٨١.

[٦]

قال في شكوى الزمان وذم أهله: (الطويل)

تعبَّدتُ أصنام الزَّمان جهالةً وَضَيَّعْتُ عمري عند مَنْ لا له عندُ
فما فيهم إلاّ يعوقٌ فَقَدْتُهُ ولا يُرْتجى منهم يغوثُ ولا ودُّ

التخريج: أنوار الربيع ٥/ ١٨.

وهما بلا عزو في: جوهر الكنز ١١٣ ورواية الأول فيه: تعبدت أصنام الأنام، ورواية صدر الثاني: فما منهم.

[٧]

مجير الدين بن تميم: (الكامل)

بعثتْ بنرجسةٍ إليّ ووردةٍ ففهمتُ- أفْدِيْها – حَقيقةَ قَصْدِهَا
لما تَعَذَّرَتِ الزيارةُ أرسلتْ تشبيهَ ناظرها إليَّ وَخَدِّ ها

التخريج: حلبة الكميت ٢٣١. والبيتان لجمال الدين ابن مطروح (ت ٦٤٩هـ(في ديوانه بتحقيق د. جودة أمين ١٣٨. وبلا عزو في حدائق الأنوار ١٩٣.

[٨]

الأمير مُجير الدين بن تميم: (البسيط)

لما عذلتُ خليلي في المدام وفي فِعْل الكرام، فما أَصْغَى وما ازْدجرا
علمت حين رآني سمعهُ رجباً أنَّ المحرّمَ يبقى بعدَهُ صفرا

التخريج: حلبة الكميت ٣٨١.

[٩]

مُجير الدين بن تميم في طوّافة: (مجزوء الرجز)

ليّنةُ الأعطاف لا يُنكَرُ فَضْلُ قَدْرِها
حَياتُها في طَيِّها وموتُها في نَشْرِها

التخريج: حلبة الكميت ٢٠٧.

وهما لسيف الدين المشد في: ديوانه ٤٧٦– الذيل.

[١٠]

قال: (البسيط)

انْظرْ إلى قُضُبِ النارنج حاملةً زُمُرّداً وعقيقاً صاغَهُ المطرُ[٢٠]
كأنّ موسى كليمَ اللهِ أقبسها ناراً وَجَرَّ عليها ذيلَهُ الخَضِرُ

التخريج: الطراز الموشّى ١/ ٦٠.

والبيتان بلا عزو في: الكشف والتنبيه ٣٤٣، حَلْبة الكميت ٢٦٤، أنوار الربيع ٥/ ٣٤، نهاية الأرب ١١/ ١١٢– مع بيت ثالث–. وقد وَرَدَ البيت الأول فيها باختلاف شديد. ونسبا لابن المعتز في: شعره ٣/ ٢٨٣ (الملحق).

[١١]

قال: (الطويل)

بودّي أُرى في خدمةِ الصّدرِ دائماً وأنفقُ فيه ما تَبَقَّى من العمرِ
وأصحبهُ حتى الممات مُنَعّماً كفى شَرَفاً أُدعى بهِ صاحب الصَّدرِ

التخريج: أنوار الربيع ٥/ ١٨.

وهما لسيف الدين المشد في: ديوانه ٤٧٥– الذيل.

وبلا عزو في: جوهر الكنز ١١٣.

[١٢]

قال: (الطويل)

١- وقالوا بدا خطُّ العذار بخدّه فأضحى سعيدَ الخدّ، وهو مُعَذَّرُ

٢- فقلتُ: خيال الشعر ما قَدْ رأيتُم فإنْ صحَّ ذاك الخدّ فهو مُزَوَّرُ

التخريج: خزانة الأدب ٢/ ٧٦.

والأول فقط بلا عزو في: جوهر الكنز ١١٢.

[١٣]

قال: (المتقارب)

١- أمولاي أشكو إليك الخمارْ وما فعلتْهُ كؤوسُ العُقارْ

٢- وَجَوْرَ السُقاةِ الذي لم يَزَلْ يُريني الكواكبَ وسطَ النهارْ

التخريج: أعيان العصر وأعوان النصر ٥/ ٦٥.

[١٤]

قال مجير الدين بن تميم: (الطويل)

١- ونيلوفر مازال طرفي مُذْ رأى محاسنَهُ يهواهُ دونَ الأَزَاهرِ

٢- إذا ما أمالتْهُ المياه حَسِبْتَها دروعاً بَدَتْ مِنها أُصُول خناجرِ

التخريج: حلبة الكميت ٢٥٣.

[١٥]

وقال أيضاً: (الكامل)

١- ولقد ذكرتُك والصّوارم لمعُ من حولنا والسَّمهريَّةُ شُرَّعُ

٢- وعلى مكافحة العدوّ ففي الحشا شوق إليك تضيقُ عنه الأضلعُ

٣- ومن الصِّبا وهلمَّ جرًّا شيمتي حفظُ الودادِ فكيف عنهُ أرجعُ؟

التخريج: ديوان الصبابة ٢٦٣.

والقطعة لجمال الدين بن مطروح في ديوانه ١٧٤– ١٧٥.

[١٦]

قال: (المجتث)

١– وكيف أُخفي غراماً أقام بين ضلوعي

٢– والمرسلاتُ جفوني والذاريات دموعي

التخريج: أنوار الربيع ٥/ ١٨.

[١٧]

قال: (المجتث)

١– لئِنْ صُرِفْتَ وحاشا كَ، فالدنانيرُ تُصْرَفْ

٢– وما اعتُقِلْتَ كريمًا إلاّ وأنت مثقَّفْ

التخريج: أنوار الربيع ٥/ ١٨. وهي نسبة مخطوءة.

وهما: لسيف الدين المشدّ، في: ديوانه ٢٢٢، عن مخطوطة الاسكوريال ١٢٢ ب، مخطوطة غوطا الألمانية ٢٦ ب، المخطوطة التيمورية ٣٩. وفي النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢٣٢، الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٦٥، فضّ الختام ١٣٩، خزانة الأدب ٢/ ١٠٧، أنوار الربيع ١/ ٣٩ – ٤٠.

وهما بلا عزو في: تمام المتون ٧٠.

[١٨]

قال في شخص اسمه عثمان يهدّده بالهجو: (الطويل)

توعَّدْتَ يا عثمان بالهجوِ شاعراً سيوليكَ هجواً عارُهُ ليس ينجلي

فَخُذْهُ قصيداً قد أتتْ من محمّدٍ (كجلمود صخرٍ حطّهُ السيلُ من علِ)[٢١]

التخريج: خزانة الأدب ٢/ ٨٧.

[١٩]

وقال: (الطويل)

وعودٍ به عاد السرور، لأنه حَوَى اللَّهو قِدْماً وهو ريّانُ ناعمُ
يغرّدُ في تضريبهِ، فكأنه يعيدُ لنا ما لقّنتْهُ الحمائمُ

التخريج: حلبة الكميت ٢٠١.

[٢٠]

قال ابن تميم: (الكامل)

ولقد ذكرتُك حين أنكرتِ الظُّبا أغمادها وتعارفَتْ في الهامِ
والنَّبْلُ من خَلَل الغبار كأنَهُ مُنْهَلٌ قَطْرٍ من فروجِ غمامِ
فاسْتصغرتْ عيناي أفواجَ العِدا والموتُ خلفي تارةً وأمامي

التخريج: نفحة الريحانة ٤/ ٢٤٥.

[٢١]

قال ابن تميم مضمناً: (الطويل)

ومعشرٍ عَذَلوا لما ركبتُ على أَحْوَى محاسنهُ، قَبَّحْنَ فعلَهُمُ
دَعْ يعذلوا ما استطاعوا إنني رجلٌ (لو اسْتطعتُ ركبتُ الناسَ كلَّهُمُ)[٢٢]

التخريج: ديوان الصبابة ٢٨٧.

[٢٢]

قال ابن تميم: (الطويل)

وطبٍّ بحديث عن نديمٍ مساعدِ وساقيةٍ سنّ المراهق للحلمِ[IX]

(IX) [رواية (وطبٍّ بحديث) تخل بالوزن، ولعل الصواب (وطبّ حديثٍ)/ المجلة].

ضعيفة كرّ الطرفِ تحسَبُ أنّها قريبةُ عهدٍ بالإفاقةِ منْ سقمِ

التخريج: حلبة الكميت ١٥٩.

[٢٣]

قال ابن تميم: (الكامل)

عابوا التلجلجَ في لسان معذّبي فأجبتُهُمْ للصبِّ فيه بيانُ

إنَّ الذي يُنْشي الحديثَ لسانهُ، ولسانُهُ من ريقهِ سكرانُ

التخريج: نفحة الريحانة ٢/ ٦٦٥.

[٢٤]

مما يُستدرك على القطعة ٩٧– الملحق، البيت الآتي، ويكون ثانياً: (الطويل)

ألا فانظروا منه بناناً مُخَضّباً (وليس لمخضوب البنان يمينُ)[٢٣]

التخريج: الكشف والتنبيه ٣٢٠

[٢٥]

وقال ابنُ تميم: (المتقارب)

نديمي لا تسقني[X] سوى الصَّرف، فهو الهَنَيْ

وَدَع كأسَها أطلساً ولا تَسْقني مَعْ دنيْ

التخريج: حلبة الكميت ١٦٢.

[٢٦]

قال مجير الدين بن تميم: (الكامل)

يا مُحرقاً بالنار وَجْهَ مُحِبِّهِ مهلاً فإنَّ مدامعي تُطفيه

أحرقْ بها جَسدي وكلَّ جوارحي واحْرصْ على قلبي فإنَّكَ فيهِ!

(X) [رواية (نديمي لا تسقني) تخل بالوزن، ولعل الصواب فيه (نديمي فلا تسقني)/ المجلة].

التخريج: نفحاتُ الأزهار ١٠.

وبعد،

فكانت تلك نظرات نقدية تحقيقية في (ديوان مجير الدين ابن تميم)، أتْبعناها بمُستدرك مهم، كتبناها وبحثنا فيها، بعد جهود شاقة وسَعْيٍ حثيث، كنتُ أصل الليل بالنهار، في بضع شهور حتى استوت في هذه الصحائف.

وما فعلتُهُ كان من أجل أنْ يكون الدِّيوان على درجةٍ من الإتقان، إذْ لابُدَّ للتعاضد على رأْب صدعهِ وإصلاح خللهِ ورَفْع آثارِ الوَهم والسَّهو فيه. ولم يكن وكْدي التقليل من جهد مُحَقِّقَيْهِ، فهما فارسان مُجَلِّيان، خَدَمَا العربية كثيراً، وأحسب أنهما سيتقبلانها بقَبولٍ حسنٍ، فهي منهما وإليهما.

والحمدُ لله ربّ العالمين

* * *

الحواشي

(١) جريدة (العراق) البغدادية، ٢١/ ٤ و١٦/ ٥/ ٢٠٠١م، الموافق ٢٧/ ١ و٢٣/ ٢/ ١٤٢٢هـ.

(٢) جريدة العراق: ٢٣/ ٦/ ٢٠٠١م، الموافق ١/ ٤/ ١٤٢٢هـ.

(٣) توجد نسخ من هذه المنتخبات الأربعة في مكتبة أياصوفيا، ولدى الأستاذ هلال ناجي صور منها.

(٤) حَقَّقَهُ وأكمله الأستاذ محمد نايف الدليمي، الموصل ١٩٧٩م.

(٥) سجلتها في آب ١٩٩٨م، ونوقشت في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٠م ونالت درجة الامتياز وضَمَّتْ ٣٦٨٢ بيتاً.

(٦) الغيث المسجم ٢/ ٤٠، ٧٠، ١٩٢، ٢٦٨، ٤٠١، ٤١١.

(٧) أعيان العصر وأعوان النصر ٥/ ٦٥.

(٨) ريحانة الألبّا ١/ ٤١٤. وينظر في هذا أيضاً. البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٧، معجم المؤلفين ١٢/ ١١٧.

(٩) ديوان مجير الدين بن تميم ١٦، ٨٦، ٩٠.

(١٠) ديوان مجير الدين بن تميم ٣٨، ٥٦.

(١١) ديوان مجير الدين بن تميم ١١، ١٣.

(١٢) من المؤسف أنَّ د. نوري القيسي لم يترجم للشاعر، في تحقيقه كتاب (السماح) هذا، على الرغم من أنه ترجم لغيره، فهو مجهول عنده!!

(١٣) ديوان مجير الدين بن تميم ١٠٧؛ القطعة ٤٦.

(١٤) ديوان مجير الدين بن تميم ٤٣، ٧٤، ٨١، ٨٧، ٩١، ١١٤.

(١٥) ديوان مجير الدين بن تميم ١٨، ٣٤، ٣٦، ٤٣، ٧٩، ٩١، ١٠٧، ١١٦.

(١٦) ابن سعد الأندلسي حياته وشعره، مجلة آداب المستنصرية، العدد ٣٢، ١٩٩٨م، ص ٧

(١٧) ثورا: نهر عظيم بدمشق، معجم البلدان ٢/ ٨٦.

الغور: هو غور الأردن، بين بيت المقدس والقدس[XI]، معجم البلدان ٤/ ٢١٧.

(١٨) تاريخ الشطرنج الكبير ٩٩.

(١٩) ورد في نهاية ص ٣١٩ من (الكشف والتنبيه) بيتان على قافية الفاء، فذكر الأُستاذ هلال ناجي في تحقيقهِ له: «أخلَّ بهما ديوان مُجير الدين وملحقهِ». والصحيح أنهما وردا فيه ص ٦٢ برقم ١٨٧، وسبب هذا (الخطأ) أنّ الصفدي قَدَّم وأَخَّرَ في حرفي الفاء والقاف عند ترتيبه لمنتخبهِ من شعر الشاعر!

(٢٠) الطراز الموشَّى: صاغها المطرُ.

(٢١) العجز لامرئ القيس في ديوانه ١٩، وصدره: (مكرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدبرٍ مَعاً). ولم يُشر إلى ذلك محقِّق الكتاب.

(XI) [ورد في معجم البلدان (٤/٢١٧) والغور: غور الأردن بالشام بين البيت المقدس ودمشق وانظر تعليق المجلة السابق رقم (VI) / المجلة].

(٢٢) العجز هو صدر بيت للمتنبي، وتَتِمَّتُهُ (إلى سعيد بن عبد الله بُعرانا). ولم يُشِرْ إليه محقِّق ديوان الصَّبابة!

(٢٣) العجز هو: لكُثَيِّر عَزّة، في: ديوانه ١٨٦، ونُسِبَ إلى قيس بن ذريح، في: شعره ١٥٠، وصدره: (وانْ حلفتْ لا ينقضُ النأيُ عَهْدَهَا). ولم يُشِرْ إلى ذلك محقق الكتاب الذي وردتْ فيه هذه القطعة.

* * *

المصادر والمراجع

- ابن سعيد الأندلسي، حياته وشعره: د. سامي مكي العاني، مجلة آداب المستنصرية، العدد ٣٢، ١٩٩٨م، مستل.
- إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء: السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق د. عبد العزيز المانع، مجلة عالم الكتب، الرياض، مج ٤، العدد الأول، ١٩٨٣م.
- أعيان العصر وأعوان النَّصر: للصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. علي أبو زيد وزملائه، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.
- إنسان العيون في مشاهير سادس القرون: ابن أبي عذيبة (ت ٨٥٦هـ)، مخطوطة المجمع العلميّ العراقي، رقم ١٠٨٣.
- أنوار الرَّبيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر، مط النعمان، ط١، النجف الأشرف، ١٩٦٨م– ١٩٦٩م.
- تأريخ الشطرنج الكبير: زهير أحمد القيسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩م.
- تحفة الأدباء وسلوة الغرباء: إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني (ت ١٠٣٨هـ)، تحقيق د. رجاء محمود السامرائي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩م– ١٩٨٠م.
- تحفة الناصرية في الفنون الأدبية: ميرزا أبو القاسم محمد الأصفهاني الرشتي، إيران، ١٢٧٨هـ.
- تشنيفُ السمع بإنسكاب الدمع: خليل بن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، ط١، القاهرة، ١٣٢١هـ.
- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: الصفدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٨٩هـ– ١٩٦٩م.

– جريدة (العراق) – البغدادية، ٢١/ ٤ و١٦/ ٥/ ٢٠٠١م – ١٤٢٢هـ.
– الحارثي، حياته وشعره: زكي ذاكر العاني، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠م.
– حلْبة الكميت في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات: النواجي (٨٥٩هـ(، مصر، ١٢٢٧هـ- ١٨٥٩م.
– الحماسة: أبو تمام الطائي (ت ٢٣١هـ)، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
– خِزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ(، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.
– ديوان الأرَّجاني (ت ٥٤٤هـ(، تحقيق د. محمد قاسم مصطفى، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م.
– ديوان ابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ(، تحقيق محمد عبد الخالق، وزارة المعارف الهندية، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.
– ديوان ابن منير الطرابلسي (ت ٥٤٨ هـ(، جمعه وقدّم له د. عمر عبد السلام تدمري، بيروت – طرابلس، ط١، ١٩٨٦م.
– ديوان ابن نباته السعدي (ت ٤٠٥هـ(، تحقيق عبد الأمير مهدي الطائي، بغداد، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
– ديوان ابن نباته المصري (ت ٧٦٨هـ(، نَشَرَهُ: محمد القلقيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
– ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
– ديوان بشار بن برد: تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، ١٩٦٠م.
– ديوان تأبط شراً : جمع وتحقيق سلمان داود القرغولي، وجبار تعبان جاسم، النجف، ١٩٧٣م.
– ديوان الحيص بيص، سعد بن محمد بن الصيفي (ت ٥٧٤هـ(، تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، بغداد، وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٤م.
– ديوان سيف الدين المشد، علي بن عمر بن قزل (ت ٦٥٦هـ(دراسة وتحقيق وتذييل: عباس هاني الجراخ، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية التربية، ٢٠٠٠م.

– ديوان الصبابة: ابن أبي حجلة التلمساني (٧٧٦هـ)، تصحيح د. محمد زغلول سلام، الإسكندرية، ١٩٨٧م.
– ديوان صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ)، قوبل على نسخ خطية، النجف الأشرف، ١٩٥٧م.
– ديوان الصاحب جمال الدين بن مطروح (ت ٦٤٩هـ)، جمعه وحقّقَهُ د. جودة أمين، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٩م.
– ديوان كثير عزة: جمع وتحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م.
– ديوان مجنون ليلى: جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة.
– ديوان مجير الدين بن تميم (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق هلال ناجي وأ. د.ناظم رشيد، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٩م.
– ريحانة الألبا: شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، ١٩٦٧م.
– سلوك السنن إلى وصف السكن: النواجي، مصورة مخطوطة مكتبة كلية الآداب – بغداد، رقم ١٢٣٠.
– السلوك لمعرفة دول الملوك: المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، نشره محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٦م.
– السماح في أخبار الرماح: السيوطيّ، تحقيق د. أنور أبو سويلم، وماجد الجعافرة، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٣٧، السنة الثالثة عشرة، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م. تحقيق د. نوري حمّودي القيسي، مجلة المورد ١٢، العدد ٤، ١٩٨٣م؛ ١٤٠٤هـ.
– شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب: عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، مكتبة القدسي، ١٣٥١هـ.
– شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق د. علي المفضَّل حَمُّودان، مركز جمعة الماجد، دُبي، دار الفكر المعاصر– لبنان، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
– شرح ديوان المتنبي: وَضَعَهُ عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣م.
– شعر ابن المعتز، صنعة أبي بكر الصولي: دراسة وتحقيق د. يونس أحمد السامرائي، بغداد، ١٩٧٨م.

- شعر أبي حية النميري: جمع وتحقيق رحيم ضحي التويلي، مجلة المورد، مج٤، العدد الأول، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
- شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (ت ٦٨٠هـ(، جمع د. حسن علي محفوظ، مجلة كلية الآداب، ١١، ١٩٦٨م.
- عقود الجمان من شعراء هذا الزمان: ابن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤هـ(، مخطوطة معهد المخطوطات العربية، رقم ٣٣-
- شعر الحسين بن مطير الأسدي (ت ١٧٠هـ(، جمع وتحقيق د. محسن عياض، بغداد، ١٩٨٩م.
- شعر قيس بن ذريح: جمع وتحقيق د. حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة.
- عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ(، ج ٢١ تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، ١٩٨٤م، ج٢٢: تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، بغداد، ١٩٩١م.
- فضّ الختام عن التورية والاستخدام: الصفدي، تحقيق المحمدي عبد العزيز الحناوي، ط١، الأزهر، ١٩٧٩م.
- الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه: الصفدي، تحقيق هلال ناجي، بريطانيا، ليدز، ١٩٩٩م.

* * *

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

(آراء وأنباء)

حفل تأبين فقيد المجمع

الأستاذ الدكتور عادل العوّا

(فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٨ الجزء ٢)

(آراء وأنباء)

حفل تأبين فقيد المجمع

الأستاذ الدكتور عادل العوا

أقام مجمع اللغة العربية وجامعة دمشق ووزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب حفلاً تأبينياً للفقيد

الدكتور عادل العوا

وذلك في الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء الواقع في ٤ ذي الحجة ١٤٢٣هـ/ ٥ شباط ٢٠٠٣م في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، وشارك في تأبين الفقيد الراحل:

- الأستاذة الدكتورة نجوة قصّاب حسن، وزيرة الثقافة
- الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس مجمع اللغة العربية
- الأستاذ الدكتور سمير حسن، عميد كلية الآداب
- الأستاذ الدكتور علي عقلة عرسان، رئيس اتحاد الكتاب العرب
- الدكتور عزت السيد أحمد، من طلاب الفقيد
- الدكتور نبوغ العوّا، نجل الفقيد

وننشر فيما يلي كلمات الحفل:

كلمة السيدة وزيرة الثقافة

في حفل تأبين المرحوم الدكتور عادل العوا

الدكتورة نجوة قصاب حسن

(إنَ الإنسانَ إنسانٌ حقاً، عندما يُحققُ العملَ الإنسانيَ الأَسمى. وهذا العملُ هو الخيرُ، والسعادةُ هي المكافأةُ التي نحصل عليها عندَما نفعلُ ما يَليقُ بطبيعَتِنا الإنسانية).

هكذا كانَ أُستاذُنا القديرُ الدكتورُ عادلُ العوا، وهكذا علَّمَنا وعلَّمَ أجيالاً من المفكرينَ والباحثينَ، الذينَ رأَوْا فيهِ قدوةً ومَثلاً ومعلماً للمعارفِ والقيمِ والقواعدِ الأخلاقية.

وما أعظمَ شأناً من أنْ يرتبطَ اسمُ الإنسانِ بالأخلاقِ والفضيلةِ والوجدانِ والقيَمِ والخيرِ والعقلِ والحكمةِ كانتْ هذه مفرداتِ حياةِ الدكتورِ عادلِ العوا وآفاقَ عملِهِ ومحورَ تفكيره وبحثِه ومواضيعَ كتبِهِ ومؤلفاتِه.

لقدْ عاشَ هذه المضامينَ الأخلاقيةَ، وعاشَ من أجلِها ومن أَجل نقلِها إلى أجيالٍ تتعاقبُ في مدرستِهِ الفكرية، بأسلوبٍ يتسمُ باللطفِ والحكمةِ والموضوعيةِ وبهالةٍ من الاحترامِ والهيبة، أُحيطتْ بهِ نتيجة غزارةِ علمِهِ واتساعِ اطلاعِهِ ودقةِ تعبيرِهِ ووضوحِ فِكْرِهِ ومنهَجِهِ.

لم يكنْ يوماً أستاذاً عادياً عابراً في حياة أيِّ مُتعلم يقصُدُ عِلْمَه، بل كانَ حضورُه الراقي فاعلاً مؤثراً، يستعيدُهُ الإنسانُ مدركاً حِكمتَهُ وأبعادَهُ.

وإذا كانتْ سماتُ أيِّ إنسانٍ، تتشكلُ من اهتماماتِه وأعمالِهِ ونِتَاجه، فإنَّ مُجملَ المناخِ الذي عاشَ في نطاقِهِ الدكتورُ عادلُ العوْا، يتمحورُ حولَ قضايا الفِكرِ والبحثِ والعقلِ والحكمةِ وغاياتِ الوجودِ والأخلاقِ. فلو

استعرضْنا بعضاً من عناوينِ نَتاجهِ الفكريِّ وكُتبِه، لوجدناها تتركزُ حولَ القيمةِ الأخلاقية، المذاهبُ الأخلاقية، دراساتٌ أخلاقية، المدنيةُ سرابُها، القيمةُ الأخلاقيةُ، فلسفةُ القيمِ، الوجدانُ، الأخلاقُ، الفنُّ الفكرُ، الفكرُ والتاريخُ، الكلامُ والفلسفةُ، من الشرفِ إلى الحكمةِ – التجربةُ الفلسفيةُ) وآخرُ كتبِه كانتْ بعنوانْ «التسامحُ من العُنفِ إلى الحوارِ» والفضائلُ العربية.

وما أعظمَ هذه الموضوعاتِ، وما أسمى مقصدَها، وما أجملَ أنْ تنتهي حياةُ الإنسانِ، وهو يدافعُ عن التسامحِ والحوارِ ويذكرُ الفضائلَ العربيةَ، ويعززُ دورَها في تأكيدِ الدور الحضاريِّ للأمةِ العربيةِ، استناداً إلى مخزونِها المعرفيّ والأخلاقيِّ والقِيمي.

ندرةٌ هم الذينَ وهبوا حياتَهم لنشرِ المعرفةِ، وترسيخِ دعائم الأخلاقِ والقيمِ، ندرةٌ هم منْ كانتْ لحياتِهم أهدافٌ واضحةٌ محدودةٌ، يسيرونَ لإنجاحها بثباتٍ وحكمةْ، ويدعونَ إليها برويّةٍ واقتدارٍ علميٍ فائق. والأندرُ من ذلكَ أنْ يعيشَ الإنسانُ فكراً وعملاً في هذا المناخِ القيَميِّ والفكريِّ الأرقى دونَ أن يحيدَ عنه.

الاستمرارُ والثباتُ على المبدأ والمنهج، هو الذي ميَّزَ أستاذَنا القديرَ عادل العوا، الذي استوحى من اسمه العادلِ منحى حياتِه في دراسةِ قيَمِ العدالةِ والإنصافِ والحقّ والخير، فكانَ بذلك التّخَلُّقِ اسماً ومعنىً وأسلوبَ حياةٍ.

من أجلِ هذا الدأبِ وهذا الإخلاصِ في العملِ التربَويِّ الجديِّ، نالَ أعلى مراتِب التقديرِ، وذلك بتكرُّمِ السيدِ الرئيس بشار الأسد، بمنحِهِ وسامَ الاستحقاقِ من الدرجةِ الممتازة، تعبيراً عن إخلاصِ الوطنِ وقائدِ الوطن لعلمائِهِ ومفكريِهِ والمخلصينَ، ودورِهم في مجالِ العلمِ والمعرفةِ وتنشئةِ الأجيالِ لأنَّ:

منْ يفعلِ الخيرَ لا يعدَمْ جوازِيَهُ لا يذهبُ العُرفُ بينَ اللهِ والناسِ

لقدْ كانَ في حياتهِ توَّاقاً للحكمةِ والمعرفةِ، ونَذَرَ نفسَه لكلّ ما يرتبطُ بالقيَمِ والأخلاق، دأَبَ على البحثِ عقوداً، وتعبَ في تبنّي أدوارِه العلميةِ والتربويةِ المتعددةِ دونَ أن ينثني عن غاياتِه أو يملّ لأنه:

وإذا كانتِ النفوسُ كباراً تَعبَتْ في مُرَادِها الأجسام

ولأنَّ نفسَه كانتْ أكبرَ من أن تُلهيها تفاصيلُ الحياةِ عن أهدافِها المثلى وغاياتِها النبيلة.

صوتُه الهادي، ورُقيُّ معاملتِه وإنسانيتُه الغامرة، ونِتاجُه العلميُ الغزيرُ شكلتْ مكوناتِ فلكٍ خاصٍ مَهيب، أحاطَ به يتعرفُ إليهِ كلُّ مخلصٍ للعِلمِ والحكمةِ والتخلُّق. ويقتدي به كلُ إنسانٍ يريدُ أن يرتقيَ إلى رتبةِ العارفِ والمعلم.

إلى روحِكَ الطاهرةِ وإلى وجدانِك النقيِّ، وإلى يقينِ المدنيةِ والقيمِ الأَخلاقيةِ المتمثلةِ فيكَ والتي كنتَ عنها تدافعُ، سلامٌ واطمئنانٌ بأنَ الأوفياءَ الذين نَهِلوا من عملِكَ، واقتدوا بخِصالِك، يتابعونَ هذا الدورَ النبيلَ وإنَّ أمةً تقدرُ قيادتُها عطاءَك وعطاءَ أمثالِك لجديرةٌ بأنْ تكونَ خير الأممِ مكانةً.

كلمة رئيس مجمع اللغة العربية

في حفل تأبين المرحوم الدكتور عادل العوا

الدكتور شاكر الفحام

-١-

يتملّكني أسىً بالغ وحزنٌ عميق لفقدنا الأستاذ الكبير والعلم الشامخ الدكتور عادل العوا، الذي فارقنا أشدَّ ما كنا تعلقاً به ومحبة له، رحمه الله الرحمة الواسعة، وجزاه الجزاء الأَوفى في جنة الخُلد التي وُعد المتقون، مع الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا.

فما كان قيسٌ هلكُه هلكَ واحدٍ ولكنه بنيان قومٍ تهدَّما

* * *

يرحمكَ اللهُ من أخي ثقةٍ لم يكُ في صفو ودّه كَدَرُ

عُرف الدكتور عادل العوا رحمه الله منذ مطلع حياته الدراسية بالجدّ والإكباب على المطالعة وصحبته الكتاب. أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٣٨م وكان في السابعة عشرة من عمره، وسافر في خريف العام نفسه في بعثة حكومية إلى فرنسا لمتابعة دراسته، فدرس في كلية الآداب بجامعة باريس (السوربون)، وحصل على الإجازة، ثم نال الدكتوراه (آداب – فلسفة) من

جامعة باريس في حزيران عام ١٩٤٥م[١].

وعاد إلى سورية ليبدأ حياته بالتدريس في المدارس الثانوية وفي دار المعلمين بدمشق حتى افتتحت كلية الآداب والمعهد العالي للمعلمين بجامعة دمشق سنة ١٩٤٦م فسُمّي فيهما أستاذاً، وفي عام ١٩٤٩م أصبح أستاذاً في كلية الآداب، ورَأَس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية منذ ذلك الحين حتى إحالته على التقاعد بعد التمديد عام ١٩٩٠م.

وقام الدكتور العوا إلى جانب عمله الجامعي بأعمال علمية أخرى، وشارك في مؤتمرات ودورات علمية وحلقات دراسية وحاضر ودرّس في عدة جامعات. ولكن عملَه الأساسيَّ الذي استفرغ مجهودَه، ووقف عليه طاقاته العلمية إنما كان في قسم الدراسات الفلسفية الذي أولاه كل عنايته، وقدّم له خيرَ ما يُقدَّم.

–٢–

لقد بدأ الدكتور العوا حياته التدريسية، وقد استعدّ وتأهب، وروّى نفسه من العلم والمعرفة، ولاسيما علوم الفلسفة. وكانت تملأ نفسه القيمُ والمثل، فهو صاحب رسالة يريد أن يؤديها أحسن الأداء، وكان يتطلع إلى التعاون والتعاضد مع زملائه الجامعيين والنخبة من المثقفين في ميادين الثقافة والعلم والمعرفة، ليتكاتفوا في العمل معاً على إرساء نهضة علمية تهيئ للأمة أن تبدأ حياة جديدة تواكب فيها مسيرة العلم العالمية، وتشاركُ في بناء الحضارة الإنسانية.

(١) نُشرت رسالة الدكتوراه ببيروت (بالفرنسية) عام ١٩٤٨م بعنوان: «الفكر الانتقادي لجماعة إخوان الصفا».

والتفت إلى العمل الجادّ فأخذ يؤلف الكتب في علوم الفلسفة، ويضمُّ إليها ما يختاره من ترجمات لكتب غربية تندرج في سياق الخطة العلمية التي يرمي إلى تحقيقها. كان يتابع العمل دون كلال أو ملل، ليقدم لطلابه وللأجيال الناشئة العلوم والمعارف، وجلُّها في علوم الفلسفة وتشعباتها، يعرضها بأسلوب جميل ميسر، ليحبّبها إليهم، ويستثير حماستهم لمتابعة القراءة، وحب البحث، كي يكونوا النواة الصالحة للنهضة العلمية التي كان ينشدها ويتطلع إليها هو وإخوانه من الأساتذة والمفكرين.

ومن كلماته: «وحدةُ الثقافة جامع فكري بين الأدباء الموجهين. والثقافةُ هي معرفة ومسؤولية في آن واحد. وأكثرُ المثقفين يكتفون بالجانب الأول: المعرفة، وهو الجانب النظري... أما الناحية الثانية ناحية المسؤولية فإن الشعور والالتزام الذي ينادي به كثير من المثقفين في الوقت الحاضر، يُلزمهم بأن يحققوا أفكارهم أو يسهموا في تحقيقها، بنشرها من جهة والدفاع عنها من جهة ثانية كيما تخرج إلى حيّز الفعل».

ويقول: «لن نألو جهداً مهما غلا لخدمة هذا الجيل الصاعد الذي نرجو أن يكون لَبِناتٍ صالحات في صرح أمتنا لتؤدي رسالتها نحو الإنسانية».

ومن أقواله: «أملي بإصلاح بعض النواحي الاجتماعية كبير، وأرجو أن أوفق في العمل أنا وإخواني على ضمّ شتات الشباب العامل».

-٣-

وفي الحق أن الدكتور العوا كان يواصل عمله الذي ندب نفسه له بهمة وعزيمة، وكان حريصاً على إتقان ما أُسند إليه. وإذا تأملنا ما أعدَّه من مؤلفات وترجمات أدركنا الجهود الطيبة التي بذلها حتى تحقق له ما تحقق. لقد أغنى المكتبة العربية بزهاء ثمانين كتاباً من مؤلفاته وترجماته في علوم الفلسفة

وتشعباتها، كانت في غاية الدقة والجِدّة، نشرها على مدىً يجاوز أربعين عاماً، ودلّت على ما يتمتع به الأستاذ الكبير من ثقافة واسعة، وعلم غزير، وحسنِ محاكمة، وتجويد في العرض، وقدرة على الأداء، مما يقرّبها إلى قُرائها، ويدنو بها إلى الكمال.

وإن من يتتبّعُ الطريق التي سلكها في تآليفه وترجماته يدرك أن موضوعات أساسية كانت تشغل فكره، وتستأثر بجلّ اهتمامه، وتُملي عليه الخطة التي نهجها. وقد صنّف كتبه تصنيفاً تقريبياً بحسب المضمون، فرتَّبها في خمسة مجالات هي:

١- الحضارة والمدنية ٢- الفلسفة عامة ٣- الأخلاق

٤- فلسفة القيم ٥- الفكر العربي.

وهذا التصنيف يعدّد فيه الكتب التي تمّ نشرها ما بين سنتي ١٩٥٧– ١٩٩٥م.

كان أبرز ما يرنو إليه الدكتور عادل ويعملُ على تحقيقه في دراساته ومحاضراته ومحاوراته أن ينشرَ العلم والمعرفة، ويغرِسَهما في نفوس الجيل الجديد. فالعلم هو الوسيلة الأولى للرقي في مدارج التقدم، واللحاقِ بالركب الحضاري العالمي. وكان قد شاهد في الغرب كثرة المذاهب الفلسفية، والايديولوجيات المتعارضة التي واكبت انحسار الحرب العالمية الثانية، وما خلّفته من حيرة للعقول الشابة، وانتهى إلى ما انتهى إليه مفكرو الغرب في تلك الحقبة من أن ميدان الحضارة وحده هو ميدان التقاء العقول. ومن هنا جعل تلاحم مفهومي الحضارة والمدنية موقفاً لازمه في كل نشاط ثقافي أو تعليمي، ليضمن لشباب الجيل الالتقاءَ في ميدان واحد، وإن تباينت معتقداتهم السياسية.

وقد شغلت المسألةُ الأخلاقية جانباً طيباً من نشاط الأستاذ العوا فعُني

بها أتم عناية، وترك مؤلفات وترجماتٍ كثيرةً تناولت مختلف جوانبها، وما ينشعب منها، وكأنه رام أن يؤسس لفلسفة أخلاقية كاملة، تترعرع في حِجْر الفلسفة الأم. وقد وُفّق في تقديم نظرة جديدة فيها الكثير من أفكاره وآرائه.

ورأى من إتمام البحث في الأخلاق ضرورة تناول فلسفة القيم، وهي القاع الفلسفي المعاصر للتعمق في أوجه النظر الإنساني إلى كل ما ينهض به من أنشطة. «إن النظرة القيمية الأخلاقية ترى أن الإنسان هو صانع قَدَره بيده، وأنه يعي المعطيات، ويعي احتمالات توجيهها وحدوثها وبهذا المعنى يسهم في تغيير المستقبل، وهو بهذا المعنى أيضاً مسؤول عما يفعل».

وقد أفرد لفلسفة القيم جملة من كتبه عرض فيها ما انتهت إليه دراساته وقناعاته.

ولم يكن بدّ للدكتور عادل، وهو المؤمن بقوميته وأمته العربية، من أن يفسح مجالاً رحباً في كتبه للفكر العربي الإسلامي «وهو المحور الثقافي الأخصب في فهم حاضر أمة ماجدة، ذات آمال جسامٍ في غد إنساني عادل ومشرق» فتعمق في دراسة الفكر العربي، ونبّه على مناح لم يلتفت إليها السابقون، إذ وجد طائفة من المفكرين العرب والمسلمين عنوا بالاهتمام بالإنسان، وكونوا تياراً موصولاً أَطلق عليه الدكتور العوا اسم التيار الانتقادي يضمّ كُتّاباً وأدباء وعلماء من أمثال ابن المقفع والنظّام والجاحظ والمعري وإخوان الصفا «والواقع أن هذا التيار أقربُ إلى أن يكون سلسلة من محاولات الابتكار المتمرد الذي ينطلق من منزع العقل الإنساني المحض ليعرض على محكه نتاج الإنسان في تجربته بالوجود كل الوجود، وبالحياة على اختلاف مناحيها، وتفاوت مستوياتها، وتعدد أغراضها وأهدافها ومكاسبها».

ومن مزايا الدكتور العوا في هذا الباب إلحاحُه الشديد على تحديدِ الفكر

العربي الإسلامي، وموقعِه الرئيس من مناشط الثقافة الإنسانية، وحرصُه على دمجه في تيار نمائها الحيّ، مع عنايته البالغة بإبراز خصائص ذاك الفكر، وألوان إسهامه في مختلف الموضوعات.

وظلت هذه الفكرة رائده وموجهه في محاولته الثانية وهي «دمج البحث في الفلسفة العربية في إطار دراسة الفلسفة، وقد وضعها حيث موقعُها التاريخي والمذهبي من تسلسل الحدوس الفلسفية ومذاهب الفلسفة لدى ذكر الفلسفة الإغريقية واللاتينية وذكر الفكر المسيحي، وقبل البحث في فلسفة العصر الوسيط، وعصر النهضة والانبعاث...».

ويحسن الإشارة إلى أن الدكتور العوا كان متفائلاً، ينظر دائماً إلى المستقبل بعين الأمل الباسم. ومن أقواله:

«إنني بطبعي متفائل... وأمنيتي أن تبقى قوميتنا كما كانت قوميةً إنسانية تعتزُّ بإسهامها في تقدم حضارة البشر، هكذا كنا، فلنكن أبدا... وإن الأمة العربية تُطلُّ على مفهوم إنساني سيكتب له التوفيق، وأرى أن مقياس المذاهب الفلسفية المناسبة لوضع الأمة العربية... إنما يقدّر بنسبة صلة هذه المذاهب بمفهوم الحضارة والتعاون الإنساني».

– ٤ –

ومن تمام القول أن أذكر أن مجمع اللغة العربية كان قد سعد بانتخاب مجلس المجمع الأستاذ الدكتور العوا عضواً في المجمع، بجلسته المنعقدة في (٧/ ٥/ ١٤١١هـ – ٢٤/ ١١/ ١٩٩٠م)، وصدر المرسوم رقم ٢٠٤ في (١٤/ ١١/ ١٤١١هـ – ٢٧/ ٥/ ١٩٩١م) بتعيينه عضواً في مجمع الخالدين.

وأقيم حفل استقباله في جلسة عقدت في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي بالمدرسة العادلية في الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء (٧/

٥/ ١٤١٢هـ - ١٣/ ١١/ ١٩٩١م) حضرها نخبة طيبة من رجال الفكر والأدب والثقافة، وافتتحتُ الحفل بكلمة رحبتُ فيها بالأساتذة العلماء والحفل الكريم، وشكرتُ لهم تفضلهم بالحضور، وهنأتُ الدكتور العوا بثقة زملائه المجمعيين به، واختيارهم له لينضم إلى صفوفهم، ويؤيد مسعاهم في خدمة العربية، والعناية بازدهارها. ونوّهتُ بجهوده الطيبة في ميداني التدريس والتأليف، ومشاركاته الواسعة في المؤتمرات والندوات العلمية العربية والعالمية. ثم ألقى الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو المجمع كلمته في استقبال زميله المجمعي أشاد فيها بسجاياه الحميدة ومكانته العلمية، وذكر أطرافاً من سيرته.

وألقى بعد ذلك الأستاذ الدكتور العوا كلمته التي تحدث فيها عن مكانة اللغة العربية، وأشار إلى الدعاوى التي تدّعي عجز اللغة عن مواكبة مسيرة العلم، كما أشار إلى طغيان العدوانية الشمولية على الوجود العربي، ومن هنا كانت دعاوى انتقاص الإمكانات العربية في كل مجال، ومنها مجال الثقافة والعلم والفكر والآداب والفنون. وتصدى الدكتور العوا إلى إماطة اللثام عن بعض هذا التجاهل شبه العالمي الذي يتطلع إلى أن يُسقطَ من حساب الحضارة العالمية الثقافة العربية في سالفها وحاضرها، ويسدَّ الطريق أمام تطويرها ومستقبلها، واختار الدكتور العوا لتبيين الصلات القائمة بين ثقافتنا العربية والثقافة العالمية ميدانين أساسيين: المجال الديني والمجال الفلسفي، ودلّل، بعرض شائق وأسلوب جميل، على مشاركة ثقافتنا الثقافةَ العالمية في هذين الميدانين في ماضيها وحاضرها، مما يُسقط الدعاوى الباطلة التي تكال للغتنا وثقافتنا.

ونعمنا بصحبة الدكتور العوا في المجمع إحدى عشرة سنة (١٩٩١-٢٠٠٢م)، وقد نَشِط في متابعة أعمال مجلس المجمع ولجانه وندواته إلى جانب زملائه المجمعيين، وقدّم خبرته العميقة الواسعة، وشارك في محاضرات المجمع

بمحاضرة قيّمة عنوانها «أمنية الخلود».

وكانت صلاته بزملائه المجمعيين صلات ودّ ومحبة. وكان يكنّ للمجمع كل تقدير واحترام.

* * *

خير ما أختم به كلمتي أن أشير بكل التقدير والتجلة إلى التكريم الكبير الذي أضفاه سيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية على الأستاذ الدكتور عادل العوا وزميله الأستاذ الدكتور فاخر عاقل بمنحهما وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة وذلك تقديراً لإنجازاتهما في مجالي الفكر والثقافة.

(المرسوم رقم ٥٣ في ١/ ١٢/ ١٤٢٢هـ- ١٢/ ٢/ ٢٠٠٢م).

وقد تفضل الأستاذ الدكتور حسان ريشة وزير التعليم العالي فأقام، احتفاءً بالتكريم، حفلَ تقليدهما وسام الاستحقاق السوري على مدرج جامعة دمشق في تمام الساعة الثانية عشرة من يوم الأربعاء في ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٢م. وقد اشتمل برنامج الحفل على كلمات:

ممثل سيادة رئيس الجمهورية العربية السورية، ورئيس مجمع اللغة العربية، ورئيس جامعة دمشق، ثم كلمة المحتفى بهما ألقاها الأستاذ الدكتور عادل العوا، وكانت كلمة جميلة رائعة، ثم قلدهما الدكتور حسان ريشة وزير التعليم العالي وسام الاستحقاق.

رحم الله فقيدنا الغالي، ورفعه مكاناً عليّاً، ولقّاه نَضرة وسرورا.

* * *

كلمة كلية الآداب

في حفل تأبين المرحوم الدكتور عادل العوا

الدكتور سمير إبراهيم حسن

أيتها السيدات أيها السادة

حين نلتمس البلاغة في الحديث عن بعض الأشخاص، الأحياء أو الأموات، تحضر الذهن صور بلاغية كثيرة. وبصدد بعضهم القليل نجد أن الواقع أبلغ وأغنى. هكذا الأستاذ الجليل الراحل، وبعض جيله من المعلمين المربين، أطال الله عمر من بقي منهم.

لا إخالنا اليوم سنودع نهائياً أستاذنا الدكتور، كما هو معروف في تكريم الناس بالتأبين لمن فقدوه من وجهائهم بالموت. فهذا التأبين لا يستطيع أن يعني الانقطاع، فهناك صلات فكرية وأخلاقية ستستمر، ألم يكن هو مدرس «الأخلاق» و«من الشرف إلى الكرامة» لمئات، بل لآلاف من الطلاب السوريين والعرب في قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية في كلية الآداب في جامعة دمشق؟.

لقد حزنا على موت الأستاذ بعواطفنا وعرفاننا بالجميل، ووارياه الثرى، وودعناه، ولكن جزءاً من عقلنا ووعينا يأبى الوداع، وهذه حال البشر مع كل من ترك أثراً فكرياً وثقافياً وأخلاقياً طيباً.

والأستاذ الراحل هو من النماذج القليلة من المعلمين والمربين المثقفين المنسجمين فكراً وسلوكاً، فقد كان يعلم الأخلاق التي يتمثلها ويبث القيم والمفاهيم والرؤى والمثل التي يطبقها على نفسه. وهو أيضاً من ذلك النوع من المفكرين الذين لم تستغرقهم هموم الحياة اليومية، فلم نسمعه يوماً يجهر بالشكوى. لقد التصق بالجامعة لأكثر من نصف قرن يعلم ويترجم ويؤلف ولم

يفكر بالمغادرة رغم كل الإغراءات التي كانت في متناول يده. ومثل هؤلاء لا يمكن أن يضاموا في سورية المعاصرة، فتوج جهده وعطاؤه بالتكريم الجليل من السيد رئيس الجمهورية بشار الأسد.....

أظن أن مثل هؤلاء الرجال لا يرحلون تماماً. إنهم يستمرون فينا ومعنا بفكرهم وأخلاقهم ووطنيتهم ويستمرون في ذاكرة الجامعة والوطن، ويشرقون كل يوم في قاعات الدرس والمحاضرات والمكتبات.

لم يشتغل الأستاذ الراحل بالأحداث الآنية، وهذا هو شأن محبي الحكمة «الفلسفة» بمعناها الأصيل كما كان يفهمه. لقد كانت اهتماماته عامة فيما كتبه وفيما نقله وترجمه. ولا أذكر وبعضنا في غمرة الحماس الإيديولوجي اليساري العتيد، والبعض الآخر في تدرجات اليمين المعتبرة، أننا استطعنا أن نجعله يميل إلى أحد الأطراف، أو أن يقف موقفاً آنياً من صراعاتنا الفكرية، بل كان دائماً يقف ذلك الموقف الإنساني والوطني المتسامح والشامل. قسم منا عدّ ذلك موقفاً سياسياً سلبياً منه، ولكن الأستاذ كان يعدّه الموقف الفلسفي الأصيل، ولو اختلفنا معه حول وظيفة الفلسفة ودورها.

ولكن لابد أن نستوعب أن الأستاذ كان يوماً عميداً لكل كلية الآداب ورئيساً لكل قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، وكان دائماً أستاذاً لكل طلاب هذا القسم، لذلك فضل أن يبقى كالشجرة المورقة يستظل بها الجميع. ولذلك تجد احترامه من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. لقد كان أستاذاً توافقياً للكل، ويتوافق عليه الكل. كان يحاول في الطريق إلى الحقيقة بالمعنى الفلسفي الذي يفهمه لا في الطريق إلى اليمين أو اليسار ولا إلى ما بينهما بالمعنى السياسي. كيف لا وهو يرى «أن النزاع العقائدي آيل ذات يوم إلى اتساق أعلى». تلك هي حقيقة الأستاذ الراحل التي قد لا أتفق معها ولكني أنحني احتراماً لصاحبها وأقدر مع كل كلية الآداب وطلاب قسم الدراسات

الفلسفية والاجتماعية وأساتذته الجهدَ المعرفي والتعليمي والتربوي الذي بذله حتى آخر لحظة من حياته التي توجها بكتابه عن «**التسامح: من العنف إلى الحوار**» وكانت آخر فكرة كتبها بعد ما مارسها وآمن بها طويلاً: «وغير خاف أن من شروط الحوار قبول التعددية وحق الاختلاف والحرية والندية واستبدال التفاهم المعتقل عن طريق الفكر واللسان بالصراع والتغلب بالظفر والمخلب والناب».

قيل إن المعلم شمعة تذوب لتنير الدروب المظلمة، والأصح أن يقال ونحن أمام معلم حقيقي، إن المعلم هو الضوء ذاته. فضوء الشمعة ينتهي بانتهاء المادة التي تتكون منها الشمعة، وليس هكذا المعلم الذي يترك مؤلفات وآثاراً فكرية وأخلاقية، فهو يستمر بالإنارة بعد فناء المادة.

أيها الأخوة:

وإذ نتبصر فإن غياب مثل هؤلاء لا يلغي حضورهم، إن مثلهم وإن ماتوا فسيحيون. وإذ نرى الأستاذ الراحل على هذا النحو، فهو حاضر حضوراً مكثفاً معنا بحيث يعجز الموت عن انتزاعه منا ومن الوطن ومن الجامعة ومن عقول الأجيال التي أسهم في تكوين رؤيتها. إنها لحظة الموت التي تكثف حضور الحياة. فالجسد يتوارى، والحزن يتوارى، ويستمر الفكر. سيذهب من القلب حزن الفراق، ولكن تبقى في العقل وفي النفس وفي الفكر قوة الحضور.

لقد شغل الفلاسفة يوماً بالبحث عن الديمومة وإكسير الحياة، واعتقد أخلافهم بأنهم أخفقوا. ولكن ألسنا واجدين سر الحياة هنا في حياة الفكر واستمرارها؟ وإذا كنا نريد الحياة ونحب الاستمرار فيها فليسأل كل منا نفسه ماذا فعل ليستمر. لعل موت المفكرين وتأبينهم محطة للتفكير في الإجابة الممكنة. وإذا أردنا أن نصعّب على الموت انتزاعنا من أحبابنا ومن حولنا فلنترك لهم من ذاتنا أثراً طيباً قابلاً للاستمرار، وطنياً وفكرياً وأخلاقياً، كما ترك

المعلمون الذين رحلوا ولم يموتوا. إنه الغياب الذي لا يلغي الحضور، بل قل إنها جدلية الغياب والحضور.

ف:

قد ترى الموت شاخصاً في حياة ودبيب الحياة في الأكفان

أيها الحضور الكريم:

إذا كانت الأربعون لفتة الذكرى، وختم الأحزان، وعتبة النسيان العميق، فإنها بصدد الأستاذ الراحل هي «صدى وقع الهنيهة بالديمومة»، فيظل المفكر والمربي فاعلاً في الأحياء وحاضراً في الدهر. إن الذي يموت هو الذي لا يترك نفوساً تتبتل بذكراه، وليس هذا حال أستاذنا الراحل الذي يصح في رحيله القول:

رب هجر بين المحبين أمسى من مدى نأيه حميم تدان

ها هنا الموت، مسترد حياة خلصت من هياكل الأبدان

لأستاذنا الراحل كل الاحترام والعرفان والتقدير، ولكم العزاء يا أهله وأصدقاءه وتلامذته ومحبيه، ولنا نحن عمادة كلية الآداب وأساتذتها وطلابها العزاء فيما تركه لنا وفينا من أفكاره الفلسفية وأخلاقه النبيلة.

والسلام عليكم

كلمة اتحاد الكتاب العرب

الدكتور علي عقلة عرسان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿.. وأن إلى ربك المنتهى﴾ / النجم آية (٤٢)

أيها الكرام:

تجمعنا اليوم قيم منها الوفاء لرجل نذر حياته للفكر والقيم، ولا أخاف من نفسي جَنَفاً إذا قلت: إنه كان بسمته وهمته واهتمامه: «حزمة من القيم تمشي على قدمين»، في وقت مَرِجت فيه قيم، وأمانات، وعهود.

يجمعنا الوفاء لرجل علم وعمل، نقض معمار حياته الموت، وكل حي ينقض معمار حياته الموت، فالموت حقيقة الحياة، ولكنه إذ نقض معمار حياته لم ينقض معمار فكره وما تركه في الناس والحياة من أثر خالد بخلود الفكر.

عاش فقيدنا الأستاذ الدكتور عادل العوا في معترك صعب.

لا يهتدي فيه إلا كلَّ مُنْصَلِتٍ من الرجال زميعِ الرأي خَوَّاتِ

عاش يصاول العقول وتصاوله العقول، فما وهن ولا تكلَّس ولا امّحى ولا تلطى في ظل يجترُّ قولَ هذا أو ذاك من أهل الفلسفة والاجتماع... ولا ضلَّ أو دعا إلى الضلال، بل عاش ورحل معافى الرأي والرؤية، كأني به يردد مع فيلسوف المعرة قوله:

سأتبع من يدعو إلى الخير وأرحلُ عنها ما إمامي سوى عقلي

كتب وتكلم في الفلسفة والأخلاق والأسرة والسعادة، وله في ذلك وسواه عشرات المؤلفات. وإخال أنه ممن يصدق فيهم قول ابن عربي في

السعيد حيث قال في لطيفة من لطائفه: «السعيد من نظر الحقَّ في الخلق لا من نظر قضاءه فيهم». فهل يكون لنا من ذلك النظر نصيب، ونحن في موقف المصاب بالقضاء؟!.. ففقد هذا العالم الإنسان، والمفكر الكبير، والأستاذ صاحب الفضل على الكثيرين، والقدوة في زمن نحتاج فيه إلى القدوة الحسنة مصاب جلل.

في كل يوم يخترم الحياةَ الموتُ ويختطف منا الأعز ويوقعنا في فيافي العجز.. ويتركنا لا نملك إلا حسرة وتسليماً... والفائز منا من تطمئن نفسه كلياً للحكمة الكبرى وراء الموت والحياة، ولا يتخطفه القلق من مصير محتوم أو قدر مكتوب أو تكليف علوي. وكما يقول ابن عربي: «قدرت المقادير ووزنت الموازين ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾، فمن سأله ما خرج من قضائه، ومن لم يسأله ما خرج من قضائه /كتاب التراجم ص ٥١/. و«من اعتز بالحق سَعِدَ، ومن اعتز بغيره شقي وإن نُصر في الوقت.» /تراجم ص ٤٩/.

لقد فقدنا في اتحاد الكتاب العرب زميلاً عزيزاً كان قد انتسب للاتحاد في ٢٥/ أيار/ ١٩٧١، وطلب أن يحال على التقاعد فكان له ذلك في ٢٧/ ٢/ ١٩٩٥، ورحل عنّا عام ٢٠٠٢، تاركاً فراغاً كبيراً في مجال خدمة الثقافة والقيم والدعوة إلى الأخلاق.. غادرنا في زمن تتهافت فيه قيم وتنحل أخلاق... وتذبل أجيال «وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت».

وهو الرجل الذي أكد أهمية الشرط الثلاثي لكل حياة بشرية: «الطبيعة والثقافة والروح»، وقال: «من المحال فصل مستقبل النوع البشري من الناحية البيولوجية عن إمكان سموه الأخلاقي، وأن اللاتقدم على الصعيد الأخلاقي يعني التقهقر على سائر الصعد بما فيها الصعيد البيولوجي. إن الإنسانية من دون أخلاق لا يمكن أن تكون نوعاً مزدهراً من الناحية البيولوجية، وهي، على

العكس، لا تكون سوى نفاية بيولوجية مؤسفة سرعان ما يكنسها الخلق والإبداع».

لقد رحل الفيلسوف عادل العوا، ورافقت جسدَه إلى مثواه الأخير غمامةٌ من ياسمين الشام مضمخةٌ بالدعاء والعرفان والوفاء... وعاد إلى التراب الذي خرجنا منه ونعود إليه... تساوى جسد الفيلسوف مع الأجساد... كل الأجساد في المصير. وربما ارتاح مع المعري إلى شيء من العدل:

إذا كان هذا الترب يجمع بيننا فأهل الرزايا مثل أهل الممالك

ولكن... يبقى من رجل العلم والفكر والأدب ما يميزه ويحفظ بقاءه أو يطيل أمد ذلك البقاء بوصفه خلوداً في الفكر والذكر.

ومن يذهب منه شيء ويبقى خير ممن يذهب ولا يبقى منه شيء، وكلنا وارد هذا المورد طال به العمر أو قصر... كل حي يؤول إلى هذا المصير الذي لا يملك أيُّ منا أن يدفعه عن نفسه فكيف يستطيع أن يدفعه عن عزيز عليه:

لَعَمْرُكَ إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطِّوَلِ المُمْهى وثِنياه باليد

وفي الموت عدل وحقيقة وحكمة إلهية... والحمد لله على كل حال..

رحم الله فقيدنا الغالي، وأسكنه فسيح جناته، وألهم زملاءه وأصدقاءه وأهله الصبر والسلوان..

﴿وإنا لله وإنا إليه راجعون﴾

كلمة طلاب الفقيد

عادل العوا

قصيدة يرددها الزمان

الدكتور عزت السيد أحمد

إن كان «كفى المرء نبلاً أن تعدَّ معايبه» فكيف بمن تكُدُّ حَتَّى تنهدَّ ولا تستطيع أن تلتقط له عثْرة أو مثلبة يجوز الوقوف عندها على أنَّها معيبة، وإن جئت تعدُّ محاسنه استغرقك العدُّ حَتَّى تكاد لا تقف عن العدِّ؟!.

وحده من عرف **عادل العوا** يعرف أَنَّهُ الموصوف، وأَنَّهُ الموصوف الذي ضاقت عن وصف محاسنه الصفات، وتضاءلت أمام مدحه الكلمات، وبكت فقده الأفكارُ، وضاقت أمام حزنها فضاءات الكلام في كلِّ اللغات، وكأَنَّها ضاعت أو تاهت عن دلالاتها كلُّ المفردات.

وحده **عادل العوا** الذي كنت كُلَّمَا كتبتُ عنه، كلَّمَا أردتُ الحديث عنه... كانت تهيمنُ عليَّ لغة الشِّعرِ، وأنفاس الشِّعر، وأجواء الشِّعر... كنت أجمع مادَّة البحث، أجهد في تقميشها وتبويبها، وعندما أبدأ تقودني من حيثُ لا أدري عواطفي، وتفرُّ من ذاكرتي مناهجُ البحث كلُّها، وتتوارى أدواته، حتَّى الاصطلاحات والمفاهيم كانت تحمرُّ وجناتها خجلاً من أن تقف أمامه موقفَ الرَّقيب أو الحسيب... ولا أجد أمامي غير خيالاتِ الشَّاعر وانفعالاته سيَّان أقلت شعراً فيه أم نثراً!!.

جهدت مع نفسي لأعرف السبب، وتشعَّبت بي السُّبل، ووجدتني كُلَّما أغذ في السير في واحدٍ منها أرجع إِلَى نقطة الانطلاق من جديد... إِلَى النبع:

ملاكٌ في ثوبِ البَشَرْ

هكذا أراده القَدَرْ

فأين المفر

من الوقوع في أسر حبِّ الملاك

والملاك في أبهى أبهى الصُّور

ظننت حينها أَنِّي وحدي من أراه ملاكاً مفكّراً، ولم أفاجأ بأَنِّي لست الوحيد.

ظننت أَنِّي وزملائي أخذنا به لحداثة السِّن فتتبعت تاريخه من تلامذته من أجيالٍ مختلفة كان منها من بلغ سنَّ التقاعد حينها... ولم أفاجأ بأنَّ الأجيال كلَّها مجمعة على هذه المشاعر تجاهه، وليس من عجب في ذلك أبداً فمعدِن الإنسان لا يتغير... فكيف بمن كان ملاكاً في ثوب البشر؟!.

لم تكن مشاعري تجاهه يتيمةً، ولا مشاعر جيلي من تلامذته، لا أبالغ إذا قلت إنَّها مشاعر أجيال سحابة ثلثي قرن من الزمان من تلامذته وطلابه... وأصدقائه وزملائه.

شرفٌ لي أن أكون من تلامذته.

وشرَّفني الزمان بأن صرت من زملائه.

وشرَّفني هو ذاته بأن دعاني من أصدقائه.

وشرفٌ لي أن أنوب عن تلامذته في هذا الموقف المهيب الجليل الذي يَكِفُ الدمع بدل أن يكفكفه، ويُخِفُّ الأسى بدل أن يخفِّفه. فإن كان فَقْدُ الأحبة يهزُّ عروش القلوب فإنَّ فقد العظماء يهزُّ أركان العقول، وإن كان فقد الأحبة يزلزل الحاضر والمكان فإنَّ فقد العظماء يزلزل التاريخ والزَّمان... و**عادل العوا** من أجلَّة العلماء والعظماء، ومن ساكني شغافِ القلوب.

عزاؤنا في موت من نحبُّ أَنَّنا كلنا ميتون.

ولا عزاء لنا في موت العظماء والمبدعين لأنَّهم كلَّهم خالدون والآخرون فانون.

عندما توفي **أحمد شوقي** ذهب الموسيقار **محمد عبد الوهاب** إِلَى العزاء، وجلس بالمصادفة إِلَى جانب **حسن أباظة** الذي لاحظ حزن **عبد الوهاب**، فحاول التخفيف عنه، فقال **عبد الوهاب**: إنَّهُ خسارة عظيمة. فقال له **حسن أباظة**: حسبك أنَّك قصيدةٌ من قصائده.

إذا أردنا أن نعدَّ قصائد **عادل العوا** فإنَّ الأمر سيطول بنا كثيراً، وكثير من هذه القصائد حلَّقت وتحلق في أجواء العالمية، وكثيرٌ من هذه القصائد تحولت إِلَى دواوين عملاقة، وكثيرٌ منها صار ينابيع إلهام... أليس حسبه هذا فخراً على مرِّ الزمان؟

ذكراكَ في دنيا البهاءِ لواءُ وجَليْلُ فِكْرِكَ للأنامِ دَواءُ
وأصيل نُبْلِكَ كالمنى ترنيمةٌ يشدو بها مدَّ المدى الشُّعراءُ
وأثيلُ مَجْدِكَ راسخٌ لا ينطوي مهما عَلَتْ من بعدكَ الأسماءُ
يا عادلاً في كلِّ أمر رزته حَتَّى تَمَنَّى حكمكَ الأعداءُ
طُوِيَتْ بِمَوْتِكَ للسَّنَا إطلالةٌ وَهَوَى عِمَادٌ للمنى ولواءُ
ذكراكَ في دُنيا الْخُلودِ ضياءُ وَسُمُوُّ طَبْعِكَ للخَيالِ سَمَاءُ

عزاؤنا في موت من نحبُّ أنَّنا كلنا ميتون.

ولا عزاء لنا في موت العظماء والمبدعين لأنَّهم كلُّهم خالدون والآخرون فانون.

كلمة أسرة الفقيد

في حفل تأبين المرحوم الدكتور عادل العوا

الدكتور نبوغ العوا

أيها السيدات والسادة،

«في مكتب عنبر، يصطفُ التلاميذُ مثنى مثنى في زحفهم الوئيدِ من استراحةِ الفرصةِ للولوج إلى قاعةِ الدرس. في ذاك النظام الذي لم يبقَ سائداً، رفعتُ عيني على دفترٍ يمسكُ به زميلي المواكِب، وكان لأخيه الأكبر، فوجدتُه مخطوطةً. قرأتُ في صفحاتها على عَجَلٍ كلماتٍ من المنطقِ الصوري، فكانت نفحةَ إلهامٍ غمرتني، وإشراقةَ نورٍ خاطفٍ أشبهَ بنورِ ليلةِ القدر كما يُقال. فعرفتُ أن سيكون لمثلِ هذه المعرفةِ شأوٌ كبيرٌ لديّ، وقلتُ في نفسي وأنا أردُّ الدفترَ إلى صديقي سنصلُ إلى صفِ الفلسفةِ بعد سنةٍ ونصف وسنرى ما سيكونُ من الأمر».

هذه الكلماتُ كانت بدايةَ حبِ الوالدِ للفلسفة، من مكتب عنبر، وما لبثت أن نضجت في رحابِ جامعة السوربون بباريس، حيث أمضى فيها سبعَ سنواتٍ عجافٍ في ظلِ الحرب العالمية الثانية، ليعودَ بعدَها إلى الوطن وفي ذهنِهِ طموحٌ لا حدودَ له، وفي قلبهِ شغفٌ للعلم ليس بعدَه شغف. لم يكن يقيمُ وزناً للراحة، ولم يكن يعرفُ الدّعة. ولم يكن يحترمُ سوى الواجبِ ودقةِ العملِ والنظام. يشعرُ بأن عليه أمانةً أمامَ وطنِهِ وطلابِه، فانكبَّ على العملِ الدؤوب داخلَ المنزلِ وخارجَه. وبقي الشأنُ العربي والهمُّ القومي شغلَه الشاغلَ طوالَ حياتِه. فهو يتابعُ ما يجري من أحداثٍ متابعةَ المحلّلِ الفطن. وظلَّ ابنُ دمشق وفيلسوفُها مخلصاً لهذا الوطن، محباً له حتى أيامه الأخيرة.

كان الوالدُ مثالَ الأبِ العطوفِ الحنون، همُّه الدائمُ أن يرقى بأبنائه إلى أعلى الدرجاتِ العلمية والثقافية، باذلاً في سبيلِ ذلك كلَّ عونٍ ومساعدة. تتقدُ ذاكرتُه المدهشة علماً وأدباً وشباباً، وتشفي بداهتُه كلَّ تساؤل، وإن لم يُسأل. ويمتدُ ولعُه العلمي إلى التقنياتِ المستحدَثة، فأفردَ للإنترنت وآثارِها آخرَ كتاباتِه، التي نيَّفت على الثمانينَ تأليفاً وترجمة.

أيها السيداتُ والسادة:

يحضرُنا في هذه المناسبة الذكرى الأولى لمكرُمةِ السيدِ الرئيس الذي منحَ الوالد وسامَ الاستحقاقِ السوري من الدرجةِ الممتازة تقديراً لإنجازاتِه في الفكرِ والثقافة. وهل يُسأل الكريمُ عن كرمِه؟.

وما اهتمامُ سيادتِه البالغُ بصحةِ الوالدِ ومواساتُه الكريمة إلا وسامُ محبةٍ آخر. فقد كانت لفتتُه النبيلةُ تمدُّنا بالقوةِ والثباتِ في الأيام الحالكة، وتملأُ قلوبَنا حباً على حبٍ لشخصِ سيادتِه الكريم. أمدّه المولى وأسرتَه الكريمةَ بوافرِ الصحة والعافية للرقي بهذه الأمة إلى أعلى مراتب العزة والمجد.

ولا يسعُنا في الختام إلا تقديمُ بالغِ الشكر والامتنان للسيدة وزيرة الثقافة، الأستاذة الدكتورة نجوة قصاب حسن، لعمقِ محبتِها وإخلاصِها، وللسيدِ وزيرِ التعليم العالي، الأستاذ الدكتور حسان ريشة، وللرفيق أمين فرع الحزب في جامعة دمشق، الأستاذ الدكتور هيثم سطايحي، اللذين خلّدا ذكرى الدكتور عادل العوا بتسميةِ مدرج في مبنى الآداب باسمِه، ليبقى مناراً لأجيالِ العلم والمعرفة.

نتقدم ببالغِ الشكر والامتنان أيضاً للأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيسِ مجمع اللغة العربية بدمشق، لكلمتهِ الرقيقة، أمدَّه المولى بالصحة والعافية.

وكذلك نتوجه بالشكرِ والامتنان للسادة الأستاذِ الدكتور سمير حسن،

عميدِ كلية الآداب في جامعة دمشق، والأستاذِ الدكتور علي عقلة عرسان رئيسِ اتحاد الكتاب العرب، والأخِ الدكتور عزت السيد أحمد من جامعةِ تشرين لكلماتِ الصدقِ والمحبةِ النابعةِ من القلب، فهي خيرُ شافٍ لجرحِنا العميق.

أيها الحفلُ الكريم، نشكرُ ما تجشمتُم من عناءِ القدومِ، فمحبتُكم هي أغلى ما نملك، وأطيبُ ما نذكر، شكراً لكم، والسلامُ عليكم ورحمةُ الله.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ٢٠٠٣م

أ – الكتب العربية

خير الله الشريف

– **الاتصالات الرقمية**/ د. رضوان قسطنطين– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **الأحياء الدقيقة: القسم النظري**/ د. نجم الدين الشرابي، د. منير هابيل– ط٦– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **اختيار: قصائد مختارة للشاعر الدكتور محمد حسين آل ياسين**/ د. محمد حسين آل ياسين– بغداد: ٢٠٠١.

– **الأدب العربي في بلاط عضد الدولة البويهي**/ د. عبد اللطيف عمران– ط١– دمشق: المستشارية الثقافية الإيرانية، ٢٠٠٢– (سلسلة كتاب الثقافة الإسلامية ١٥).

– **أديبات عربيات: سير ودراسات**/ عيسى فتوح– ط١– دمشق: دار طلاس، ٢٠٠٢.

– **أزمة المصطلح العربي في القرن التاسع عشر: مقدمة تاريخية عامة**/ محمد سواعي– دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٩.

– **أساسيات علم الاقتصاد الزراعي**/ د. محمود ياسين، د. علي عبد العزيز– ط٢– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **الأسماء والأفعال والحروف: أبنية كتاب سيبويه**/ الزبيدي؛ تحقيق: د. أحمد راتب حموش– دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٢.

– **أعمال الموسم الثقافي: مدونة المحاضرات الملقاة عام ٢٠٠٠/ المجلس الأعلى للغة العربية– الجزائر: المجلس، ٢٠٠٠.**

– **أوراق مهجرية: بحوث ومقاربات، أحاديث ومحاورات، رسائل**/ د. عبد الكريم الأشتر– ط١– دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٢.

– **أيسر التفاسير**/ د. أسعد محمود حومد؛ ترجمه إلى الفرنسية: د. لينة دعبول، د. لبانة مشوح– دمشق: ١٩٩٤– ٣ج.

– **التشكل النباتي: الجزء العملي**/ د. سليم حسين زيد، حنان شحادة آغا– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **التصنيف الإحصائي الدولي للأمراض والمشكلات المتعلقة بالصحة: المراجعة العاشرة**/ د. عصمت إبراهيم حمود– القاهرة: منظمة الصحة العالمية، ٢٠٠١– ج٢.

– **التصنيف الدولي للأمراض: المراجعة العاشرة**/ تعريب: د. عصمت إبراهيم حمود– القاهرة: منظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٢– ج١.

– **التصنيف النباتي وتعضي جهاز التناسل في مغلفات البذور**/ د. عبد العزيز الصباغ– ط٣– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **تطبيقات عملية في الإحصاء وتصميم التجارب الزراعية**/ د. عبدو قاسم، فيوليت خلف– ط٣– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٢.

– **الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون الإلهي وأرسطو طاليس**/ الفارابي؛ حققه وترجمه: فوزي متري نجار، دومينيك ماليه– دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٩.

– **حصن الاسم: قراءات في الأسماء العربية**/ جاكلين سوبليه، ترجمة: سليم محمد بركات– دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٩.

– **الدارات الإلكترونية**/ د. أميمة دكاك– ط١– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **الدليل العملي في التصنيف النباتي**/ د. أنور الخطيب، د. عبد العزيز الصباغ، د. عماد القاضي– ط٢– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **دور الأسواق المالية في الخصخصة في منطقة الإسكوا**/ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا– نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٢.

– **الرسالة الهارونية**/ مسيح بن حكم الدمشقي؛ حققته وترجمته وعلقت عليه: سوزان جيغاندي– دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ٢٠٠٢

– **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب**/ دراسة وتحقيق: د. حسن بن محمد الحفظي، د. يحيى بشير المصري– ط١– المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد ابن سعود، ١٩٩٣– ١٩٩٦– ٤ج.

– **الصالونات النسائية الأدبية في العصر الحديث**/ عيسى فتوح– ط١– بيروت، دمشق: المنارة، ٢٠٠٢.

– **طب المجتمع**/ نخبة من أساتذة الجامعات في العالم العربي– بيروت: منظمة الصحة العالمية، أكاديميا، ١٩٩٩.

– **عامان على الانطلاقة الواثقة**/ مجموعة من الكتاب– ط١– دمشق: مؤسسة تشرين، ٢٠٠٢.

– **فيزياء أنصاف النواقل**/ د. خالد المصري– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق للمجلدات: ٦١ إلى ٧٥**/ صنعة: مأمون الصاغرجي– دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٢– ج٧.

– **فهرس المخطوطات المحفوظة في مجمع اللغة العربية الأردني**/ إعداد: محمد علي العناسوة– عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٩٨.

– **قواعد المعطيات** (١)/ د. راكان رزوق، د. مادلين عبود– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **قواعد النقوش العربية الجنوبية**/ ألفرد بيستون، ترجمة: رفعت هزيم– إربد: مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، ١٩٩٥.

– **الكيمياء العامة: الجزء العملي والجزء النظري**/ د. محمد الحبوبي– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١– ٢ج.

– **لغات البرمجة**/ د. عمار جوخدار، د. غيداء ربداوي، د. ندى غنيم– ط١– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٢.

– **محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران**/ مجموعة من المحاضرين– دمشق: المستشارية الثقافية الإيرانية، ٢٠٠٢– (سلسلة كتاب الثقافة الإسلامية ١٤).

– **المراجعة العاشرة للتصنيف الدولي للأمراض، تصنيف الاضطرابات النفسية والسلوكية...**/ منظمة الصحة العالمية– القاهرة: المنظمة، ١٩٩٩.

– **المعجم**/ ابن الأعرابي؛ تحقيق وتخريج: عبد المحسن الحسيني– ط١– الدمام: دار ابن الجوزي، ١٩٩٧– ٣ج.

– **المعجم الطبي الموحد: إنكليزي– عربي– فرنسي**/ مجموعة من الأساتذة– ط٣– سويسرا: منظمة الصحة العالمية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٣.

– **معجم المصطلحات الطبية: إنكليزي– عربي**/ د. محمد عبد اللطيف إبراهيم– المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٩٠– قسمان.

– **معجم الوبائيات**/ تحرير: جون. م. لاست– القاهرة: منظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٠.

– **مقدمة في النظم والدارات المنطقية**/ د. نور الدين شيخ عبيد– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٠.

– **منهجية وضع المصطلحات وتطبيقاتها**/ أحمد شفيق الخطيب.

– **موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية**/ د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون– الرياض: دار رواح، ١٤٢١هـ– ٥٢مج.

– **الميكانيك النظري (علم السكون)**/ د. رافع محمد النبواني وآخرون– دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩٠.

– **النبات العام: خلية– أنسجة– أعضاء نباتية**/ د. عبد العزيز الصباغ– ط٥– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **نسر الدموع: قراءات في تجربة محمد الماغوط**/ تحرير: خليل صويلح– ط١– دمشق: مؤسسة تشرين، ٢٠٠٢.

– **نظرية الاحتمالات**/د. محمد صبح، د. عدنان عمورة، د. عزات قاسم– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠١.

– **الوجيز في علم النسج**/ د. بشير الزالق– دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٢

– **الوسائل التوضيحية في المخطوطات العلمية العربية**/ سماء زكي المحاسني– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠١.

ب- المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥	٢٠٠١	سورية
التراث العربي	(٨٦- ٨٧)، ٨٨ (عدد خاص)	٢٠٠٢	سورية
الحياة الموسيقية	٢٧	٢٠٠٢	سورية
رسالة معهد التراث العلمي			
العربي	٧٣	٢٠٠٣م	سورية
صوت فلسطين	٤١٨ (٢٠٠٢)، ٤٢٢	(٢٠٠٣)	سورية
الضاد	٧، ٨، ٩، ١٠، ١١،١٢	(٢٠٠٢)	سورية
	١، ٢	(٢٠٠٣)	
عالم الذرة	٨٢ (٢٠٠٢)، ٨٣ (٢٠٠٣)		سورية
الفكر السياسي	١٦	٢٠٠٢	سورية
المجلة البطريركية	٢١٨و ٢١٩ و ٢٢٠	٢٠٠٢	سورية
مجلة جامعة البعث	مج ٢٢ (العلوم الهندسية:٤)	٢٠٠٠م	سورية
	مج ٢٣ (الآداب والعلوم الإنسانية: ١)	٢٠٠١م	
	مج ٢٣ (العلوم الأساسية:٥)	٢٠٠١م	
	مج ٢٣ (العلوم الطبية: ٦)	٢٠٠١	
	مج ٢٣ (العلوم الهندسية: ٧، ٨)	٢٠٠١م	
	مج ٢٤ (العلوم الإنسانية: ١)	٢٠٠١م	
مجلة جامعة تشرين	مج ١٨ (الآداب والعلوم الإنسانية: ١٠، ١١)	١٩٩٦	سورية
للدراسات والبحوث العلمية	مج ١٨ (العلوم الطبية: ٥، ملحق)	١٩٩٦	
	مج ٢٢ (العلوم الاقتصادية: ٢)	٢٠٠٠	
	مج ٢٢ (العلوم الهندسية: ٩)	٢٠٠٠	
مجلة جامعة دمشق	مج ١٤ (الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية: ٣، ٤)	١٩٩٨	سورية
	مج ١٧ (العلوم التربوية: ٤)	٢٠٠١	
	مج ١٨ (العلوم الزراعية: ١)	٢٠٠٢	

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
المجلة العربية للعلوم الصيدلية	٤ (مج ٢)	٢٠٠٣	سورية
المعلم العربي	٣، ٤ (عدد خاص)	٢٠٠٢	سورية
الموقف الأدبي	٣٧٨ (٢٠٠٢)، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣ (٢٠٠٣)		سورية
نشرة الأرمن الكاثوليك	(١–٢)	٢٠٠٢	سورية
النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق	٤	٢٠٠٢	سورية
الأقصى	٩٦٤	٢٠٠٢	الأردن
أنباء	٢٤	٢٠٠٢	الأردن
دراسات	مج ٢٩ (العلوم الادارية: ٢)	٢٠٠٢	الأردن
	مج ٢٩ (العلوم الانسانية والاجتماعية: ٢، ٣)	٢٠٠٢	
	مج ٢٩ (العلوم التربوية: ٢)	٢٠٠٢	
الشريعة	٤٤٢، ٤٤٤	٢٠٠٢م	الأردن
	٤٤٥، ٤٤٦	٢٠٠٣م	
أخبار الإمارات	٧	٢٠٠٣	الإمارات
إقرأ	١، ٢ (٩٨– ١٩٩٩)		الإمارات
	٤، ٥ (٢٠٠١– ٢٠٠٢)		
الإنتاج الفكري في دولة الإمارات (بيبليوغرافيا)	الاصدار الثالث	١٩٩٥	الإمارات
	الإصدار الرابع	١٩٩٧م	
الرافد	١ (١٩٩٣)، ٢، ٣، ٤، ٥ (١٩٩٤) ٦، ٧، ٨، ٩ (١٩٩٥)، ١٠،١١، ١٢، ١٣ (١٩٩٦)، ١٤، ١٥، ١٦ (١٩٩٧م) ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١– ٢٢ (١٩٩٨)		الإمارات
أخبار الألكسو	(١٤– ١٥)، (١٦– ١٧)	٢٠٠٢	تونس
الإذاعات العربية	٣	٢٠٠٢	تونس
فضاءات التعليم عن بعد	٣٠، ٣١	٢٠٠٢	تونس
المجلة المغاربية للتوثيق والمعلومات	١١	٢٠٠١	تونس
المجلة الخلدونية	٢ (عدد خاص)	٢٠٠٣م	الجزائر
عالم الكتب	مج ٢٤ (١، ٢) عدد مزدوج	٢٠٠٢م	السعودية
	(٣و ٤) عدد مزدوج	٢٠٠٣م	

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الفيصل	٣١٧، ٣١٨	٢٠٠٣م	السعودية
مجلة جامعة أم القرى	مج ١٤ (العلوم التربوية		السعودية
	والاجتماعية والإنسانية: ١)	٢٠٠٢م	
	مج ١٤ (علوم الشريعة واللغة		
	العربية وآدابها: ٢٣ ج١، ج٢)	٢٠٠١م	
	مج ١٤ (العلوم والطب والهندسة: ١)	٢٠٠٢م	
مجلة الدراسات اللغوية	١ (مج ٢)	٢٠٠٠م	السعودية
	١ (مج ٣)	٢٠٠١م	
	١ (مج ٤)	٢٠٠٢م	
المجلة العربية	٣٠٨ (٢٠٠٢م)، ٣٠٩،		السعودية
	٣١٠، ٣١١، ٣١٢ (٢٠٠٣م)		
المنهل	مج ٦٤ (٥٨٣/ ٢٠٠٢- ٢٠٠٣م)		السعودية
البيان	٣٨٧ (عدد خاص)، ٣٨٨،٣٨٩	٢٠٠٢	الكويت
	٣٩٠، ٣٩١(عدد خاص)، ٣٩٢	٢٠٠٣	
حوليات الآداب والعلوم	الحولية ٢٣ (١٨٩، ١٩٠، ١٩١،	٢٠٠٢- ٢٠٠٣	الكويت
الاجتماعية	١٩٢، ١٩٣، ١٩٤)		
مجلة العلوم	مج ١٨ (٩/ ١٠)، (١١/ ١٢)	٢٠٠٢	الكويت
الدراسات الفلسطينية	٥٢ (٢٠٠٢)، ٥٣ (٢٠٠٣)		لبنان
التمويل والتنمية	مج ٣٩ (٣)	٢٠٠٢	مصر
الرسالة الجديدة	أيار	٢٠٠٢	مصر
مجلة كلية دار العلوم	٢٨، ٢٩	٢٠٠٢	مصر
نشرة الإيداع	تشرين الثاني، كانون الأول	٢٠٠١	مصر
	كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان	٢٠٠٢	
اللسان العربي	٥١ (عدد خاص)، ٥٢	٢٠٠١م	المغرب
النشرة الاخبارية لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون	٥٨، ٥٩	٢٠٠٢م	تركيا
الرابطة	مج ٢٧ (١-٢)	٢٠٠٢	فرنسا
النشرة الإعلامية لليونيسيست/			
المعلومات- المعلوماتية- الاتصالاتية	مج ٢٩ (٢)	٢٠٠١	
آفاق الهند	مج ١٥ (٥)	٢٠٠٢	الهند

ج– الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

١- Books:

- Actes du Colloque International/par université de Tunis.
- Améliorer L'efficacité des écoles/ par Jaap Scheerens, Unesco, Paris ٢٠٠٠.
- Déraison, esclavage et droit/ Directeurs de La Publication: Isabel Castro Henriques et Louis Sala- Molins.
- L'éducation tout au long de la vie/Unesco ٢٠٠٢.
- Economic and Social Commission for Western Asia./ by Elissar Sarrouh and others, United nations.
- Eternités Afghanes/ Unesco.
- La gestion du handicap Sur Le lieu de travail/ Bureau International du Travail, Genève.
- Guide à L' intention des utilisateurs/ Bureau international du travail.
- Le Patrimoine mondial entre Les mains des jeunes./ Unesco ٢٠٠٢.
- La pauvreté, une fatalite/ Unesco.
- Tendances Mondiales de L' emploi/ Bureau international du Travail.
- فهرست نسخة هاي خطّي تركي / حسين متقى ، إيران ، قم .

٢ – Periodicals :

- Boletin de La Academia Argentina de Letras, Tomo. LXV – Julio- Diciembre de ٢٠٠٠- No (٢٥٧- ٢٥٨). Buenos Aires.
- Bulletine Of Labour Statistics, Geneva, ٢٠٠٢, No. ٤.

- Bulletin Officiel, Vol. LXXXV, No. (١-٢), ٢٠٠٢, Geneva.
- Common Ground, Germany.
- DAWAH, Islam Abad Vol. XIV, No. ٢, ٢٠٠٣.
- Deutsch Land, No. (١-٢), ٢٠٠٣, Germany.
- IBLA, Revue de L'institut des Bells Letters Arabes. ٦٥ année, ٢٠٠٢- No. ١٩٠.
- James, No. ١٧, ٢٠٠٢, Japan.
- Korea and World Affairs, Vol. XXVI, No. ٤ Winter ٢٠٠٢. Korea.
- Le Muséon, Revue D'Études Orientales.
- Tome ١١٥, ٢٠٠٢. fasc. ٣-٤, Belgique.
- The Muslim World, Vo. ٩٢. No. (٣-٤). ٢٠٠٢ Hartford. U. S. A.
- Orient/ Report of the Society for Near Eastern Studies in Japan. ٢٠٠٢.
- Revue internationale du travaiL, Vol. ١٤١, No. ٣, ٢٠٠٢, Geneva.
- SGI QuarterLy, January NO. ٣١, ٢٠٠٣, Japan.
- Travail Le magazine de L'oit, Bureau international du travaiL . No. ٤٥, ٢٠٠٢.

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثامن والسبعين

(المقالات)

المجمع العلمي العربي بدمشق والمرأة — الأستاذة الدكتورة ليلى الصباغ — ٢٥١

فهرس موضوعات مجلة اللسان العربي من العدد (١ – ٤٧)

(القسم الثالث) — إعداد الأستاذ عدنان عبد ربه — ٢٩١

الدرس اللغوي الاجتماعي عند الإمام الغزالي في المستصفى

الدكتور مهدي أسعد عرار — ٣١٣

نظرات في كتاب (معاني القرآن) للفراء — الدكتور إبراهيم محمد عبد الله — ٣٥٣

(التعريف والنقد)

ديوان مجير الدين ابن تميم، قراءة ومستدرك — د. عباس هاني الجراخ — ٤٢٣

(آراء وأنباء)

حفل تأبين الدكتور عادل العوا: — ٤٧١

كلمة السيدة وزيرة الثقافة — الدكتورة نجوة قصاب حسن — ٤٧٢

كلمة رئيس مجمع اللغة العربية — الأستاذ الدكتور شاكر الفحام — ٤٧٥

كلمة كلية الآداب — الدكتور سمير إبراهيم حسن — ٤٨٤

كلمة اتحاد الكتاب العرب — الدكتور علي عقلة عرسان — ٤٨٨

كلمة طلاب الفقيد — الدكتور عزت السيد أحمد — ٤٩١

كلمة أسرة الفقيد — نجل الفقيد الدكتور نبوغ العوا — ٤٩٤

الكتب والمجلات المهداة إلى مكتبة المجمع في الربع الأول من عام ٢٠٠٣ — ٤٩٧

الفهرس — ٥٠٧